شرح كتاب
الأصول الثلاثة

للشيخ/ صالح بن عبد العزيز سندي
غفر الله له ولوالديه ومشايخه والمسلمين

الدرس الأول

إنَّ بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

مَن يَهدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومَن يضللْ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

➢ فنَجتمع -بعون الله عَزَّوَجَلَّ في هذا المجلس المبارك، في هذا المسجد العظيم المبارك- نتدارس رسالة عظيمة، وهي من المتون الأصيلة عند أهل السنة والجماعة في التوحيد، ألَا وهي رسالة (**الأصول الثلاثة**).

❁ هذه الرسالة رسالة قيمة لا غِنى للمسلم عن هذه الرسالة، وهي على اسمها (أُصُول)، والأصول جمْع: أصْل، **والأصل**: ما يَنبَنِي عليه غيره، فالدِّين كُلّ الدِّين مبني على هذه الأصول الثلاثة.

وَوَاجبٌ على المسلم أن يتعلم هذه الأصول، وهي: (معرفة الله، ومعرفة نبيه ﷺ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة).

هذه الرسالة كان النَّاس إلى عهْد قريب يتدارسونها، ويحفظونها، الكبيرُ والصغير، والذَّكر والأنثى، وحصل بسبب هذا -ولله الحمد- خيرٌ كثير، فكان الإيمان مستقرًا في النفوس بفضل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، بسبب أنَّ الإيمان قد انبنى على العلم، وشَتَّان بين إيمانٍ

ومعتقد ينبني على علمٍ راسخ، ودليل ثابت، وبين إيمانٍ مبني على العادة وعلى المَرْبَى، فيَنشأُ هذا الناشئ في عقيدته بحسب ما يُقال له، وبحسب ما يسمعه ممَّن حوله، ولذا فإيمان من كان حاله كذلك على خطر، إذ أنهُ يتزعزع عند الشبهات، متى ما عَصَفَت عواصف الشبه فإنه يتزعزع إيمانُه، وربما يختلّ عياذًا بالله.

۞ أمَّا الذي بنا إيمانه على العلم وعلى الدليل وعلى الآية والحديث؛ فإنه بتوفيق الله سبحانه يكون ذا إيمان راسخ، وذا يقين مستقر، وهذا هو الذي ينفع صاحبه، لا سيّما في زمن الفتن الذي نعيشه.

نحن -في آخر الزمان- في زمن فتن مُتلاطِمَة، والذي يُعين على الثبات على دين الله عَزَّوَجَلَّ بتوفيقه سبحانه **هو هذا العلم الراسخ**، العِلم بالله، وبنبيه ﷺ، وبدِين الإسلام عن دليلٍ.

۞ فهذه الرسالة التي بين أيدينا هي **(الأصول الثلاثة)**، وتسمى أيضًا: **(ثلاثة الأصول)**، والمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد سمَّاها بهذا وبهذا، والأمر في تسميتها يسير.

۞ هذه الرسالة رسالةٌ وَجيزة، قليلة الكلمات، لكنها عظيمة النفع.

➢ وتحتوي هذه الرسالة على:

- مقدمة.
- ومضمون الرسالة وهي **(الأصول الثلاثة)**.
- وخاتمة.

أمَّا المقدمة: فإنها تشتمل على ثلاثة أمور:

أولًا: على مسائلَ أربع، يجب على المسلم أن يتعلمها.

ثم ذكر ثانيًا: ثلاث مسائل، أيضًا يجب على المسلم أن يتعلمها.

ثم ذكر في خاتمة المقدمة خلاصة المِلَّة الحنيفية، مِلَّة إبراهيم عليه السلام، شرحها وبينها رَحِمَهُ ٱللَّهُ بكلمات وجيزة.

ثم بدأ في شرح (**الأصول الثلاثة**)، وهي كما عَلمْت: معرفة الله، ومعرفة نبيه ﷺ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

ثم ختَم بخاتمة نبَّه فيها على بعض المسائل، كالبعث، وما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر، والكفر بالطاغوت.

هذه إطْلالة وجيزة على هذه الرسالة النفيسة.

وأنا أوصيك -يا أخي رعاك الله- بالاهتمام بهذه الرسالة، وقراءتها، بلْ أوصيك بحفظها؛ فإنها من أهم ما يكون، ولا سيما طالب العلم، عليه أن يحرص تمام الحرص على حفظ هذه الرسالة المهمة.

فكان علماؤنا رحمهم الله يحفّظون طلابهم، ويُسمِّعونَهم هذه الرسالة، فلتحرص على دراستها وفهْمها، وحفظها إن استطعت.

قال المصنّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بِسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ

اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ: الأُوْلَى: الْعِلْمُ، وَهُوَ: مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بالأَدِلَّةِ.

الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ.

الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بِسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر:١-٣].

قَالَ الشَّافِعِيُّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ».

وَقَالَ البُخَارِيُّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- تَعَالَى: «بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد:١٩] فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ» قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ



قَالَ الشَّارِح وفَّقَهُ الله:

بدأ برسالة بذكر (اسم الله الرحمن الرحيم) مستعينًا ومُتبرّكًا بذكر اسمه تبارك وتعالى، إذْ بذكره جل وعلا، وبذِكر أسمائه وصفاته تحلّ البركات والخيرات.

وهو في هذا مُؤْتسٍ بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ؛ فإنه مُفتَتَح بالبسملة، فأول ما في المصحف (بسم الله الرحمن الرحيم).

كذلك كان مُؤْتسيًا بسُنة النبي ﷺ، فإنه كان إذا بعث رسائله استفتحها بالبسملة، كما ثبت في «الصحيحين» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، لمَّا أرسل إلى هرقل عظيم الروم، تلك الرسالة التي بيَّن فيها دعوته ﷺ: بدأها ببسم الله الرحمن الرحيم.

واستقرَّ عمل مُصَنِّفي العلوم ومُؤلِّفي الكتب على افتتاح كتبهم بـ(بسم الله الرحمن الرحيم).

قوله: (**اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ**).

هذ الفعل فعل أمر، يأتي به أهلُ العلم للتَّنبيه، يعني: تَنبَّه فإني سأذكر لك شيئًا مهمًا، (اعْلَم).

وعقّب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: (**رَحِمَكَ اللهُ**)، دعاء من الشيخ لمن يستمع ولمن يقرأ كلامه.

وهذا فيه من التلطّف الجميل ما فيه.

وهكذا ينبغي على المعلم أن يتلطف بالمتعلِّم، وأن يدعو له، ولا سيّما إذا كانت الدعوة تتعلق بسؤال الله عَزَّوَجَلَّ الرحمة له، (**اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ**)، فالعلاقة بين العالِم والمتعلم علاقة فيها تراحُم.

قوله: (**اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا**) وجوبًا.

الواجب في الشريعة: هو ما أمر الله عَزَّوَجَلَّ به أمرًا جازمًا.

وحُكْمه: أنه يثاب فاعله، ويعاقب تاركه. وإن شئت فقُل: وتاركه مُتعرِّض للعقوبة، يعني: مستحق لها.

هذا حكم الواجب.

وهذه الأمور التي يذكرها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أمورٌ يجب علينا أن نتعلمها.

قوله: (**تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ**)، يجب علينا جميعًا، يجب علينا معشر المسلمين، ويجب أيضًا على الكافرين، يجب على الإنس، ويجب على الجن، هذه أمور لا يعذر أحدٌ بالجهل فيها، لابد أن تعلمها يا رعاك الله، (**يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ**) يعني: أن نطلب العلم في هذه الأمور الأربعة، يجب أن تطلب العلمَ في هذه الأمور الأربعة، نتعلم.

لابد من أن تخصص شيئًا من وقتك لهذا الأمر العظيم، وهو أن تتعلم، وهذا الأمر مما انصرف عنه كثير من النَّاس مع الأسف الشديد، تعلُّم العلم النافع، هذا شيءٌ زهد فيه كثير من النَّاس مع الأسف الشديد، وقَلَّ مَن يهتم به، وكأنه شأْن فضْلَة، ليس بذي شأنٍ عند كثير من النَّاس مع الأسف الشديد.

قوله: (**المسألة الأُوْلَى: الْعِلْمُ**).

والعِلم الذي يرادُ في كلام الشيخ بينه بقوله: (**وهو معرفةُ الله وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بالأَدِلَّةِ**)، وهذه الأمور الثلاثة -التي يجب علينا العلم بها- هي الأصول الثلاثة التي عقد الشيخ هذه الرسالة لبيانها، هذا علمٌ واجبٌ لابد منه.

ولتعلم -يا رعاك الله- أنَّ العِلم ينقسم إلى قسمين:

- علمٍ شرعي.
- وعلمٍ دنيوي.

أمَّا العلم الشرعي فينقسم أيضًا إلى قسمين:

- علم واجب.

- وعلم مستحب.

واجب يعني: لابد لك أن تتعلمه، ومستحب يَحسُن بك أن تتعلمه.

أمَّا العلم الواجب: فهو عِلم ما أوجب الله عَزَّوَجَلَّ عليك، اعتقادًا وعملًا. الشيء الذي أوجب الله عَزَّوَجَلَّ اعتقاده، وأوجب عليك العلم به فإنه يجب عليك أن تتعلَّمه، اللهُ عَزَّوَجَلَّ أوجب عليك أن تصلي، إذًا يجب عليك أن تتعلم كيف تصلي، اللهُ عَزَّوَجَلَّ أوجب عليك أن تتطهر، إذًا يجب عليك أن تتعلم كيف تتطهر، اللهُ أوجب عليك أن تصوم، إذًا يجب عليك أن تتعلم كيف تصوم، لِمَ؟ لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، هذا أمرٌ لا يعذر الإنسان فيه، الشيءُ الذي يقوم به دينُك الواجب تَعلُّمه واجب، هذه قضية متفقٌ عليها بين أهل العلم، لابد وجوبًا أن تتعلم ما أوجب الله تعالى عليك.

أمَّا العلم المستحب: فهو العلم الشرعي الذي دون ذلك، وهذا بالنظر إلى الأفراد، هو مستحبٌ في حقك وفي حقي وفي حق الآخرين، لكن في مجموع الأمة هذا العلم المستحب فرض كفاية، يعني: يجب أن يكون في الأمة مَن يحمل هذا العلم؛ لأن به الحفاظ على هذا الدين، والحفاظُ على هذا الدين فرض كفاية، وفرض الكفاية إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقيين.

إذًا: العلمُ بالشريعة لا يخلو إما أن يكون واجبًا أو مستحبًا، والواجب هو علم ما أوجب الله على العبد، ذكرًا كان أو أنثى.

وأمَّا العلم الدنيوي فإنه يختلف الحكم فيه بحسب هذا العلم، فهو من حيث الأصل مباح، الأصل في العلوم الدنيوية أن تكون مباحة؛ كعلوم الطب والهندسة والفيزياء وما إلى

ذلك، وقد يرتبط بهذا العلم ما يُصبح به محرمًا، أو يصبح به واجبًا على الكفاية، فإذا كان حاجة الأمة قائمة إلى هذا العلم أصبح فرضًا كِفائيًا، يجب أن يكون في الأمة مَن تحصل به الكفاية في الطِّب والهندسة والصناعة وما إلى ذلك، وذلك لأن هذا من الأمور التي تحتاجها الأمة في دينها أو في دنياها، وقد يتعلق بهذا العلم ما يجعله محرمًا، كأن يُستعمل هذا العلم في ما حرم الله تبارك وتعالى، أو يكون موضوعُه في الأصل محرمًا؛ كعِلم السحرِ، وعلم الكهانة، وعلم الموسيقى وما إلى ذلك، فهذه علوم موضوعها في الأصل محرم، وبالتالي فالتعلُّم لهذه العلوم لا يجوز. هذا هو الأصل في مسألة العلم.

ولا شك أن العلم من أهم المُهمَّات، ونحن إذا أطلقنا العلم، أو إذا قرأت في النصوص كلمة العلم، فـ(ال) هنا عَهْدِية، والمراد (العلم الشرعي)، عِلم الكتاب والسنة، عِلم ما أنزل الله تبارك وتعالى على عباده، هذه هو العلم الذي جاء الأمر به، وجاء الحث عليه، وجاء بيان فضله، وأن فضل العالم على العابد كفضلي كما قال ﷺ: «على أدناكم»، كفضْل النبي ﷺ على أدنى العباد، هذا العلم هو العلم الشرعي، هو الذي مَن خرج في طلبه فهو في سبيل الله حتى يرجع، هذا العلم لاشك أنه من الأهمية بمكان، ومن الفضل بمكان، ومن الثواب بمكان، فلا ينبغي عليك يا عبد الله أن تَزهد فيه، بل ينبغي عليك أن تحرص عليه تمام الحرص.

وهذا -كما أسلَفْتُ- ممَّا قَلَّ الاهتمام به مع الأسف الشديد، ولذلك انظر إلى أمرٍ من أهم الأمور التي أوجبها الله عَزَّوَجَلَّ علينا، بل هو أهم الأمور على الإطلاق بعد التوحيد، أَلَا وهو الصلاة، قضية واجبة على كل مسلم ومسلمة في كل حال، وفي كل وقت، يعني في اليوم

يجب عليك أن تصلي خمس مرات، قضية مهمة.

ومع ذلك أين في مجموع المسلمين أولئك الذين جلسوا وأَثْنَوا رُكبهم، وخصصوا من أوقاتهم في تعلُّم صلاة النبي ﷺ التي أَمَر بها؟ أليس نبينا الكريم ﷺ يقول: «**صَلُّوا كما رأيتموني أُصَلِّي**»، فـ(**صَلُّوا**) فعل أمر، والأصل في الأمر أن يقتضي الوجوب.

إذًا أوجب النبي ﷺ على الأمة أن تصلي كما اعتادت! كما رأت النَّاس! كما شاهدت أباءها وأمهاتها!! أو كما صلى هو عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؟! كما صلى هو عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، «**صَلُّوا كما رأيتموني أُصَلِّي**».

كيف لنا أن نَصِل إلى معرفة صلاته ﷺ حتى نُؤدِّي هذا الواجب؟

الجواب: عن طريق التعلم، أن نتعلم صلاة النبي ﷺ، وهذا من أقل الأشياء، أن تجد شخصًا يبحث عن كتاب يشرح كيف صلى النبي ﷺ، أو يأتي إلى عالم أو إلى طالب علم ويقول: عَلِّمني صلاة النبي ﷺ، هذا شيء قليل، تجد شخص يبلغ من العمر خمسين أو ستين أو سبعين سنة وهو ما تحرك في نفسه دافع إلى أن يتعلم صلاة النبي ﷺ مع الأسف الشديد! مع أن عنده استعدادًا لأن يقرأ أيّ شيء، يمكن يقرأ صحيفة من أولها إلى آخرها، يمكن يقرأ مجلة من أولها إلى آخرها، لكن أن يكون عنده دافع لأن يتعلم صلاة النبي ﷺ، هذا قليل من النَّاس -مع الأسف الشديد- مَن يهتمّ به، ولذا كم تقع من الأخطاء في صلاة النَّاس مع الأسف الشديد، **والسبب أنهم ما حرصوا على التعلم**، وكم يضيع عليهم من الأجور.

تأمَّل في هذا الحديث يا رعاك الله، قال ﷺ: «**مَن توضَّأ كما أُمِرَ، وصلى كما أُمِرَ غُفِر له ما**

تقدم من عَمَلٍ».

توضَّأ، ولكن هناك قيد، وهو: «**كَمَا أُمِرَ**»، مَن الذي أمَر؟ الرسول ﷺ هو الآمر في هذه الأمة، من توضأ كما أَمَر النبي ﷺ وكما علَّم، وصلى أيضًا كما أُمِر، النتيجة: «**غُفر له ما تقدم من عَمل**»، من الذي لا يطلب هذا الفضل العظيم؟ وهو أن يغفر الله عَزَّوَجَلَّ لك ما تقدم من ذنوبك ومعاصيك، والأمر يسير، هو أن تُؤدي هذه الصلاة طهارة، وصلاة، تُؤديها وَفْق ما أمر النبي ﷺ، وكما جاء في سُنته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والسبب يسير وسهل، وهو أن تتعلم.

إذًا هذا أمر لابد منه، وهو أن تتعلم يا رعاك الله، أن تتعلم ما يتعلق بربنا جل وعلا، بمعرفة ما له من الأسماء والصفات، وما له من الحق على العباد، وما حق الله عَزَّوَجَلَّ على العباد؟ أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، أن يعلم ما أمر الله عَزَّوَجَلَّ به، وما نهى الله تعالى عنه.

إذًا يجب علينا العلم وهو معرفة الله، معرفة الله تكون بمعرفة أسمائه وصفاته، ومعرفة حقه على العباد، ومعرفة حدود ما أنزل الله على العباد.

إذًا عندنا ثلاثة أمور: أن نعرف ربنا جل وعلا بأسمائه وصفاته، وهذا لُبّ الإيمان، وأصل الأصول، كيف تعبد مَن تجهل؟ أنت إذا علمت ربك تبارك وتعالى فإنك تعبده على الوجه الصحيح، بمعنى: معرفتك بمن تحب تجعلك تحبه، معرفتك بمن تعظم تجعلك تعظمه، معرفتك بمن تخاف تجعلك تخافه وهكذا، إذًا كل هذه التعبدات فرع عن العلم.

لو قيل لنا: اُعبُدُوا ربًا لا تعرفوا عنه شيئًا، اُعبدُوه بالحب والخوف والرجاء والإخبات والدعاء إلى غير ذلك، ولكن أنتم لا تعرفون عنه شيئا، هل هذا ممكن؟ غير ممكن، هذا من تكليف ما لا يطاق.

إذًا لا يمكن أن تعبد الله تبارك وتعالى حتى تعرفه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فتعرف أسماءه، وتعرف صفاته، نُعوت جلاله، ونُعوت جماله تبارك وتعالى.

ثم أن تعرف حقه على العباد، وهو الأصل الذي خلَق الله عَزَّوَجَلَّ الخلق من أجله، وهو عبادته وحده لا شريك له، هذا أمرٌ لابد أن تعرفه، لابد أن تعرف كيف تَتعبَّد للباري تبارك وتعلى، سواء أكانَت عبودياتٍ باطنة، أو كانت عبوديات ظاهرة، ظاهرة يعني: تكون بالجوارح وتكون باللسان، باطنة يعني: تقوم بالقلب.

الأمر الثالث: أن تعلم وتعرف حدود ما أنزل الله على رسوله ﷺ، وأمر به عباده، يعني: تعرف الحلال وتعرف الحرام، الله جل وعلا جعل لعباده حدودًا يجب أن يقفوا عندها فعلًا وترْكًا، فإذا أردت أن تَبيع أو تشتري أو تتزوج أو تطلق أو تأتي أو تَذَر، يجب عليك أن تعلم حدود ما أنزل الله على رسوله، فهناك أمور أباحها الله، لك أن تأتيها، وهناك أمورٌ حرمها الله يجب عليك أن تنتهي عنها، وهذا لا يمكن أن تصل إلى أدائه إلا من خلال العلم، إذًا هذا هو الأمر الأول، (معرفة الله تبارك وتعالى).

ثانيًا: (معرفة نبيه ﷺ)، أَلَا وهو نبينا الكريم: محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي المكي ثم المدني ﷺ تسليمًا كثيرا.

هذا النبي الكريم ﷺ الذي أخرجنا الله به من الظلام إلى النور، من الغواية إلى الهداية، من الضلالة إلى نور الحق.

هذا النبي ﷺ لابد أن تعرفه، وتعرف اسمه، وتعرف نَسَبه، وتعرف سيرته، وتعرف شمائله، وتعرف دلائل نُبوته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، حتى ترضى به ﷺ نبيًا، وبذلك تصل إلى مرحلة

أن تذوق طعْم الإيمان، قال ﷺ: «**ذَاقَ طَعْمَ الإيمان مَن رضي الله ربًا، وبالإسلام دِينًا، وبمحمدٍ ﷺ رسولًا**».

كيف تصل إلى الإيمان به، بل إلى الدرجة الأعلى، وهي أن ترضى به نبيًا وأنت تجهله، وأنت تجهل سيرته، وأنت تجهل شمائله، وأنت تجهل أيضًا دلائل نبوته ﷺ، ولا سيما في هذا العصر كما أسلفتُ، فإن هذا العصر هو عصر الشُّبه، وعصر التشكيك، لا سيما مع انتشار هذه الوسائل العصرية في التواصل، عن طريق الشبكة وعن طريق غيرها، هناك مُشكِّكون في النبي ﷺ، في دينه، في رسالته، في ما جاء به من عند الله عَزَّوَجَلَّ من الوحي، هذا كله يُحتاج منك معه إلى أن تكون على علم بشمائله ﷺ، وبدلائل نبوته ﷺ حتى تكون في حماية وحرْز بتوفيق الله من الوقوع في هذا التشكيك.

الأمر الثالث: (**مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بالأَدِلَّةِ**).

ولاحظ كلمة (**بالأَدِلَّةِ**) هنا، هذه هو الإيمان الذي ينفع غاية النفع، أن يكون عندك معرفة بالإسلام عن طريق الدليل، بعكس دِينِ وإيمان المُقَلِّد الذي هو إمَّعَة، فعَلَ مُقلَّدُه فعَل، تَرَك مُقلَّدُه تَرَك، وهذا -مع الأسف الشديد- ليس بالإيمان الراسخ الجازم، إيمان المقلد تقليدًا محضًا إيمان غير راسخ، إنما يكون الإيمان راسخًا جملة وتفصيلًا إذا كان عن عِلم بالدليل، إذًا لابد من معرفة دين الإسلام بالأدلة.

لاحظ أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عرَّف العلم بالمعرفة، فقال: (المسألة الأولى: العلم، وهو معرفة)، فالعِلم عرَّفه بالمعرفة.

فهل العلم هو المعرفة؟ أو بينهما عموم وخصوص؟

المسألة فيها بحث طويل عند علماء اللغة، ويبحث هذه المسألة أيضًا علماء الأصول.

منهم من قال: إن العلم هو المعرفة، وهذا يبدو أنه مما يرجحه المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يعني: أنهما لفظان مترادفان.

ومنهم من قال: إن المعرفة أخصّ من العلم، فالعلم أعمّ، والمعرفة أخص.

وعلى كل حال هذه الدقائق ليست من محل البحث في هذه الرسالة الوجيزة، هذا هو الأمر الثاني.

قوله: (**الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ**)، بعد أن تعلم لابد من خطوة ثانية، العِلم وحده خطوة غير كافية في النجاة، لا يمكن أن تنجو بالعلم فقط، بل لابد من العمل به، فعملٌ بلا علمٍ لا ينفع، وعِلم لا عمل معه لا ينفع، إذًا هما أمران متلازمان، العلم الذي يتبعه العمل، علمٌ بلا عمل لا ينفع، وعملٌ بلا علم لا ينفع، ولذا كان اليهودُ مغضوبًا عيهم، لِمَ؟ لأن عندهم علم، وليس عندهم عمل، وكان النصارى ضالين؛ لأن عندهم عمل، وليس عندهم علم، وكان أهل الهداية من هذه الأمة مُهتدين لأجل أنهم جمعوا بين العلم والعمل، إذًا لابد من العمل، لابد بعد أن تعلم أن تعمل، وإلا فإنك ما استفدت شيئًا، بل أضْحى العلمُ حجةً عليك، بل ربما صار العلم وبالًا عليك، إذًا لا يمكن أن تؤدي زكاة هذا العلم، وتَخرُج من عُهْدَته إلا بأن تعمل به، فأضحى العلم له زكاة وهي العمل به، إذًا لابد من العمل بعد العلم.

قوله: (**الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ**).

إذا آتاك الله عَزَّوَجَلَّ علمًا، وعملت به، فقد كمَّلْت نفسك، فبقي عليك أن تُكمِّل غيرك، وذلك بالدعوة إليه. إذًا الأمر الثالث الذي علينا أن نَتعلَّمه: أن نتعلم الدعوة إلى العلم الذي

تعلمناه وعملْنا به، والإسلام دِين محبة، دِين يعلمُ أتباعه أن يُحب الإنسان لأخيه ما يُحب لنفسه، ليس دينًا يدعو إلى الأَثَرَة، أو إلى ما يُسمونه الأنانية، المهم نفسي، المهم أن أنجو، وأما غيري فلا أَكْتَرِث ولا يهمني ذلك، هذا خُلُق بعيد عن خُلُق الإسلام، الإسلام يدعوك إلى أن تنجو، تحرص على نجاة نفسك، وأن تجذب معك وتنجو بإخوانك، هذا الذي يعلمك إيَّاه الإسلام، ولذلك أمر الله عَزَّوَجَلَّ بالدعوة، وأمر الله بالأمر بالمعروف، وأوجب الله النهي عن المنكر، وكل ذلك يدل على أنه لابد للمسلم بعد أن يعلم وبعد أن يعمل أن يجتهد في الدعوة.

والدعوة تشمل دعوة الموافق ودعوة المخالف، دعوة المسلم ودعوة الكافر، دعوة المستقيم بالتذكير والحثّ على الثبات، ودعوة مَن هو على غير الطريق المستقيم، بأن يعود ويَؤوب ويتوب، إذًا الدعوة قضيةٌ عامة، لابد منها لكل مسلم.

الدعوة ليست مختصةً بطائفةٍ معينة، هم موظفون ويأخذون أجورًا على الدعوة، أو مختصون بوظيفة الحِسْبة، أو هم المعلمون، هذه قضية واجبة على كل إنسان، حتى العاصي؟ نعم حتى العاصي، حتى المُقصِّر؟ نعم حتى المقصر، حتى الشخص الذي يعاقر معصية، والآخر بجانبه يعاقر معصية أيضًا، على هذا العاصي أن ينصح الآخر، وإن لم ينصحه فإنه مستحق للعقوبة مرتين، على معصيته التي وقع، وعلى عدم إنكاره على أخيه، أُنظُر إلى خطورة المسألة.

إذًا لابد -يا رعاك الله- من الاجتهاد في الدعوة إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولكن لا يمكن أن تدعو إلا بعِلم، وهذه قضية تحتاج إلى تفصيل.

بعض النَّاس يقول: كيف أدعو وأنا جاهل؟! وبعض النَّاس يقول: أنا أتصدر للدعوة ولو كنتُ ما حصلْتُ علمًا، لأن الدعوة أمرٌ واجب؟

والحقُّ هو في التفصيل، أمَّا التصدي للدعوة فإنه يلزمه تحصيل قدْرٍ من العلم يُمكّن لهذا التصدُّر، الذي يتصدر للدعوة، ويجلس لعامة النَّاس، ويوجه ويتكلم، وربما أفتى، هذا لابد أن يجلس للعلم ويتعلم أولًا.

أمَّا الدعوة بمعنى أنه عَلِم شيئًا من الدين فعليه أن يُبلّغه، هذا لا يحتاج أن يصل فيه إلى درجة عالم أو مجتهد حتى يصل إليه، قال ﷺ: «**بَلِّغُوا عَنِّي ولو آية**»، آية تعلمها، وهذا الشرط: أنك ما تدعو إلى آية تجهلها، لابد أن تكون تعلمها، تعلَّمت (لا إله إلا الله) ومعناها وشروطها ونواقضها، إذًا لابد أن تعلم هذا الأمر، لابد أن تدعو إليه، ولو كنت جاهلًا في تفاصيل أخرى، تعلَّمت كيف صلى النبي ﷺ، تعلمت أحكام نواقض الطهارة، تعلمت صفة صوم النبي ﷺ، وهكذا في أمورٌ أخرى، هذا القَدْر اُدْعُ إليه، ولا تَدعُ إلى قدْرٍ أنت فيه جاهل، «**بَلِّغوا عَنِّي ولو آية**» كما قال ﷺ.

قوله: (**الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ**).

العلم لابد فيه من الصبر، والعمل لابد فيه من الصبر، والدعوة لابد فيها من الصبر، إذًا الصبر زادٌ مُحرِّك مُعينٌ على تحقيق الأمور التي سلفت، لا يمكن أن تعلم أو تتعلم حتى تكون صابرًا، وهذه مِيزة يُفرق بها بين طالب العلم وغيره، مِيزة طالب العلم على غيره أن عنده صبرًا، وعنده جلدًا، ولذلك يصبر على التعلم حتى يحوز قدرًا كبيرًا منه.

كذلك العمل يحتاج إلى صبر، يحتاج إلى صبر أولًا في تعلّمه، وثانيًا في تطبيقه وأدائه

على الوجه المطلوب، وليس أن يؤديه كيف ما اتفق، أو كأنه هَمّ على ظهره يريد أن يتخلص منه، يحتاج هذا الأمر إلى صبر.

ثم يحتاج ثالثًا إلى صبرٍ عن الوقوع فيما يفسده، الآن هذا عمل طاعة، وأداها كما جاء في سُنة النبي ﷺ، إذًا هو الآن قد حاز قدرًا من الربح، هذا الربح يحتاج إلى أن تحافظ عليه، كيف تحافظ عليه؟ ألّا تأتي بعده بما ينقص هذا الربح، يعني: ينقص هذا الأجر، بمعنى، أَلّا يأتي بمعاصٍ تُذهِب أو تُضعِف الثواب، وهذا من الأمور التي قَلَّ أن يتنبه إليها النَّاس، فإنه كما أن الحسنات لها أثر على السيئات تكفيرًا، فكذلك السيئات لها أثر على الحسنات إحباطًا، انتبه لهذه القاعدة: (كما أن للحسنات تأثيرًا في السيئات تكفيرًا، فكذلك للسيئاتِ في الحسنات تأثيرًا إحباطًا)، كما أن الحسنة المتأخرة تؤثر في تكفير السيئة المتقدمة، فالعكس أيضًا صحيح، كذلك السيئة المتأخرة قد تؤثر في حبوط أو إنقاص أجر حسنةٍ متقدمة، ولذا أَمَر الله عَزَّوَجَلَّ بالحفاظ على الأعمال فقال: ﴿وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد:٣٣]، قال السلف رحمهم الله: بالمعاصي، فالمعاصي قد تكون سببًا في إبطال الثواب أو إنقاص الأجر، إذًا هذا يحتاج إلى صبر.

يحتاج أيضًا إلى صبر رابع: وهو الصبر على كتمان العمل، هذا أمر يحتاج إلى حبس وإلى مجاهدة للنفس.

بعض النَّاس يجتهد في العمل الصالح ويؤديه، ولكن لا يصبر على كتمانه، بل يحرص على أن يشيع أنه قد عمل، وهذا الذي يؤدي إلى إضعاف الثواب أو إبطاله، هذا من التَّسميع، ومن سمَّع سَمَّع الله به، كما قال ﷺ، يعمل، ويقوم الليل مثلًا، فإذا أصبح تريد أنه يتطلع إلى

أن يجد فرصة ليُخبر زميله بأنه قد قام الليل بالأمس، أو يتصدق سرًا، ولكنه عند أدنى مناسبة تجد أنه يشير إلى أنه بالأمس قد تصدق، مع أن المسلم ينبغي عليه كما أنه يحرص على كتمان سيئاته وعدم إشاعتها، الذي ينبغي في حقه أيضًا أن يحرص على كتمان حسنته، فشتان بين الدّيوانَين، ديوان العلانية، وديوان السر، احرِص على أن تكون حسناتك في ديوان السر ما استطعتَ، إلا أن يكون هذا العمل مما أمر الله عَزَّوَجَلَّ بإعلانه، كصلاة الجماعة أو الحج مثلًا.

إذًا: هذا هو الأمر الذي يجب عليك أن تتنبه له، الصبر على العلم، الصبر على العمل، الصبر على الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، الصبر على تعليم النَّاس، الصبر على الأمر بالمعروف، الصبر على النهي عن المنكر، وهذا لابد منه، لا يمكن أن تأتي بما أمر الله عَزَّوَجَلَّ عليك من الدعوة والبيان والبلاغ والأمر والنهي إلا إذا تسلحت بالصبر، ولِذا أمر الله نبيه ﷺ بهذا الأمر العظيم فقال: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**﴾ [الأحقاف:٣٥]، لا يمكن للداعية - وأعلى درجات الدعاة على الإطلاق هم أنبياء الله ورسله، وصفوتهم هم أُولو العزم، الخمسة الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام- هؤلاء كانوا أهل صبر عظيم، ولذا سُموا (أُولي العزم)، إذًا لا يمكن أن تقوم بهذا الواجب؛ وهو الدعوة والأمر والنهي إلا إذا تسلَّحت بالصبر، فإن الأمر لا يخلو من مشقة، ولا يخلو من كلام، ولا يخلو من مشاغبة، ولا يخلو من مضايقة، ولا يمكن أن يكون الطريق كما يُقال مفروشًا بالوَرد، بل لابد من شوك، ويتحمله الإنسان في ذات الله تبارك وتعالى، فيصبر ويُصابر، ويبالغ أيضًا في حبس النفس عن فعل ما لا ينبغي حتى يحقق ما أمَر الله عَزَّوَجَلَّ، ويفوز بما أوجب سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

وما أحسن ما قال ﷺ: «**وَمَا أُعطِي عَبْدٌ عطاءً خيرًا ولا أفضل من الصبر**»، خير ما تعطاه -

يا عبد الله- أن يرزقك الله عَزَّوَجَلَّ الصبر، صبْر على طاعة الله، صبر عن معصية الله، صبر على أقدار الله المؤلمة، هذه أنواع الصبر التي أوجبها الله تبارك وتعالى على عباده.

قوله: (والدليل قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللهِ الْرَّحمَنِ الْرَّحَيمِ﴾ ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر:١-٣]).

هذه السورة العظيمة الكلام فيها كثير، والفوائد المستفادة منها جَمَّة.

ولاحظ أولًا أن الشيخ يقول: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ)، يعلمنا ألَّا نقبل شيئًا إلا بدَلِيلِه، تعوَّد في أمور دينك على ألَّا تأخذ الشيء إلا مدعومًا بالدليل؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ أمرك بهذا، ما أمرك باتباع أيّ شيء، ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الأعراف:٣]، هذا الذي أوجبه الله عليك، ما أمَر الله عَزَّوَجَلَّ باتباع كلام النَّاس، وباتباع عُقولهم، وباتباع عَوائدهم، إنما أمر الله باتباع ما نزل من السماء، ما نزل من عنده تبارك وتعالى على أنبيائه ورسله، وقاموا بدعوة النَّاس إليه، و نبيّنا الذي أمرنا الله باتباعه هو النبي محمدٌ ﷺ، إذًا لابد من الدليل في كل صغير وكبير.

إذا قيل لك: هذه سُنة، هذا أمْر محبوب، هذا أمْر يحبه الله، أنت مُثاب إذا فعلته، قل مباشرة: الدليل؟ إن كان هناك دليل فعلى الرأس وعلى العين، وإن لم يكن هناك دليل فقل: لا حاجة لي به، لابد أن يكون هناك دليل في كل خطوة تخطوها في طريق عبوديتك وطريق وصولك إلى الله تبارك وتعالى وإلى رحمته، لابد أن تكون طَلَّابًا للدليل.

قوله: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بِسْمِ اللهِ الْرَّحمَنِ الْرَّحَيمِ: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ [العصر:١])، أقسَم الله تبارك وتعالى بالعصر، واختلف المفسرون اختلافًا طويلًا في تفسير كلمة (العصر) هنا.

قيل إن العصر: هو الدَّهر، يعني: الزمان.

وقيل إن العصر: هو وقت العصر.

وقيل إن العصر: هو صلاة العصر، إلى آخر ما قيل.

والصواب في هذا -والله تعالى أعلم-: أن العصر هو الزمان، يعني: الدهر، أقسم الله تبارك وتعالى به تفخيمًا لأمره، لِمَ؟ لأنه هو مَحَلّ النجاة أو الخسارة، الوقت من أعظم النعم التي أنعم الله عَزَّوَجَلَّ بها عليك، لأنك إذا استثمرته فإنك تكون من أهل النجاة، وإلا تكون من أهل الخسارة.

ولاحظ أن الله عَزَّوَجَلَّ أقسم بالعصر وهو مخلوق، والله عَزَّوَجَلَّ له أن يقسم بما شاء من خلقه تعظيمًا لهذا المخلوق، فالله عَزَّوَجَلَّ إذا أقسم بمخلوق كالعصر، كالسماء ذات البروج، كالسماء والطارق، إلى غير ذلك، فإن الله عَزَّوَجَلَّ له أن يقسم من خلقه بما يشاء، ولكن المخلوق ليس له أن يحلف أو يُقسم إلا بالله تبارك وتعالى، لِما في «الصحيحين» من قوله ﷺ: «**مَن كان حَالفًا فلْيَحلِف بالله أو لِيصْمُت**»، إذا أردت الحلف عندك طريق واحدة فقط، أن تحلف بالله، أو لا حَلِف، ليس في الإسلام حَلِف إلا بالعظيم تبارك وتعالى، وأمَّا سواه فلا يجوز الحلف به، بل الحلف بغيره تبارك وتعالى شرك بالله، قال ﷺ فيما خرَّج أحمد وغيره بإسناد صحيح: «**مَن حَلَفَ بغير الله فقد كَفَرَ أو أشْرَك**»، إذًا لا يجوز الحلف إلا بالله تبارك وتعالى.

قوله: (﴿**وَالْعَصْرِ**﴾)، ما جواب القسم؟ (﴿**إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾)، (الإنسان) هنا المراد به: جِنس الإنسان، يعني كأنه قال: إن النَّاس لفي خسر، بدليل؟ الدليل على أنه أراد جنس الإنسان، يعني جميع النَّاس: أنه استثنى فقال: (﴿**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا**

الصَّالِحَاتِ﴾)، الاستثناء كما يقولون: معيار العموم.

إذًا النَّاس كلهم حكم الله عَزَّوَجَلَّ أنهم في خسارة، وصدَق الله، النَّاس كلهم في خسارة، باستثناء من سمى الله عَزَّوَجَلَّ وذكَر.

والخسارة نوعان: قد تكون خسارةً مطلقة، وهذه للكفار -عافاني الله وإياكم منهم- الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة -نسأل الله عَزَّوَجَلَّ العافية من حالهم- هؤلاء لهم الخسارة المطلقة.

وهناك خسارةٌ جزئية، خسارةٌ نِسبية، وهي خسارة العصاة، خسارة أهل الكبائر الذين ما تاب الله عَزَّوَجَلَّ عليهم، وما غفر الله تبارك وتعالى لهم، فإن هؤلاء لهم خسارة، ولكنها ليست خسارةً مطلقة؛ لِأنهم إن لم يَعْفُ الله عَزَّوَجَلَّ عنهم فإنهم سيُعذبون، وسينالُهم من غضب الله عَزَّوَجَلَّ ونارِه، فقد تحقق في حقهم أن لهم خسارة، لكن ليست خسارة تامة، أو خسارة مطلقة.

ثم استثنى الله عَزَّوَجَلَّ أهل المسائل الأربع السابقة، (**﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾**)، هذه الأمور الأربعة تقابل المسائل الأربع السابقة.

فالعلم يقابله: الإيمان، لماذا؟

قال العلماء: لأن الإيمان مُستلْزَمٌ للعلم، يعني: العلم لازمه الإيمان، فذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى المُستَلْزَم وهو الإيمان، لأنه لا يمكن أن يكون إيمان البتَّة إلا بعلم، كيف يمكن أن تعبد الله عَزَّوَجَلَّ إذا كنت لا تعلم هذا المعبود، إذا كنت لا تعلم الرسالة ولا تعلم الرسول، ولا تعلم تفاصيل هذا الدين؟ إذًا لا يمكن أن تكون مؤمنًا إلا بقدْر من العلم، إذًا العلم لازمُه الإيمان، إذًا أشار سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلى هذه المسألة الأولى بقوله: (**﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾**).

فالمسألة الأولى هي العلم، يقابلها في الآية: (﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾)، بأيّ دلالة؟ قال العلماء: بدلالة اللزوم، (﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾).

ثم قال: (﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾)، هذه المسألة الثانية وهي العمل بالعلم.

ثم قال: (﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾)، التواصي بالحق هو المسألة الثالثة، وهي الدعوة إليه.

الأمر الرابع: (﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾)، هي المسألة الرابعة، وهي الصبر على الأذى فيه.

ولاحِظ معي: أن المذكور في هذه السورة العظيمة فيه ذكرُ عمومٍ وخصوص، قال: (﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾)، مع أنَّ الإيمان في الشريعة يتضمن العمل الصالح، الذي دلَّ عليه الكتاب والسنة، وإجماع العلماء: أن الإيمان مُكوَّن من ثلاثة أمور: من اعتقادٍ قلبي، ومن قولٍ لساني، ومن عملٍ بالجوارح.

كيف هنا يقول: (﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾)، والعطف يقتضي المغايرة؟

الجواب: أن العطف لا يقتضي المغايرة في كل حال، بَلْ هناك أحوال لا يكون فيها العطف بالواو يقتضي المغايرة، ومنها هذا الحال، قال العلماء: «هذا من باب عطف الخاص على العام»، يعني: من باب عطْف البعض على الكل، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى**﴾ [البقرة:٢٣٨]، أَلَيست الصلاة الوسطى من الصلوات؟ نعم، ولكن ذُكِر البعضُ بعد الكل تنبيهًا على البعض، إذًا (﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾)، أَلَيس التواصي بالحق والتواصي بالصبر من العمل الصالح؟ إذًا لماذا عطَفَه عليه؟ كما قلنا آنفًا من باب عطف الخاص بعد العام، أو من باب ذِكر البعض بعد الكل.

قوله: (قَالَ الشَّافِعيُّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ»).

الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو الإمام العظيم: الإمام محمد بن إدريس الشافعي، وهو أحد الأئمة الأربعة، وأقربهم نَسبًا من رسول الله ﷺ.

وُلِد سنة: خمسين ومائة للهجرة، وتوفي سنة: أربعٍ ومائتين للهجرة.

هذا الإمام الجليل علَّق على هذه السورة تعليقًا عظيمًا،: (لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ).

مُراده رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنه في باب العلم والعمل والدعوة والصبر، لو ما أنزل الله في هذا الباب إلا هذه السورة لَكَفَتْهم، ليس مراده أن هذه السورة تكفي عن الدين كله في شرائعه جميعًا، وعباداته جميعًا، في الصلاة والزكاة والحج والصيام، هذه السورة ليس مذكور فيها هذا الأمر، إنما مُراده حُجة في هذه المسائل المهمة الأربعة، وهي (العلم، والعمل، والدعوة، والصبر)، إذًا مراده هو هذا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وجاء عنه رواية في هذا الأثر، وهو أقرب إلى المعقول وأقرب إلى المفهوم، وهو أنه قال: «لو تَدَبَّر النَّاس في هذه السورة لكَفَتهم»، لأنها عند التأمل تدل على الدين كله، إما بدلالة المطابقة، وإما بدلالة التضمن، وإما بدلالة اللزوم.

قوله: (وَقَالَ البُخَارِيُّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- تَعَالَى: «بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد:١٩] فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ» قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ).

الإمام البخاري هو الإمام الجليل: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، المولود سنة أربعٍ وتسعين ومائة، والمتوفى سنة ستٍ وخمسين ومائتين.

صاحب الكتاب العظيم كتاب «صحيح البخاري» الذي هو أصح الكتب في حديث رسول الله ﷺ على الإطلاق.

هذا الإمام الجليل بَوَّب بابًا، يعني: ذكر بابًا في كتابه الصحيح، قال فيه: (**بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ**)، (**وَالْدَّلِيلُ**) انظر هنا تعليم -أيضًا- الإمام البخاري لنا أن نأخذ العلم بدليله، نأخذ الفائدة بدليلها، قال: (**وَالْدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ﴾**)، لاحظ أن الأمر جاء بالعلم، (**﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾**)، ثم عطف على هذا بالعمل اللساني، قال: (**﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾**)، إذًا بدأ الله تبارك وتعالى أولًا بالعلم، ثم ثنى بالعمل، إذًا العلم قبل القول والعمل.

والحمد لله رب العالمين

قال المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ ثَلَاثِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ، وَالْعَمَلُ بِهِنَّ:

الأولى: أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملا، بل أرسل إلينا رسولا، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عاصه دخل النار، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل:١٥-١٦].

الثَّانِي: أَنَّ اللهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨].

الثَّالِثَ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ، لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].



قَالَ الشَّارِح وفَّقَهُ الله:

فإن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أشار في هذه المقدمة الثانية في هذا المتن العظيم -الذي هو (ثلاثة الأصول- أشار إلى أنه يجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم هذه المسائل الثلاث التي سيأتي ذكرُها، وأن يعمل بِهِنَّ، هذا أمرٌ واجبٌ عَينيٌ على كل مسلم ومسلمة.

ومَن تأمَّل في هذه المسائل التي أوردها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يُدرك أنها حَريَّة بذلك، بل الشأن فيها أرفع من كونها واجبة، فهذا الذي ذكره الشيخ من أصول الإيمان ومن معاقد الدين، ومما لا يصح الإسلام إلا باعتقاده والعمل به، مسائل ثلاث، ومرَّ معنا في درس الأمس مسائل أربع.

إذًا أضحى ما أتحفنا به المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أضحى سبع مسائل، يجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلمها، المسائل التي تعلَّمنا وجوبها أمس هي (العِلم، والعمل، والدعوة، والصبر على الأذى).

أمَّا هذه المسائل فالشأن فيها أدق، والبحث فيها أخص.

المسألة الأولى: يجب عليك -يا عبد الله- أن تعلم أن الله عَزَّوَجَلَّ **(أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا)**، الله عَزَّوَجَلَّ هو الخالق، ﴿**هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**﴾ [فاطر:٣].

ولا يوجد موجود إلا وهو أحدُ أمرين: إما أن يكون خالقًا أو مخلوقا، والخالق هو الله عَزَّوَجَلَّ وحده، وما سِواه فمخلوق.

وهو الرازق جلَّ وعلا، هو الذي يُنعِم على عباده، ويتفضل عليهم بالرِّزق، فالرَّزقُ صفةٌ له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا أحد يرزق سواه جل وعلا.

إذًا: الله خلَقَنا، ورزقَنا، ولم يتركنا هملًا، ﴿**أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى**﴾ [القيامة:٣٦].

قال السلف رحمهم الله: «لا يُؤمَر ولا يُنهى!»، هذا عَبَث يُنزَّه الله تبارك وتعالى عنه، ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللهُ**﴾ [المؤمنون:١١٥-١١٦]،

يَتَعالَى الله عَزَّ وَجَلَّ عن هذا الظنّ، بل هذا هو ظن المشركين الكفار، ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [ص:٢٧].

وأمَّا المؤمن فإنه يعلم أن الله تبارك وتعالى ما خلق هذا الخلق عبثا، ولا خلق هذا الخلق سُدى، إنما خلق الخلق لحكمةٍ عظيمة، ونحنُ -معاشر المسلمين- نؤمن أن الله تبارك وتعالى متصف بالحكمة، حِكمة يفعل الله عَزَّ وَجَلَّ لأجلها، ويُقدر لأجلها، ويخلُق لأجلها، ويشرع لأجلها، حِكمة بالِغة له تبارك وتعالى.

اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إذا خلق، وإذا فعل، وإذا قدَّر، وإذا شرع؛ فإنما كان هذا منه لحِكمة يحبها تبارك وتعالى، فالله موصوف بالحكمة، وهو الحكيم، يعني ذُو الحكمة، يُنزه جل وعلا عن أن يكون شيءٌ منه عن عَبَث، هذا يَتَعالى ويتنزه عنه تبارك وتعالى.

إذًا: الله عَزَّ وَجَلَّ خلَق الخلق لحكمة، فما هي هذه الحكمة؟ هذه الحكمة هي الحق، ﴿وَخَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ ..﴾ [الجاثية:٢٢]، الله عَزَّ وَجَلَّ أراد أن يكون الحق، وما هو هذا الحق؟

هذا الحق هو غايةٌ مُرادَةٌ من العباد، وغاية مرادةٌ بالعباد.

الغاية من خلق النَّاس تحقيقُ أمرين.

قال أهل العلم: «هما أمران غايةٌ مرادةٌ من العباد، وغايةٌ مرادةٌ بالعباد».

أمَّا الغاية المرادة من العباد؛ فإنها عبادة الله عَزَّ وَجَلَّ وحده، قال سبحانه: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات:٥٦]، وقال سبحانه: ﴿**اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ**

عِلْمًا﴾ [الطلاق:١٢].

إذًا يتلخص لنا أن الغاية من العبادة، غايةٌ مطلوبةٌ من العباد: هي تحقيق معرفة الله عَزَّوَجَلَّ بأسمائه وصفاته، ثم عبادته تبارك وتعالى، **﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾** [الطلاق:١٢]، **﴿لِتَعْلَمُوا﴾**؛ هذه اللام (لام الحِكْمة) التي يسميها علماء اللغة (لام التعليل)، فالله عَزَّوَجَلَّ خلَق الخلق لأجل أن يعرفوه تبارك وتعالى بأسمائه وصفاته، **﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾** [الطلاق:١٢].

أمَّا الغاية التي تَتْبَع هذه: فهي القيام بالعبودية لله تبارك وتعالى، **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾** [الذاريات:٥٦].

أمَّا الغاية المرادةُ بالعباد، الشيء الذي أراده الله تبارك وتعالى بالعباد فهو جزاؤهم، يجازيهم تبارك وتعالى على الحسنات بفضله، ويجازيهم على السيئات بعَدْله.

أمَّا فضْله فهو الجنة ونعيمها، وما يتبع ذلك.

وأمَّا جزاؤه بالعدل فهو النار والعذاب.

إذًا الخلاصة التي نصل إليها: أن الغاية من خلق الخلق هي أمران:

- غايةٌ مرادةٌ من العباد، وهي أن يعرفوه، ثم يعبدوه وحده لا شريك له.

وأمَّا الغاية المرادة بهم: فهي جزاؤهم عدلًا أو فضلًا. الفضل جزاءٌ للحسنات، للإيمان، للتوحيد، والعدل جزاءٌ للسيئات والكُفر به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومحادّته ومحادّة رسوله ﷺ، **﴿وَخَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾** [الجاثية:٢٢]، إذًا هذا هو الذي خلَق اللهُ عَزَّوَجَلَّ الخلق من أجله.

قوله: (**بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ**).

اللهُ عَزَّوَجَلَّ من رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أرسل الرُسل، وأنزل الكتب لكي يكون هؤلاء الرُسل وسائط بين العباد وبين الله تبارك وتعالى، فيُعرِّفون العباد أولًا بالله عَزَّوَجَلَّ، ويُعرِّفونهم ثانيًا بما يحب وبما يكره، يعني: يُعرِّفونهم بالوسيلة التي توصل إليه تبارك وتعالى، ثم يُعرِّفونهم ثالثًا بالجزاء، إنْ أطاعوا ماذا لهم، وإن عصوا ماذا عليهم.

إذًا: تتلخص وظيفة الرُسل الذين أرسلهم الله تبارك وتعالى في هذه الأمور الثلاثة:

أولًا: تعريف العباد بربهم تبارك وتعالى.

ثانيًا: تعريفهم بالطريق المُوصِلة إليه جل وعلا، ماذا يحبُ فيعملون، وماذا يبغض فيَجتنبون.

ثالثًا: تعريف العباد بجزائهم، إنْ أطاعوا أو عصوا.

هذه خلاصة دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام.

ثم استدلَّ على هذا بقول جل وعلا: (﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا**﴾ [المزمل:١٥-١٦])، اللهُ عَزَّوَجَلَّ لم يكن بِعثته لنبينا محمدٍ ﷺ شيئًا جديدًا منه تبارك وتعالى، بل هذه سُنته في خلقه من قبل، لم يزل الله عَزَّوَجَلَّ يبعث الرسلَ لأجل تحقيق الغاية التي أرادها تبارك وتعالى من الخلق، ﴿**قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ**﴾ [الأحقاف:٩]، ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا**﴾ [النحل:٣٦]، إذًا الله عَزَّوَجَلَّ بعث نبينا محمدًا ﷺ كما بعث الأنبياء قبله، ومن أولئك: نبيّ الله وكَليمه موسى عليه السلام.

قوله: (﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾) هو موسى عليه السلام، ماذا كانت النتيجة؟ كانت النتيجة أن عصاه هو وقومه، (﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾)، أخذه الله عَزَّوَجَلَّ أخذًا شديدًا، وعذَّبه سبحانه عذابًا عظيمًا، ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦]، إذًا هذا الذي حصل لمن كفر بالله عَزَّوَجَلَّ، وهو فرعون وقومه، سيحصل لمن عصى نبينا محمدًا ﷺ وأَبَى الانقياد له.

مَن لم يرفع رأسًا بدعوة النبي ﷺ فإنه جدير وحقيق بأن يصيبه ما أصاب مَن عصى من قبل، فرعون ومَن كان على شاكلته، فلْتعلَم يا عبد الله ذلك، الأمر عظيم! هذه قضية يجب أن تكون نَصْب عين كل إنسان، اللهُ ما خلقنا لنأكل، وما خلقنا لنشرب، وما خلقنا لنشتغل بالوظائف والأعمال، الله عَزَّوَجَلَّ خلقنا لأجل طاعته تبارك وتعالى، فلا يجوز أن تكون هذه الحكمة العظيمة غائبة عن العباد، هذه القضية يجب أن تكون في أُسّ اهتمامك، وفي أساس تفكيرك يا عبد الله، خلقك الله عَزَّوَجَلَّ وأَمَدَّك بالنعم وربَّاك تربيةً إيمانية، وتربيةً حسيّة، كل ذلك لتحقيق عبودية الله تبارك وتعالى.

إذًا في كل خطوةٍ تخطوها في هذه الحياة يجب أن تستحضر هذا الأمر، فتكون أفعالك وتكون حركاتك وسكناتك كلها منطلقة من هذا الأصل الذي أنت مستيقن به أنك عبْد لله عَزَّوَجَلَّ، أنك مطيعٌ لرسوله ﷺ، وينتظرك في الآخرة الجزاء، فإن أطعت الله وأطعت رسوله ﷺ فأبشر بالخير، أنت على طريق النجاة، أنت من الفائزين عند الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا هو الفوز الحقيقي، هذا هو الفوز العظيم.

أمَّا من غلبت عليه الشَّقْوة، وانصرف عن هذه الحقيقة العظيمة؛ فليبشر بما يسوءه،

(﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾).

قوله: (الثَّانِيَة: أَنَّ اللهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]).

هذه المسألة الثانية، وهي مسألةٌ عظيمة، فتَنبَّه لها يا عبد الله، أن الله عَزَّ وَجَلَّ لا يرضى بالشرك به، هذه قضية يجب أن تكون معلومةً لك.

القضية الأولى: يجب أن تعلم أن الله خلقنا لغايةٍ عظيمة، وهي غايةٌ مرادةٌ بنا، وغايةٌ مرادةٌ منّا.

الغاية المرادة منّا: أن نعبد الله عَزَّ وَجَلَّ، والغاية المرادة بنا: أن نُجازَى على أعمالنا.

الحقيقة الثانية، والمسألة الثانية: الله عَزَّ وَجَلَّ لا يرضى الشرك به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالشرك مبغوض لله سبحانه، أشدُّ البغض منه تبارك وتعالى هو للشرك به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الله عَزَّ وَجَلَّ أغنى الشركاء عن الشرك، فمن أشرك مع الله تبارك وتعالى شيئًا فإن الله عَزَّ وَجَلَّ يتركه وما أشرك.

الشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ: هو جَعْل غير الله عَزَّ وَجَلَّ عِدْلًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بمعنى: أن يُجعل غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يُجعل له شيئًا مما يختص به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **وما يختص به جل وعلا ثلاثة أمور:** الربوبية، والأسماء والصفات، والألوهية.

الأمر الأول: الربوبية شيءٌ اختص الله تبارك وتعالى به، فالخلق والرَّزق والتدبير وما إلى هذه المعانِ شيءٌ أختص الله تبارك وتعالى به، فمن جعل غير الله عَزَّ وَجَلَّ شريكًا مشاركًا مضارعًا لله عَزَّ وَجَلَّ في شيءٍ من معان الربوبية فإنه يكون قد وقع في الشرك.

الأمر الثاني: الأسماء والصفات، لله عَزَّ وَجَلَّ أسماء وصفات اختص بها، فمن جعل هذه

الصفات لله عَزَّوَجَلَّ لغيره سُبْحَانَهُوَتَعَالَى فقد أشرك مع الله تبارك وتعالى، من قال إن غير الله عَزَّوَجَلَّ مثْل الله، هو الأول وهو الآخر وهو الظاهر وهو الباطن، نقول: قد وقع في الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]، ليس هناك سَمِيّ لله، يعني: ليس هناك كفوءٌ لله عَزَّوَجَلَّ، ولا نظير لله عَزَّوَجَلَّ، إذًا مَن جعل شيئًا مما اختص الله عَزَّوَجَلَّ به من الصفات لغيره فقد أشرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

الأمر الثالث: الشرك مع الله عَزَّوَجَلَّ في الأمر العظيم الذي اختص به ثالثًا وهو عبادته جل وعلا، العبادة حق لله خالص، لا يجوز البتة أن تكون عبادةٌ لغير الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، فمن جعل غير الله معبودًا فقد أشرك مع الله سبحانه، هذا الشرك الله لا يرضاه، الله لا يحبه، الله يغضبُ على من فعله، وعلى من وقع في هذا الأمر أن يكون من هذه القضية على ذُكْر، انتبه! الله لا يرضى أن يُشرك معه غيره، حتى لو كان نبيًا مرسلًا، أو ملكًا مقربًا، وبالتالي فمَن دُونهم من باب أولى.

إذا كان الله لا يرضى أن يُشرك معه في عبادته، أو في ربوبيته، أو في أسمائه وصفاته، ولو ملكًا مقربًا، أو نبيًا مرسلًا، فكيف بغيره؟! إذًا على الإنسان أن يحذر من هذه القضية العظيمة، الشرك أكبر جريمة على وجه الأرض، الشرك هو الذنب الوحيد الذي لا يُغفر البتَّة لمن مات عليه، كل ذَنب عدا الشرك فإنه قابل للمغفرة، أمَّا الشرك فمستحيل، من مات وقد بقي على شِركه، وما تاب إلى الله منه فهذا لا أمل له، هذا يائِس من رحمة الله، ﴿أُوْلَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾، ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨].

الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ هو الذنب الوحيد الذي يُحبط جميع الأعمال.

الشرك بالله إذا وقع فيه الإنسان ومات عليه فإنه -والعياذ بالله- يُبطِل كل حسنة وكل عمل صالح قام به الإنسان في حياته، سبحان الله العظيم، أمرٌ خطيرٌ جدًا.

أَرأَيت لو أن إنسانًا عاش في هذه الحياة ثمانين أو تسعين سنة، قضاها أو قضى عامتها في طاعة وخير وصلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وذكر وتلاوة القرآن وقيام للّيل، لكن في آخر دقيقة في حياته أشرك مع الله عَزَّوَجَلَّ، دعا غير الله، قال: (يا سيدي فلان، المددَ المددَ)، أشرك مع الله عَزَّوَجَلَّ في الدعاء، وهل الدعاء عبادة؟ مَن الذي قال هذا؟ نَبِيّنا ﷺ قال لنا: «**الدُّعاءُ هو العبادةُ**»؛ هذا ليس كلامنا، هذا كلام النبي ﷺ، قال ﷺ في الحديث الصحيح: «**الدُّعاءُ هو العبادةُ**»، انتهت القضية، بَتَّ في هذه القضية نبينا ﷺ.

إذًا: إذا كان الدعاء عبادة، إذًا هذا حقٌّ لله عَزَّوَجَلَّ، من صرفه لغيره، من أدَّى هذا الحق لغير الله ماذا يكون؟ يكون مشركًا مع الله عَزَّوَجَلَّ، إذًا من دعا غير الله يكون مشركًا، ثم مات هذا الإنسان، ما مَصير ثمانين سنة كلها أعمال صالحة؟ لا شيء، ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا**﴾ [الفرقان:٢٣]، بسبب الشرك، يا سيدي فلان المدد، أربع كلمات كم أخذت من وقت؟ خمس ثوان وإلا أقل؟ هذه الثواني القليلة لأنه وقع فيها شرك أصبحت هادمة لكل تلك الحسنات في كل تلك السنين، إذًا أيّ شيءٍ أخطر من الشرك الله عَزَّوَجَلَّ، قضية عظيمة، ولذلك كل ما عظم إيمان المسلم كان خوفه من الشرك أعظم، ولذا تأمل قول الله جل وعلا عن إبراهيم عليه السلام: ﴿**وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ**﴾ [إبراهيم:٣٥]، سبحان الله، إبراهيم عليه السلام، ومَن إبراهيم؟ أفضل البشر على الإطلاق بعد نبينا ﷺ، خليل الله عَزَّوَجَلَّ، الله ما اتخذ من البشر خليلًا إلا اثنان، اتخذ نبينا ﷺ، واتخذ إبراهيم خليلا، إمام

الموحِّدِين، أبو الأنبياء عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومع ذلك يدعُ الله عَزَّوَجَلَّ دعاءً حارًا، يقول: ﴿**وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ**﴾ [إبراهيم:٣٥]، لِمَ؟ لأنه يعلم خطر الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، مع أنه نبي ورسول، ومعصوم من الوقع في الشرك، ومع ذلك يخاف على نفسه.

قال إبراهيم التيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمَن يأمن البلاء بعد إبراهيم!»، إذا كان إبراهيم عليه السلام وهو هو يخشى ويخاف على نفسه، ويدعُ الله أن يجنبه وبينه عبادة الأصنام، فكيف بنا يا أيها الإخوان!!

الشركُ بالله عَزَّوَجَلَّ ذنبٌ لا يمكن أن يُقارَن به غيره البتة، ولذا شدد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في شأنه أعظم تشديد، وصوره بأقبح صورة، قال: ﴿**وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**﴾ [الحج:٣١]، خطورةٌ عظيمة لمن يقع في الشرك بالله تبارك وتعالى، إذًا عليك -يا عبد الله- أن تحذر من ذلك، اللهُ عَزَّوَجَلَّ لا يمكن أن يرضى أن يُشرك به تبارك وتعالى، حتى ولو كان هذا الذي جُعل شريكًا لله عَزَّوَجَلَّ ذا مرتبةٍ عظيمة، حتى لو كان نبيًا، حتى لو كان نبينا محمدًا ﷺ، الذي هو سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلم، الذي هو خير البرية عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومع ذلك يجب أن تعرف أن لله حق، وأن للنبي ﷺ حق، فالرَّب ربٌ، والعبد عبدٌ.

نبينا ﷺ رسولٌ من عند الله عَزَّوَجَلَّ، وهو أكرم البشر، وأحبهم عند الله تبارك وتعالى، ومع ذلك لا يجوز أن تُصرف العبادة له عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

نبينا ﷺ عبْدٌ لا يُعبد، ورسولٌ لا يُكذب، بل يُطاع ويُتبع عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بل هو ﷺ الذي علمنا هذا الأمر، ولذلك اشتدَّ غضبه ﷺ لرجل قال: (ما شاء الله وشئتَ)، أخطأ في العبارة،

غضب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، اعتبر هذه الجملة جملةً قبيحة، فقال: «**أَجَعَلْتَنِي لله نِدًا؟ قُلْ: ما شاء اللهُ وَحْدَهُ**»، عبارة فقط، فكيف لو سمع النبي ﷺ من يقول: (يا رسول الله أغثني)، من يقول (يا رسول الله اغفر ذنبي)، من يقول (يا رسول الله المددَ المددَ)، ما ظنكم أن يفعل نبينا ﷺ؟ والله إنه ليغضب من هذا القائل أعظم من غضبه لمن قال: ما شاء الله وشئتَ، وهذا أمرٌ قطعي لا شك فيه ولا شُبهة.

إذًا: اللهُ عَزَّوَجَلَّ لا يرضى أن يُشرك به، ولو كان هذا الذي أُشرك مع الله ملكًا مقربًا أو نبيًا مرسلا، ما الدليل؟

لاحظ أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا زال يُعلّمنا ويسير بنا على المنهج الصحيح، وهو أن نتعلم العلم بدليله، يعلمنا دائمًا الدليل، خُذ الحكم بدليله، لا تأخذ هذا الكلام لأنه كلامي، لكن خُذ هذا الكلام لأن عليه دليلًا من كلام الله وكلام رسوله ﷺ.

قال: والدليل قول الله تعالى: (﴿**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا**﴾ [الجن:١٨])، (اللام) هنا تقتضي الاختصاص، هذه اللام تدل على أن المساجد خاصةٌ لله عَزَّوَجَلَّ، وبالتالي فلا يجوز أن يُشرك مع الله عَزَّوَجَلَّ أحد.

ولاحظ أنه قال: (﴿**فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا**﴾)، كلمة (أحدًا) كلمة نكرة، وهي في سياق النهي، قال العلماء: «النكرةُ في سياق النهي تَعُمّ»، إذًا لا يجوز أن يُشرك مع الله عَزَّوَجَلَّ أيُّ أحد، ولو كان مَن كان.

واختلف العلماء في معنى (المساجد) هنا، لهم في هذا خلاف، وتعددت أقوالهم في تفسير المساجد.

منهم من قال: إن المساجد هي المواضع المخصصة للعبادة، هي المساجد المعهودة، كهذا المسجد الذي نحن فيه الآن، ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن:١٨]، وهذا مرويٌّ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان اليهود والنصارى إذا دخلوا بِيَعَهم وكنائسهم أشركوا مع الله عَزَّوَجَلَّ، اليهود والنصارى إذا دخلوا معابدهم فإنهم يشركون مع الله عَزَّوَجَلَّ، يدعون عُزيرًا، أو يدعون عيسى عليه السلام، أو يدعون مريم، يقعون في الشرك، الله ينبهنا ويحذرنا بأن لا نكون كأولئك، فإذا دخلنا المساجد فإننا نخصها بطاعة الله تبارك وتعالى، ولا نشرك مع الله عَزَّوَجَلَّ في هذه المساجد أي أحد، نجعل العبادة في المساجد خالصةً لله تبارك وتعالى، (﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾).

قال بعض أهل العلم: المساجد هي الأرض كلها، لأنها جميعًا موضع للصلاة، «**وَجُعِلَت لي الأرضُ مسجدًا ..**»، إذًا كأنه قال: فلا تشركوا بالله عَزَّوَجَلَّ في أي موضع.

القول الثالث: قالوا: هي مواضع أو أعضاء السجود، وبالتالي (﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ﴾) أي: أنكم لا تستعملوا هذه الأعضاء في طاعة غير الله تبارك وتعالى، استعملوها هذه المساجد - يعني: هذه الأعضاء- في طاعة الله تبارك وتعالى وتوحيده.

القول الرابع: أن المساجد بمعنى: السجود، مساجد، ومفردها: (مَسجِد أو مَسجَد)، كثير من اللغويين يقولون إن المفرد مَسجِد، وذهب بعضهم كابن قُتيبة إن المفرد: (مَسْجَد)، وأصحاب هذا القول معنى ما ذكروا قريب من القول الثالث، يعني: لا يكون السجود إلا لله تبارك وتعالى، (﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ﴾) يعني: أن السجود لا يكون إلا لله تبارك وتعالى.

قال: (﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾) خاصة، خاصية لله عَزَّوَجَلَّ، لا يُشرك مع الله فيها.

قال: (﴿فَلا﴾)، (لا) أداة نهي صريحة، (﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾).

- **الدعاءُ ينقسم إلى قسمين**: دعاء عبادة، ودعاء مسألة.

دعاء العبادة: هو كل أنواع العبادة، أي عبادة لله عَزَّوَجَلَّ فإنه ينطبق عليها أنها دعاء، وبالتالي فلا يجوز صرف أي عبادة لغير الله تبارك وتعالى.

وضابط العبادة: أن يكون فِعل أو قول يُحبه الله ويشرعُه لنا، يعني: يجعله طاعةً لنا أو طاعةً علينا له تبارك وتعالى.

كل شيء تعلم أن الله يحبه وشرعه لعبادة فاعلم أنه عبادة، وبالتالي الصلاة عبادة؛ لأن الله يُحبها، وشرعها لنا، الدعاء عبادة؛ لأن الله يُحبه وشرعه لنا.

إذًا: كل ما علمت أن الله يُحبه ويشرعه لنا فهو عبادة، أو كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعريف العبادة: «هي اسْمٌ جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه»، يُحبه ويرضاه، يعني: يرضاه لنا، يشرعه لنا، يرضى أن نكون طاعةً له تبارك وتعالى، «اسم جامع لكل ما يُحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة»، ظاهرة يعني: بالجوارح، بالأعضاء تقوم بها، بجسدك بلسانك، أو باطنة تقوم بها بقلبك، وسيأتي لهذه العبادة شرح مفصَّل ومفسَّر إن شاء الله تعالى في ما سيأتي.

قال: (﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾)، هذا النوع الأول، إذًا كل عبادةٍ تسمى دعاءً، لماذا؟ قالوا: لأن كل عابدٍ لله كأنه يدعو الله عَزَّوَجَلَّ بهذا العمل، كأنه يسأل الله عمليًا، يصلي وحقيقة الحال لسان حاله يقول: يا الله اغفر لي بهذه الصلاة، يصوم ولسان حاله يقول: يا الله ارحمني

بهذه الصلاة، **إذًا حقيقة الأمر**: أن العبادة أضحت سؤالًا عمليًا، فصح فيها أنها دعاء.

والنوع الثاني: دعاء المسألة، يعني: هذا السؤال المصدر بـ«ياء»، (يا الله، يا رحمن، يا رحيم)، وهذا الذي يتبادر إلى الذهن من كلمة (دعاء)، إذا سمعنا دعاء فالغالب أنه لا يتبادر إلى الأذهان إلا دعاء المسألة.

إذًا: ما كان من أنواع الدعاء، يعني: العبادة عمومًا أو ما كان خصوصًا، وهو الدعاءُ الذي هو السؤال، والطلب فإن هذا يجب أن يكون لله تبارك وتعالى، ومتى ما صُرِف لغير الله عَزَّوَجَلَّ فقد وقع الإنسان في حَمْئَة الشرك، وقع في أكبر جريمة على وجه الأرض.

- متى يكون الدعاءُ شركًا بالله عَزَّوَجَلَّ؟

الجواب: يكون الدعاءً شركًا في ثلاث صور، متى ما سأل الإنسان فيها، متى ما طلب فيها فقد وقع في الشرك الأكبر المخرج من الملة.

أولًا: سؤال الميت مطلقًا، سواءً كان عند قبره أو بعيدًا عنه، أيّ سؤال يتوجه به الإنسان للميت فقد أشرك مع الله عَزَّوَجَلَّ الشرك الأكبر، أضحى حُكمه حُكم أبي جهل وأبي لهب سواء بسواء، لا تستسهل هذه المسألة، هذا الأمر في غاية الخطورة، ﴿**إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ**﴾ [فاطر:١٤]، إذًا أشركتم مع الله إذا دعوتم غير الله عَزَّوَجَلَّ من الأموات، إذًا هذه الصورة الأولى، أي دعاء لميت، سواءً كان نبيًا، أو كان ملكًا، أو كان وليًّا صالحًا، أو كان وليًّا طالحًا، أيُّ ميت يُسأل يُدعى يُطلب منه وقع مَن فعل هذا في الشرك الأكبر، عافاني الله وإيَّاكم.

ثانيًا: دُعاء الحي الغائب، الطلب من الحي الغائب، هذا حي ليس بميت، لكنه ليس

حاضرًا عندك، ولا في حكم الحاضر عندك، يعني ليس تكلمه بالهاتف مثلًا أو نحو ذلك، هذا غائب، كأن يقول إنسان: (يا شيخي فلان، يا سيدي فلان أنقذني أغثني)، أنا الآن في المدينة، لو قلت هذا وشيخي مثلًا في مكة، أكون قد أشركت بالله عَزَّوَجَلَّ، إذا دعا الإنسان إذا سأل الإنسان حيًا غائبًا فقد أشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، صرْف لُبّ العبادة لغير الله، اعتقد أن غير الله له سمع عام، وله علم شامل، وعنده قدرة وسلطان على أن يوصل الخير بغير الأسباب المَعهودة، وهذا ليس إلا لله عَزَّوَجَلَّ، إذًا هذا جعل غير الله مثل الله.

ثالثًا: أن يدعو حيًا حاضرًا في ما لا يقدر عليه إلا الله، يدعو حيًا ليس بميت، وحاضر ليس بغائب، ولكن يسأله شيئًا لا يقدر عليه إلا الله، كأن يأتي مثلًا عند الولي ويقول: يا سيدي فلان ما عندي ولد، أُريد الولد، من الذي يهب الأولاد؟ الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿**يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ**﴾ [الشورى:٤٩]، إذًا لا يجوزُ أن تسأل أحدًا شيئًا في ما لا يقدر عليه إلا الله عَزَّوَجَلَّ، هذا لا يجوز أن تسأله غير الله، أو يقول مثلًا: يا سيدي فلان أنبت لي الزرع، أنزل لي المطر، اغفر ذنبي، ﴿**وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ**﴾ [آل عمران:١٣٥].

إذًا هذه صورٌ ثلاث يجب أن نتنبه لها، من وقع في واحدةٍ منها فقد أشرك مع الله عَزَّوَجَلَّ الشرك الأكبر.

وبالتالي: نفهم أن من سأل حيًا حاضرًا شيئًا في قدرة البشر فإنه لا يكون مشركًا، من سأل حيًا حاضرًا في قدرة البشر فإنه ما أشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، ومهما كان فاحرص ما استطعت على عدم سؤال أحد، استغناءً بالله تبارك وتعالى، وقد أخذ النبي ﷺ البيعةَ على جماعةٍ من أصحابه (ألّا يسألوا النَّاس شيئًا)، لأنك إن سألت أحدًا فأنك تكون قد ذَلَّلْت له، والأَولى بالمسلم أن

يستغني بالله عَزَّوَجَلَّ.

قال جل وعلا: (﴿فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾) وهذا أمرٌ يجب أن نتنبه له، ونهي عظيم يجب أن ننتهي عنه، أمرٌ لعبادة الله وحده، ونهي عن الشرك به جل وعلا.

قوله: (الثَّالِثَ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ، لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢]).

هذه مسألة ثالثة مهمة، وما أكثر الغفلة عنها في هذا الزمان المتأخر، نبهنا الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على مسألة عظيمة، وهي مسألة البراءة من أهل الشرك.

الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ له لوازم، **مِن لوازم الإيمان**: أن يحب الإنسان أهل الإيمان، وأن يبغض الشرك وأهل الشرك؛ لأن الشرك معاندة لله تبارك وتعالى، بل هو أعظم معاندة لله عَزَّوَجَلَّ، بل هو الذنب الوحيد الذي لا شهوة تدعو إليه، ولذا كان أشنع الذنوب على الإطلاق، الشرك ذنب ليس هناك شهوة نفسية تدعو إليه، إنما هو مرض في القلب، فساد محض، أي ذنب آخر إذا سرق الإنسان لأن هناك شهوة للمال، يريد المال، يريد يتملك، هذه شهوة مركبة في الإنسان، يزني -عافاني الله وإياكم- لِمَ؟ لأن عنده شهوة للنساء، لكن لماذا يشرك؟ ليس هناك شهوة في النفوس للشرك، إذاً هذا فساد محْض، هذا مرض -والعياذ بالله- مستولٍ على القلب، صاحبه مريض، قلبه مريض عافاني الله وإياكم، ليس له سبب يدعوه إلى أن يُشرك بالله

عَزَّ وَجَلَّ.

إذًا هذا الذنب العظيم الذي هو أشنع الذُنوب على الإطلاق من لوازم الإيمان: أن يُبغض، وأن يُبغَض أهلهُ، ولذا تأمل معي في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ**﴾ [الممتحنة:٤]، انتبه، هذا تنبيه من الله عَزَّ وَجَلَّ لنا، أن يكون إبراهيم عليه السلام، والمؤمنون معه قُدوةً لنا، ومثالًا نَأتسي به، ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ**﴾ ماذا فعلوا؟ ﴿**إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ**﴾، قومهم كفار مشركون، ﴿**إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ**﴾، لاحظ: البراءة كانت من المشركين قبل المعبودات، ﴿**إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ**﴾، ما حقيقة هذه البراءة؟ قال: ﴿**كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا**﴾، إلى ما لا نهاية أبدًا، فقط في حالة واحدة إلا، ﴿**حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ**﴾، فقط في هذه الحالة تنتهي هذه العداوة وهذا البغضاء، إذا آمنتم بالله عَزَّ وَجَلَّ وحده انتهت العداوة وانقلبت إلى ولاية، انقلبت إلى محبة في الله تبارك وتعالى.

إذًا: من لوازم الإيمان: بُغض الشرك، وبُغض أهل الشرك، والبراءة منهم، وهذا الموضوع موضوع دقيق ويحتاج إلى تفصيل، وذلك أن موالاة الكفار ذنب عظيم، الموالاة أصلها المحبة، ثم لها فروع بعد ذلك، النصرة والمصادقة وما إلى ذلك، هذه فروع لوقوع المحبة في القلب، أصل الموالاة المحبة، ولها بعد ذلك ثمرات، ولها بعد ذلك فروع.

هذه الموالاة قد تكون كفرًا بالله عَزَّ وَجَلَّ، وقد تكون معصية، ولابد حين الحُكم على هذه القضية من التفصيل، قد تكون الموالاة كفرًا بالله عَزَّ وَجَلَّ، **من ذلك** ما نص عليه علماء التوحيد في نواقض الإسلام (مظاهرة المشركين ومُعاونتهم على المسلمين)، من ذلك المَسَرَّة بارتفاع

دين الكفار، يفرح إذا كان الكفار وأهل الكفار ودينُهم ارتفَع، في مقابل أنه يحزن إذا انخفض حال أهل الإسلام، والله المستعان.

من ذلك أيضًا: محبةُ الكفارِ لأجل كفرِهم، يعني: يرى كافرًا ملتزمًا بدِينه الباطل، فيُحبه لالتزامه بهذا الدين، يرى شخصًا يسجد لصنم، فيُحب منه هذا الفعل، هذه -والعياذ بالله- موالاة كفرية، يُحب الكافر لأجل كُفره.

أمَّا التي هي دون ذلك، والتي تكون معصية لله تبارك وتعالى، فذلك بأن يُحب الكفار لأمرٍ دنيوي، لا يُحب الكافر لأجل كفره، إنما يُحبه لأجل أمرٍ دنيوي، كما يحصل من كثير من العصاة أنهم يحبون لاعبين، أو يُحبون ممثلين أو فنّانين أو ما إلى ذلك، ولا يُحبه لكفره، بل يجب أن يبغضه لأنه كفر بالله تبارك وتعالى، لكنه يُحبه لأمرٍ دنيوي، لصداقة، لجيرة، لقرابة، إلى غير ذلك، فمثل هذا لاشك أنه معصية، والعلماء في هذا الباب منهم من يجعل المسألة على قسمين، يقولون: موالاة تامة، وموالاة ناقصة أو جزئية، ومنهم من يجعل الموالاة التامة اسمها (تَوَلّي)، والموالاة الناقصة يسميها (الموالاة)، يعني: يفرق بين التولّي والموالاة.

التولّي يعني: الموالاة الكاملة، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:٥١]، هذا هو الكفر بالله عَزَّوَجَلَّ، أمَّا ما كان دون ذلك، المحبة لأجل أمر دنيوي، أو مشابهتهم فيما هو من خصائصهم وما شاكل ذلك، فإن هذا يُعتبر من موالاة التي هي دون هذا الأمر.

الشاهد: أن التوحيد والإيمان يقتضي من المسلم أن يكون متباعدًا من الكفر ومن أهل الكفر، لأنه يغار على حُرمات الله عَزَّوَجَلَّ، هذا الكافر بالله عَزَّوَجَلَّ يُبغض دينك، ويكفر بنبيك ﷺ،

يقول: النبي محمد ﷺ هذا كاذب، ليس برسول، ومع ذلك تُحبه وتواليه، كيف يتأتى هذا مع الإيمان، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ**﴾ [الممتحنة:١]، لاحظ: ﴿**عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ**﴾، عدوٌ لله عَزَّوَجَلَّ، كيف تتخذه وليًا، ﴿**لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ**﴾ [الممتحنة:١]، كيف يَتأتَّى هذا الأمر؟ هو يكفر بما جاءك من الحق، يكفر بالإسلام، بالقرآن، بنبي الإسلام ﷺ، وأنت تقابله بالمحبة، هذا يتنافى مع الإيمان الواجب يا عبد الله، إذًا لا يجوز لك أن تبادل هؤلاء الكفار بهذه المحبة، ولذا قال ﷺ: «**أَوْثَق عُرى الإيمانِ: الحُبُّ في الله، والبُغْضُ في اللهِ**»، من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان، إذًا هذه قضية مهمة، ينبغي على المسلم أن يتنبه لها، وما أكثر التفريط فيها مع الأسف الشديد، وما أقل التنبُّه والتنبيه عليها مع الأسف الشديد في هذا الزمان، لكن هذا كله جانب، جانب الموالاة شيء، لكن لابد أن نتنبه إلى جانب آخر، وهو جانب المعاملة، المعاملة شيء، والموالاة شيء آخر.

المُعاملة يَحكُمها قول الله جل وعلا: ﴿**لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ [الممتحنة:٨]، إذًا المعاملة بالحسنى، التعامل معهم في أمور دنيوية، تبادل المصالح بيننا وبينهم هذا أمرٌ مباح، ولا سيّما إذا صحب ذلك نِيّة الدعوة، يتلطف الإنسان بهم لأجل دعوتهم، ولأجل كسب قلوبهم، والنبي ﷺ تعامل معهم، استأجر عبد الله بن أُريقط وهو مشرك على دين قومه في قضية عظيمة، وهي الدلالة على طريق الهجرة.

النبي ﷺ زار عَمَّه أبا طالب وهو على دين الكفر في آخر لحظات حياته ليدعوه إلى الله،

وزارَ ابنَ جارِه اليهودي لأجل أن يدعوه إلى الله وهداه الله عَزَّوَجَلَّ إلى الإسلام بسببه، وهكذا في نظائر كثيرة في سيرة النبي ﷺ، تدل على أن التعامل مع الكفر ولو كان في أمرٍ عظيم فإنه لا حرج فيه، ولذا النبي ﷺ استعار يوم حنين من صفوان رضي الله عنه -وكان إذ ذاك مشركًا أَدْرعًا- وهذا من الأمور التي فيها تعامل، والأمور التي فيها تبادل، وفيها تحصيل مصالح بين المسلمين وبين الكفار، هذه قضية لا حرج فيها شرعًا، بشرط أن تبقى القضيةُ العقدية ثابتة، القضية العقدية قضية تتعلق بالقلب، تعتقد بُغضه وتعتقد كفره، هذا شيءٌ لا تُسامح فيه.

أمَّا المعاملة فتختلف، إن كان كافرًا ما قاتلنا وما أخرجنا من ديارنا وما سَبَّ ديننا ولا تعرض للمسلمين فإنه لا حرج في التعامل معه، وأما إن كان حربيًا فإنه يُعامل بحسب ذلك، فالمعاملة شيء والعقيدةُ القلبيةُ شيءٌ آخر.

والحمد لله رب العالمين

قال المصنّف رَحِمَهُ اللهُ:

اعْلَمْ - أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ - أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ: التَّوْحِيدُ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ، وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ: الشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦].

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



قَالَ الشَّارِح وفَّقَهُ الله:

فهذا الذي ذكره الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هو خاتمة مقدمة الشيخ لِكتابه العظيم «ثلاثة الأصول».

هذا التنبيه تنبيهٌ في بيان حقيقة مِلَّة إبراهيم عليه السلام.

قوله: (اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ)، ولا يزال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يُعلِّم المعلمين أسلوبًا فيه تلطيفٌ وتحبيبٌ للمتعلم في العلم، وهو الدعاءُ له.

قوله: (اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ)، ومَن أرشده الله لطاعته فإنه يكون الفائز حقًا.

قوله: (أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ)، «مِلَّة» منصوبةٌ عن البدلية، أو على أنها عطف بيان.

(الحنيفية): هي ملة إبراهيم.

وأصْل الحَنَف في اللغة: هي المَيل، ولذا يُقال لمائل الرِّجل (الأحنف)، فالحنفُ هو الميل.

وفي الاصطلاح: الحنيف هو المائل عن الباطل إلى الحق، والمائل عن الشرك إلى التوحيد.

وهكذا كان إبراهيم الخليل عليه السلام، كان حنيفًا، مائلًا عن الشرك إلى التوحيد، فإنه قد خرج بهذه الدعوة التي أرسله الله عَزَّوَجَلَّ بها إلى النَّاس، والمجتمعات في ذلك الوقت متجهة إلى جهة واحدة، هي الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، فمالَ إبراهيم عليه السلام عن هذا الاتجاه إلى التوحيد، فكان حنيفًا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأضحى هذا اللقب لقب مدحٍ، فيُمدَحُ به، مَن كان حنيفًا فإنه يُمدح به؛ لأنه صار على طريقة إبراهيم عليه السلام.

و(الملَّة) ذكر كثير من أهل العلم: أنها الدين، **والتحقيق**: أن الملة أخص من الدين، إذ الملّة هي أصل الدين، أو جملة الدين، فلا يقال لتفاصيل الشريعة إنها مِلَّة، إنما الملّة هي أصول الدين، ومَبانيه، ومعاقده.

ثُم إنَّ الملّة لا تأتي إلا مضافة إلى نبي من الأنبياء، فلا يقال: (ملّة الله) مثلًا، أو ملّة فلان، إنما يُقال: ملّة إبراهيم، ﴿**ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ**﴾ [النحل:١٢٣].

قال يوسف عليه السلام: ﴿**وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ**﴾ [يوسف:٣٨]، إذًا الملّة تضاف إلى الأنبياء.

هذه هي ملّة إبراهيم عليه السلام.

وقد أمَرَه الله تبارك وتعالى -أعني: نبينا ﷺ- باتباع ملّة إبراهيم عليه السلام، وملّتُه هي التوحيد، هي الإقبال على الله تبارك وتعالى، والبراءة من كل معبود سوى الله تبارك وتعالى، وإنما أمر الله عَزَّوَجَلَّ باتباع ملّة إبراهيم، مع أن نبينا ﷺ أعظم قدرًا من إبراهيم عليه السلام، وأعظم قيامًا بالتوحيد وواجباته مِنْه، وهذا مما لا يُختلف فيه البتَّة، **لكن أمر الله** عَزَّوَجَلَّ **نبيه** ﷺ **باتباع ملّة إبراهيم لعدة أمور:**

أولًا: لأنَّ إبراهيم عليه السلام هو المتقدم عليه في الزمن، فناسب أن يُؤمر باتباع سبيله.

وثانيًا: أن في الأمر باتباع ملّة إبراهيم عليه السلام وبيان أن هذا الدين، ما هو إلا امتداد لملّة إبراهيم عليه السلام، في هذا إلزام لجميع الطوائف، وجميع الملل، فجميع النَّاس يُحبون ويُقدرون ويُعظمون إبراهيم عليه السلام، فاليهود تدعي أنها تسير على خُطا إبراهيم عليه السلام، والنصارى كذلك، بل المشركون الأولون، مشركو العرب، كانوا يزعمون أنهم على دين إبراهيم، وكل أولئك كانوا مخالفين في الحقيقة في ملّة إبراهيم عليه السلام، ﴿**مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا**﴾ [آل عمران:٦٧]، أسلم وجهه لله عَزَّوَجَلَّ، ﴿**وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [آل عمران:٦٧].

إذًا كان من الحكمة أن يؤمر النبي ﷺ باتباع ملّة إبراهيم عليه السلام، لِما في هذا من الإلزام والإرغام لأعداء دعوة التوحيد، فما الذي بقي لكم من عُذر حتى لا تتبعوا النبي ﷺ، وهو الذي ما جاء بشيء جديد، دعا لِما دعا إليه أبوه إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وإبراهيم عليه السلام له شأن عظيم في هذا الباب، في باب التوحيد، فإذا ذُكر إبراهيم عليه السلام ذُكر التوحيد، وذُكرت الهداية، وذُكرت الغَيرة على دين الله تبارك وتعالى.

دِينُ إبراهيم عليه السلام هو التوحيد، هو حقيقة الهداية، ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [البقرة:١٣٥]، يعني: هذه هي حقيقة الهداية.

مِلّة إبراهيم عليه السلام هي الصراط المستقيم، وهي الدين القيم، ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام:١٦١]، فهذه الملّة هي الملّة السَّمْحة، وهي الملّة التي يفوز صاحبها، وهي التي أمر الله عَزَّ وَجَلَّ نبيه ﷺ باتباعها، ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل:١٢٣].

إبراهيمُ عليه السلام إمام الحنفاء، وأبو الأنبياء، وداعية التوحيد، ومكسر الأصنام، والذي أعلَن براءتَه من كل معبود سوى الله عَزَّ وَجَلَّ ، هو مكسر الأصنام، وباني الكعبة، هو الذي سمَّا المسلمين بدين الإسلام، ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج:٧٨]، هو الذي نشط في الدعوة إلى التوحيد، وإلى (لا إله إلا الله)، ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف:٢٨].

أعلَن انقطاعه التام لله تبارك وتعالى، ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء:٧٥-٨٢]، هذا هو إبراهيم عليه السلام، وهذه هي ملّته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهذا هو الذي أُمر أهل التوحيد جميعًا باقتفاء أثره، حتى إن نبينا الكريم ﷺ كان يعلم هذه الأمة أن تستذكر هذه الحقيقة في كل صباح ومساء، قضية نحتاج دائمًا إلى أن نذكر أنفسنا بها.

ففي «مسند الإمام أحمد»، والنسائي في «عمل اليوم والليلة»؛ أنَّ النبي ﷺ كان يعلم

أصحابه إذا أصبحوا أن يقولوا: «**أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمدٍ** ﷺ، **وعلى ملّة أبينا إبراهيم حنيفًا وما كان مِن المشركين**»، وفي المساء القضية نفسها تُكرَّر، «**أمسينا على فطرة الإسلام** ..»، إذًا هذه قضية نحتاج -معشر المسلمين- إلى أن نذكر أنفسنا بها، فهي القضية العظمى في حياتنا، فالله عَزَّوَجَلَّ خلقنا لكي نكون على هذه الملّة، ملّة إبراهيم عليه السلام، وملّة محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وملّة جميع الأنبياء والمرسلين، **أَلَا وهو التوحيد، واجتناب الشرك.**

ماهي هذه الملة؟ يوضحها لنا الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: (**اعْلَمْ -أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ-: أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا**).

وقوله: (**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ**)، هذه خلاصة تعريف ملّة إبراهيم عليه السلام، عبادة الله تعالى وحده، وهذا هو الذي خلَق الله عَزَّوَجَلَّ الخلق من أجله، وخلقهم لها، خلقهم من أجل أن يكونوا على هذه الملّة، هذه الغاية التي لأجلها خلَق الله عَزَّوَجَلَّ الخلق، ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات:٥٦].

وقد عَلِمْنا في درس أمس ما يتعلق بهذا الموضوع، وهو الحكمة من خلق الله عَزَّوَجَلَّ للخلق، وقلنا: إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ خلق الخلق بالحق، والحق يتضمن غايتين: غايةً مرادة من النَّاس، وغايةً مرادة بهم.

أمَّا الغاية المرادة من النَّاس فهي التوحيد، عبادة الله وحده، التزام ملّة إبراهيم عليه السلام، ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات:٥٦].

وأمَّا الغاية المرادة بهم فهي الجزاء، جزاء العباد على حسناتهم وأعمالهم الصالحة بفَضْله تبارك وتعالى، وعلى اجتنابهم الطريق الحق، وارتكابهم ما حرم، أنه يجازيهم بالعدل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس:٤]، إذًا ﴿لِيَجْزِيَ﴾، اللام (لام التعليل)، فالله عَزَّوَجَلَّ خلق الخلق لهذه الغاية المرادة بالعباد، وهي أن يجازيهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

إذًا هذه هي حقيقة دعوة النبي ﷺ، ودعوة أبيه إبراهيم، ودعوة جميع الأنبياء والمرسلين، هي أن يعبدوا الله مخلصين له الدين، مخلصين له العبادة، له تبارك وتعالى، وهذا هو حقيقة التوحيد، وهنا سيشرحه الشيخ في كلامه الآتي في هذه الرسالة.

قوله: (﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وَمَعْنَى «يَعْبُدُونِ»: يُوَحِّدُونِ).

هذه الآية ترجمت عن الإرادة الدينية الشرعية لله تبارك وتعالى، فإرادة الله عَزَّوَجَلَّ من خلق الخلق الإرادة الدينية، إنما كانت لأجل أن يُعبد تبارك وتعالى، ليست هي الإرادة الكونية، التي هي بمعنى المشيئة، فإنه لو كان ذلك كذلك لكان جميع الخلق عابدون لله عَزَّوَجَلَّ مُوحِّدُون، لكن هذه إرادة شرعية، الله عَزَّوَجَلَّ يريد من العباد أن يعبدوه، **يعني**: يريد منهم شرعًا، وهذه الإرادة مرادفة لمعنى المحبة، يعني خلقهم وهو يحب أن يكونوا عابدين موحدين له تبارك وتعالى، وليست هذه هي الإرادة الكونية.

وهذا التفسير الذي ذكره الشيخ هو التفسير الواضح لهذه الآية، فإن العبادة لا تكون

عبادة إلا بالتوحيد، أمَّا عبادة لا توحيد فيها فإنه لا قيمة لها.

أَرَأَيتم الصلاة، صلاةٌ بلا طهارة، هل تنفع؟ ليست بصلاة نافعة، كذلك العبادة التي لا توحيد فيها، ليست بعبادة في الحقيقة، إذًا لا تكون العبادة عبادةً إلا بالتوحيد، ولذا فسَّر الكَلْبِيُّ وغيره من أهل العلم هذه الآية بما ذكر الشيخ، قال: (**وَمَعْنَى «يَعْبُدُونِ»: يُوَحِّدُونِ**).

والتوحيد: هو عبادة الله تبارك وتعالى وحده لا شريك له، عبادة مُخلَصة، يتوجه بها إلى الله عَزَّوَجَلَّ دون غيره، هذا هو التوحيد، وهو أعظم ما أمر الله عَزَّوَجَلَّ به كما سيأتي.

قوله: (**وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ: التَّوْحِيدُ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ، وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْه: الشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ**).

هذه قاعدة، ينبغي عليك أن تحفظها يا طالب العلم، (**وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ: التَّوْحِيدُ، وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْه: الشِّرْكُ**)، هذه قضية ينبغي أن تكون منك على بالٍ.

(**التوحيد**) مصدر: وحَّدَ يُوحِّد توحيدًا.

وهو في اللغة: جعْل الشيء واحدًا، أو: الحكم على الشيء بأنه الواحد.

وأمَّا في الشرع: فهو إفراد الله تعالى بالعبادة، مع اعتقاد وَحدتِه في صفاته وأسمائه وربوبيته.

هذا هو التوحيد، وهو أعظم ما أمر الله تعالى به، وهو أعظم فضل على العباد، وجزاؤه أعظم فضل على العباد، التوحيد شأنه عظيم، كثير التوحيد يُنجِي من دخول النار، وقليل التوحيد يُنجي من الخلود في النار، بفضل الله عَزَّوَجَلَّ ورحمته.

لو أتى الإنسانُ ربَّه جل وعلا، ومعه توحيد، ولو يسير، فليبشر بالنجاة، إما أن تكون

نجاته نجاةً مطلقة، ينجو من دخول النار أصلًا، أو على الأقل أنه ينجو من الخلود فيها، ينجو من أن يكون دخوله دخولًا مؤبدًا، فالعصاة الذين لقوا الله عَزَّوَجَلَّ، وعليهم من المعاصي التي لم يتوبوا منها ما شاء الله، وما حصل منهم من جرائم اقْترفوها، مهما عظمت، ومهما كثرت، لكنهم أتوا بالتوحيد، ما أشركوا بالله تبارك وتعالى، فهم -والله- على خير، وحالهم بين أمرين: إمَّا أن يعفو الله عَزَّوَجَلَّ عنهم ابتداءً، قد يشاء الله عَزَّوَجَلَّ أن يعفوا عنهم ابتداءً، فيدخلون الجنة مباشرة، وإما أن يعذبوا، بأن يدخلوا النار دخولًا مؤقتًا، ثم يخرجون من النار، فيكون مآلُهم إلى الجنة، إذًا التوحيد شأنه عظيم.

أمَّا أولئك الذين أتَوا بالدرجات العُلى من التوحيد، أخلصوا أعمالهم، وأخلصوا أقوالهم، وأخلصوا اعتقاداتهم كلها لله تبارك وتعالى، فأتوا بالدرجات العُلى من هذا التوحيد، فإن شأنهم شأن آخر، فهؤلاء ناجون من دخول النار أصلًا، وإلى جنات النعيم مباشرة، بفضل الله تبارك وتعالى ورحمته.

إذًا؛ هذه هي القضية الأهم، في دعوة النبي ﷺ، التوحيد.

أوّل ما دعا إليه النبي ﷺ (التوحيد)، وأعظم ما دعا النبي ﷺ إليه (التوحيد)، وأكثر ما دعا إليه النبي ﷺ (التوحيد).

كان يُعلم أُمَّته التوحيد في كل وقت، في جميع العبادات يذكرهم بالتوحيد، كما سمعنا قبل قليل في ذكر الصباح والمساء، «**أصبحنا على فطرة الإسلام**.. »، تجديد للتذكير بالتوحيد في كل صباح ومساء.

إذا فتح الإنسان عَينَه بعد النوم، فإنه يبدأ بتجديد عهده بالتوحيد، فأول ما يقرأ في سُنة الفجر ما يُجدِّد العهد بالتوحيد، التوحيد العملي، والتوحيد العِلمي، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون:١]، و ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]، إذا ختَم يومه، يختمه بتجديد التذكير بالتوحيد، فإنه يصلي في سُنة المغرب بما يذكره بهذا العهد العظيم، عهْد التوحيد، يقرأ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون:١]، و ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]، تجديد التوحيد، توحيد عِملي، وتوحيد علمي.

إذا ختَم ليلته، فآخر ما يختم به هو الوتر، فآخر ما يقرأ في هذا الوتر أيضًا ما يذكره بالتوحيد، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون:١]، و ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١].

وكتابُ الله عَزَّوَجَلَّ الذي يتلوه كله في التوحيد، إذا فتح المصحف أول ما يقرأ سورة الفاتحة، التي هي أعظم سورة في كتاب الله، والتي يكررها المسلم كل يوم على أقل سبع عشرة مرة، تحتوي على أنواع التوحيد الثلاثة، وإذا ختم المصحف، آخر سورة (قل أعوذ برب النَّاس)، اشتملت على أنواع التوحيد الثلاثة، وفيما بين ذلك آيات التوحيد لا تكاد أن تُحصى.

إذًا: التوحيد هو لُحمة هذا الدين وسَدَاه، وأوّله وآخره، وظاهره وباطنه، ولذا كان من المُتعيِّن على المسلم أن يهتم بالتوحيد، وأن يتعلم التوحيد، وأن يعرف شبهات المخالفين للتوحيد، حتى يكون منها على نجاة وأمان، بتوفيق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

التوحيد دلَّ استقراء النصوص على أنه ثلاثة أنواع:

- توحيدٌ في ربوبية الله عَزَّوَجَلَّ.
- وتوحيدٌ في ألوهيته.
- وتوحيدٌ في أسماءه وصفاته.

أمّا توحيده في ربوبيته: فهو اعتقاد أن الله تعالى وحده هو الخالق الرازق المدبر، فالخلق والرَّزق والتدبير لله رب العالمين، وحده لا شريك له.

وتوحيد الله في ألوهيته يعني: توحيده في العبادة، بأن يُوحَّد تبارك وتعالى في العبادة دون غيره، كل أنواع العبادة حقٌ خالصٌ لله تبارك وتعالى، لا يجوز أن يُصرف منها شيئًا لغيره، هذا هو توحيد الألوهية.

وتوحيد الأسماء والصفات: توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، بما له من نعوت الجلال والجمال والكمال، فهذا ممَّا اختص الله تبارك وتعالى به، لله عَزَّوَجَلَّ أسماء حسنى، وصفات عُليا، يجب أن يعتقد المسلم أنها خاصةٌ له تبارك وتعالى، لا يُشركُ فيها غيره، ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى:١١].

وقد جمع الله عَزَّوَجَلَّ هذه الأنواع في قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿**رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا**﴾ [ص:٦٦]، هذا توحيد الربوبية، ﴿**فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ**﴾[مريم:٦٥]، وهذا توحيد الألوهية، ﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾ [مريم:٦٥] وهذا توحيد الأسماء والصفات.

وغيرُ هذا كثير، جاءت الأدلة مجموعة، وجاءت الأدلة على كل نوع على انفراد بكثرة.

وهذه الكلمة كلمةٌ أثرية، كلمة جاءت في النصوص، كلمة عظيمة، كلمة (التوحيد)، دلَّ عليها سُنة النبي ﷺ، ولذا في «الصحيحين»، لما بعث النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن، قال: «**إنك**

تأتي قومًا أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم: إلى أن يوحدوا الله»، التوحيد.

وفي «مسند الإمام أحمد» وغيره؛ أنَّ النبي ﷺ لمَّا سأله عمرو بن العاص عن الوفاء بالنذر، الذي نذره أبوه، العاص بن وائل، وكان قد مات على الشرك، فقال ﷺ: «**أمَّا أبوك فلو كان أَقَرَّ بالتوحيد، فأَعْتَقْتَ عنه، وتصدقتَ عنه، وصُمتَ عنه، نفعه ذلك**»، فدلَّ هذا على أن هذه الكلمة وَرَدَت في سُنة النبي ﷺ.

وكذا ورد في لسان الصحابة، هذا جابر رضي الله عنه في «صحيح مسلم»، لما حَكى حَجَّة النبي ﷺ في حديثه الطويل، قال: «فأهَلَّ ﷺ بالتوحيد: لبَّيك اللهمَّ لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمدَ والنعمةَ لك والملك لا شريك لك»، بعكس تلبية المشركين الشركية، التي كانت: (لبَّيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك، تملكه وما مَلَك)، إذًا هذا هو التوحيد، وهو أعظم ما أمر الله تعالى به.

وأمَّا الشرك فهو أعظمُ ما نهى الله تعالى عنه، قلنا في درس الأمس: أعظم ذنب، وأكبر جريمة على وجه الأرض هي الشرك بالله تبارك وتعالى، ولذا ينبغي أن يُحذَر الشرك، ولا يَحذره إلا مَن كان عالمًا به، إذا كنت تعرف الشر، فإنك بتوفيق الله عَزَّوَجَلَّ تَجتنبه، أما إذا كنت تجهله، فما أسرع أن تقع فيه.

الشرك كما قلنا أعظم جريمة على وجه الأرض، لِمَ؟ لأنه أعظم الذنوب، ولأن عقوبته أعظم العقوبات.

أمَّا كونه أعظم الذنوب، فقد دلَّ عليه قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان:١٣]، وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿**وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيدًا**﴾ [النساء:١١٦]، وقال سبحانه: ﴿**وَمَنْ**

يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨].

وقال ﷺ، كما في «الصحيحين» لمَّا سأله ابن مسعود رضي الله عنه: أيُّ الذنب أعظم؟ قال ﷺ: «**أن تَجعلَ للهِ نِدًا وهو خَلَقَك**»، هذا هو الشرك.

لِمَ كان الشرك أعظم الذنوب؟

- **أولًا**: لأن حقيقته انتقاص لله تبارك وتعالى، المشرك مُنتقِص لله عَزَّ وَجَلَّ، ما قَدَر الله حق قدره، ولذا صرَف خالص حقه لغيره، ومَن انتقص الله تبارك وتعالى، ألَا يغضب عليه يا إخواني؟ بلى والله، يستحق أن يغضب الله عليه.

- **ثانيًا**: أن الشرك مضادةٌ للغاية التي لأجلها خلق الله الخلق، الله خلقنا للتوحيد، فجاء المشرك بعكس ذلك، إذًا الشرك أعظم معاندةٍ لله عَزَّ وَجَلَّ، المشرك يعاند الله، اللهُ يخلقه للتوحيد، فهو ليس آتيًا بهذا التوحيد الذي خلقه الله لأجله، بل أتى بضدِّه وعكسه تمامًا، وهو الشرك.

- **أيضًا الشرك ظلم**؛ لأن فيه مساواة غير الله بالله، تشبيه غير الله بالله، **﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾** [الأنعام:١]، معنى (**يعدلون**): يُساوون، يساوون غير الله بالله، وهذا ظلم عظيم، لأنه وضْع للشيء في غير مَوضعه، فاستحق الشرك أن يكون أعظم الذنوب.

وفي الجهة الأخرى عقوبته أعظم العقوبات.

أولًا: هو الذنب الذي لا يمكن أن يُغفر البَتَّة، حكَم الله، وحُكمه فصْل تبارك وتعالى، لا يُبدَّل القول لَدَيه، أنَّ مَن لقيه بالشرك، ما تاب من الشرك، فإنه لا غُفران له، بل ليس له إلا أن ييأس من رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ، **﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾** [النساء:٤٨].

أمَّا إن تاب صاحبه منه، فإن الله يعفو عنه، ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال:٣٨].

ثانيًا: أن هذا الذنب محبط لجميع الأعمال، قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾ وهم الأنبياء ﴿لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨].

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ الخطاب موجه إلى نبينا ﷺ: ﴿ .. وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥]، هذا وهو معصوم عَلَيهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من الشرك، لكن هذا دليل على عظمة هذا الأمر، وتحذير لنا -معشر أُمّته- أنه إذا النبي ﷺ على فرْض وقوعه في الشرك، وحاشاه من ذلك، فهو المعصوم منه عَلَيهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ومع ذلك مع وجود هذا الاحتمال، أو على فرْض هذا الاحتمال، فإن الله عَزَّوَجَلَّ سوف يحبط جميع أعماله.

إذًا: هذا الشرك الأكبر، الذي قطرة منه تفسد بحار الأعمال، مهما لقي الإنسان الله تبارك وتعالى به من أعمال صالحة، ولو تصدق بالملايين، ولو حج عشرات المرات، ولو كان يقوم الليل كله، ولو كان يصوم الدهر كله، ولكنه أشرك مع الله تبارك وتعالى، فوالله لا ينفعه ذلك كله، ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣].

ثالثًا: أن هذا الذنب -وهو الشرك الله عَزَّوَجَلَّ- يقتضي الخلود في النار، هو الذنب الوحيد الذي إن لقي الإنسان الله تعالى به فإنه خالد مُخلَّد في النار أبد الآباد، أي زمن يقدره عقلك فإن هذا المشرك سيبقى في النار -عافاني الله وإياكم- وما زاد عليه، إلى ما لا نهاية، هذا يدلك على فَخامة الأمر، وعظمته، وخطورته أيضًا. إذًا هذا هو الشرك، وهو أعظم ما نهى الله تبارك

وتعالى عنه.

قوله: (**وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾** [النساء:٣٦]).

هذه الآية جمعت بين الأمرين، بين الأمر بالتوحيد، والنهي عن ضده، وهو الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

كُلُّ أمْر في القرآن والسنة بالعبادة هو أمرٌ بالتوحيد؛ لأنه لا عبادة إلا بالتوحيد، فالله عَزَّوَجَلَّ لمّا أمر عباده في هذه الآية بعبادته، هذا أمرٌ لهم بتوحيده، (﴿**وَاعْبُدُوا اللهَ**﴾)، يعني: ولا تعبدوا غيره، وهذا هو التوحيد، ثم قال: (﴿**وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**﴾)، ولاحظ أن كلمة (﴿**شَيْئًا**﴾) نكرة في سياق النهي، فتَعُمّ كما قال علماء الأصول.

إذًا: لا يجوز الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، ولو كان هذا المشرك بهِ أعظم عظيم، فالله لا يرضى الشرك ولو كان بِنَبِيٍّ مرسل، أو بمَلَك مُقرَّب، فكيف بما هو دون ذلك من أشجار وأحجار، أو حتى من الأولياء والصالحين، فإن الله عَزَّوَجَلَّ نهى عن الشرك بهِ مطلقًا، كل شيءٍ فإنه لا يجوز أن يُشرك به مع الله تبارك وتعالى.

قوله: (**فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِيْنَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ**).

هذا وُلُوج من الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى صُلْب الرسالة، وهو الموضوع الذي من أجله كتب الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الرسالة.

وأسلوب الشيخ أسلوبٌ تعليميٌ مُميَّز، فهو يأتي أحيانًا بالمسائل على صورة سؤال

وجواب، ويكون هذا أشحَذ للذهن، ويكون أثبت في الحفظ.

طرَح رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا السؤال، إذا قيل لك يا عبد الله، يا مَن يريد نجاة نفسه، يا من يبحث عن الحق: **ما هي الأصول الثلاثة التي يجب على كل مسلمٍ ومسلمة معرفتها؟**

فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بأنها (**مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِيْنَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا**) ﷺ.

ولاحِظ أن هذه الأصول هي الأصول التي يجب أن يعيش المسلم في حياته جاهدًا في تحقيقها، تحقيق العبودية لله، والاتباع لنَبيه ﷺ، والالتزام بدين الإسلام، لأجل أن يكون مُسددًا في الجواب عن هذه الأسئلة إذا أُنزل في قبره، هذه الأصول الثلاثة هي التي ستُسأل عنها -يا عبد الله- والله في قبرك، لا تظن أن المسألة مسألة نظرية، مسألة تبحث في الكتب، وتُقرأ لأجل الثقافة، لا والله، المسألة تبحثها وتقرأها لأجل أن تنجو عند الله عَزَّوَجَلَّ، إذا وُضعت في قبرك، في هذه الحفرة الضيقة، فإنك ستُسأل عن هذه الأسئلة الثلاثة: (مَن ربك؟ وما دينك؟ وماذا تقول في هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟) وهو نبينا ﷺ.

إذًا عليك -يا عبد الله- أن تُعِدَّ من الآن العُدة لهذا الامتحان، وهذا الاختبار، الذي هو أعظم امتحان وأعظم اختبار، وكل ما في هذه الدنيا من الامتحانات لا يساوي شيئًا أمام هذا الامتحان العظيم، لأنه في غيره تكون السعادة أو الشقاوة، فـ... جوابك تكون السعادة أو الشقاوة، فإن كنت من أهل العلم والتوحيد والإيمان، فإنك ستُجيب بالجواب المسدد، وإلى فوالله إنها الخسارة، الخسارة التي لا يمكن استدراكها، ليس هناك دور ثانٍ، وفرصة جديدة لأجل أن يُعيد الإنسان جوابه في هذا الامتحان، بل والله وفرصة واحدة لا تتكرر، فعليك -يا عبد الله- من الآن أن تجتهد في العلم، ثم في العمل، لكي تحصّل الجواب، الجواب الذي يَقرّ

في قلبك، وتظهر آثاره على جوارحك، جواب هذه الأسئلة الثلاثة، وهي التي أراد الشيخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وجزاه عنا خيرًا- أن يُعلمنا السبيل، إلى معرفة الجواب السديد عن هذه الأسئلة الثلاثة.

والحمد لله رب العالمين

قال المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِيْنَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيْعَ الْعَالَمِيْنَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ.

وَالدَّلِيْلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢]، وَكُلُّ مَا سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

فَإِذَا قِيْلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ.



قَالَ الشَّارِح وفَّقَهُ الله:

مضى معنا في الدرس الماضي: أن المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر صُلب الموضوع في هذه الرسالة، وهو ما يتعلق بالأصول الثلاثة، على أسلوب السؤال والجواب، تحفيزًا للْهِمَم، وتنشيطًا للأذهان.

قلنا إن (الأصول) جمْع: أصْل، **والأصل**: ما يُبنى عليه غيره، وهذه الأصول هي التي ينبني عليها إيمانُ المؤمن، أَلَا وهي (معرفة العبد ربه، ومعرفة العبد دينه، ومعرفة العبد نبيه محمدًا ﷺ).

ثمَّ بدأ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأصل الأول، ألا وهو معرفة الله جل وعلا.

فاللهُ عَزَّوَجَلَّ هو الرب العظيم، الذي هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، الله عَزَّوَجَلَّ هو ربنا.

قوله: (**الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيْعَ الْعَالَمِيْنَ بِنِعَمِهِ**).

(الرَّب) مضى معنا في درس الأسماء والصفات أنه: هو السيد، وهو المالك، وهو المتصرف، وهو المُرَبِّي، ذكر الشيخ هنا المعنى الأخير، وقلنا: إن الرب، هو المربي، من التربية.

والتربية: هي القيام على الشيء، وتدبير شأنه، وإصلاحه، والقيام عليه حتى يبلُغ غايته، واللهُ عَزَّوَجَلَّ هو الذي ربى جميع العالمين بنعمته، والنعمة هنا يراد بها: الجنس، ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا**﴾ [إبراهيم:٣٤].

ونِعمةُ الله عَزَّوَجَلَّ يعني: جميع نِعمه ترجع إلى نوعين: إلى نعمة حسيّة، وإلى نعمة معنوية.

النِّعمة الحسية: هي ما أعطى سبحانه، وتفضل وأغْدَق على عباده من صنوف الطعام والشراب والهواء والمال والأولاد، وما إلى ذلك من هذه النعم التي بها قِوام الحياة الحسية.

أمَّا النعمة المعنوية: فهي نعمة الإيمان، والهداية، وصلاح القلوب، والله عَزَّوَجَلَّ هو الذي رَبَّى العباد على هذه النعم، وبهذه النعم هو الذي هدى، وهو الذي أصلح، وهو الذي وجه القلوب إليه تبارك وتعالى، ووفق النَّاس لطاعته سبحانه ممن شاء الله عَزَّوَجَلَّ هدايته.

وكُلُّ معان الجلال والقدرة والفعل بل والإحسان، راجعة إلى هذا الاسم العظيم، ولذا كان اسم الرب لله عَزَّوَجَلَّ أحد الأسماء الثلاثة التي تعود إليها جميع أسماء الله سبحانه، وهي اسم الجلالة (الله)، واسم الجلالة (الرب)، واسم الجلالة (الرحمن).

قوله: (**وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ**).

اللهُ عَزَّوَجَلَّ لمّا كان هو الرب، لمّا كان هو الخالق، لمّا كان هو المدبر، لمّا كان هو الرازق،

استحق أن يكون هو المعبود، لمّا خلق وحده، ودبر وحده، ورزق وحده، استحق أن يكون المعبود وحده، فالله عَزَّوَجَلَّ دليل إلهيته ربوبيته، والباب إلى عبوديته **الإيمانُ بربوبيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فالله عَزَّوَجَلَّ رب كل شيء، إذًا هو المعبود سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والأصل أن يكون هذا الاسم لا ينصرف إلا إليه عَزَّوَجَلَّ.

والأصل أن هذا الاسم لا يجوز أن يكون له جمع، لا يجوز أن تكون لهذه الكلمة صيغة جمع، أن يكون هناك معبودات، لأن المعبود واحد، كما أن الرب واحد، لكن لما اجْتالَت الشياطينُ كثيرًا من بني آدم، وأغْوتْهُم عن دينهم، أصبح هناك معبودات، وأصبح هناك أرباب عند عَابِدِيها، وعند المتعلقين بها، وإلا فالشأن والحق أن الإله واحد، وأنَّ الرب واحد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لذا فإن كلمة (**إله**)، أضْحَت بعد دخول الشرك في بني آدم، أصبحت كلمة (**إله**)، تطلق على المعبود بحق، والمعبود بباطل، ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ**﴾ [الجاثية:٢٣]، إذًا كل ما جعله الإنسان معبودًا له، وإن لم يُسمِّهِ إله، فهو في الحقيقة إله له، أما الله عَزَّوَجَلَّ فهو الإله الحق، ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ**﴾ [لقمان:٣٠].

قوله: (**وَالدَّلِيْلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** [الفاتحة:٢]**، وَكُلُّ مَا سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ**).

قال: (**وَالدَّلِيْلُ**) يعني: من النقل، يعني: من الشرع، يعني: من الكتاب والسنة، (**قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**).

الشاهد من الآية: قوله سبحانه: (﴿**رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾)، فالله عَزَّوَجَلَّ رب كل المخلوقات، كل شيء فالله عَزَّوَجَلَّ هو ربه، لأنه لا يوجد إلا خالق ومخلوق، ليس ثَمّة أمرٌ ثالث، كل ما هو

موجود فهو راجعٌ إما إلى خالق، وإما إلى مخلوق، والله عَزَّوَجَلَّ وحده الخالق، إذًا كل ما سواه فهو مخلوق.

(الله رب العالمين)، العَالَمُون جمع (عالَم) على الصحيح، وإن كان بعض أهل اللغة يرى أن (العالَمِين) اسم جمع لا مفرد له.

والصواب: أن (العالَمِين) جمْع، مفرده (عالَم).

والعالَم: هو الصنف من المخلوقات، كل صنف من المخلوقات فهو عالَم، فالنبات عالَم، والبشر عالَم، والسماوات عالَم، والدواب عالَم وهكذا، وجمْع ذلك هو أن تقول: هؤلاء هم العَالَمون، والله رب العالمين.

والعالَم سمي بهذا الاسم: لأنه عَلَم وبرهان على خالقه، كما تقول: طابع؛ لأنه يُطبع به، تقول: خاتم؛ لأنه يُختم به، وتقول: عالم؛ لأنه يُعلم به، يُعلم به الخالق تبارك وتعالى، فالخلائق جميعًا براهين ودلائل وشواهد على الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالله عَزَّوَجَلَّ رب كل شيء، ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٦٤]، فالله عَزَّوَجَلَّ ربُ كل شيءٍ تبارك وتعالى.

إذًا هذا هو الدليل من الشرع على ربوبية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله: (**فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ**).

كما تعودنا، وكما علمنا أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يربي طلاب العلم على المنهج الصحيح، وهو

أخْذ العلم بدليله، لا سيّما في هذا الجانب العظيم، ألا وهو جانب المعتقد، فكلُ مسألة يُوردها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإنك تجده لابد أن يؤيدها بدليل يشهد بصحتها، وذلك حتى يكون إيمان الإنسان في هذه المطالب العظيمة إيمانًا راسخًا، ليس إيمانًا مزعزعًا، مبنيًا على تقليد محْض، فإنه يكون عُرْضة للخلل، والضعف، والانتكاس.

ما الدَّليل على أن الله عَزَّوَجَلَّ هو الرَّب؟ كيف عرفت -يا أيها المسلم- ربَّك؟

نبَّه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هاهنا على دليل واحد، والرسالة -كما قد علمتَ- مبناها على الإيجاز، وإلا فهذا الباب باب عظيم، ومبحث طويل.

وفي الجملة الأدلة على معرفة الله عَزَّوَجَلَّ، تنبني على ما هي معرفة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كيف عرفت ربك؟ كيف عرفت ربوبيته؟ وكيف عرفت ألوهيته؟ وكيف عرفت أسماءه وصفاته؟

إذًا معرفة الله عَزَّوَجَلَّ ترجع إلى هذه الأمور الثلاثة: هي معرفة ربوبيته سبحانه، ومعرفة ألوهيته، ومعرفة أسمائه وصفاته.

وكل نوع من هذه الأمور الثلاثة عليه أدلة كثيرة، لكن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هاهنا نبَّه على معرفة ربوبية الله عَزَّوَجَلَّ، وأورد عليها دليل المخلوقات، وهذا الدليل واحد من جملة أدلة كثيرة، لكن في الجملة، الأدلة على ربوبية الله سبحانه، **يعني**: الدليل على أنه الخالق الرازق المدبر -وهذا يستلزم بالضرورة دليلًا على وجوده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ترجع في الجملة إلى أربعة أنواع من الأدلة:

- **أولًا**: الدليل الشرعي، والكتاب والسنة طافحتانِ بالأدلة على ثبوت ربوبية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.
- **ثانيًا**: دليل الفطرة.

- **ثالثًا**: الدليل العقلي.

- **رابعًا**: الدليل الحسّي.

أمَّا الدليل الفطري، فإن الفطرة التي فطر الله النَّاس عليها، دلَّت على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ موجود، وأنه هو الخالق المدبر لهذا الكون سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذه قضية لا شك فيها، ولا اشتباه فيها بوجهٍ من الوجوه، جميع العباد مفطورون على الإيمان بوجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بل بربوبيته، بل بألوهيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال ﷺ كما في «الصحيحين»: «**كُلُّ مولودٍ يُولَد على الفِطْرة، فَأَبَوَاه يُهَوِّدَانِه، أو يُنَصِّرانه، أو يُمَجِّسَانه، كما تُولَد البهيمةُ بهيمةً جمعاء، هل تُحِسُّون فيها مِن جَدْعاء!**»، ثم تلا أبو هريرة -راوي الحديث رضي الله عنه-: ﴿**فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾ [الروم:٣٠].

إذًا: الفطرة شاهدة بأن الله عَزَّوَجَلَّ موجودٌ، وخالقٌ، ومتفردٌ بالتدبير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذه القضية لا ينكرها إلا جاحد، فالجاحدون لوجود الله عَزَّوَجَلَّ، لا شك أنهم كاذبون، يجحدون بألسنتهم، وقلوبُهم وعقولهم شاهدةٌ على ما يُكذبون، ولذا موسى عليه السلام قال لأعظم المنكرين على مدى التاريخ لله سبحانه: ﴿**قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ**﴾ [الإسراء:١٠٢]، وهو فرعون، فدل هذا على أنه كان يُدرك ذلك، بل كل كافر يخفي ما لا يظهر، يعني: يخفي شيئًا لا يظهره، ولذا قال الله سبحانه عن الكفار أهل النار: ﴿**بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ**﴾ [الأنعام:٢٨]، ﴿**فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ**﴾ [الأنعام:٣٣]، إذًا هؤلاء المنكرون لله عَزَّوَجَلَّ -وهم على مدى التاريخ- شذّاذ من بني آدم، وإن كان قد أضحى لهم جَعْجَعةٌ في هذا العصر المتأخر الحديث، بل وفي السنوات

الأخيرة على وجه الخصوص، فإن هؤلاء مع ذلك شُذّاذ، وصَوتهم -وإن بدأ يُسمع هنا وهناك- فإنهم في الحقيقة في مجموع البشر لا قيمة لهم، وإن كانوا يُجَعْجِعُون، ويجلبون على ما هُم عليه من الضلال بخَيلِهم ورَجِلِهم، لكنهم عند التحقيق فطرتهم تغلبهم، ولذا فإن الواحد من هؤلاء الذي ينكرون وجود الله عَزَّوَجَلَّ، تجدُ أن فطرته تغلبه، لا سيّما وقت الشدائد، ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ..﴾ [الزمر:٨]، شاء أم أبى، فإنه يجد من نفسه اضطرارًا إلى الفزع إلى خالقه سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، وإن كان طِيلة أيامه ولَيالِيه ينكر وجود الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

إذًا: العباد جميعًا مفطورون على وجود الله عَزَّوَجَلَّ ورُبوبيته، ولذا قالتِ الرسلُ عليهم الصلاة والسلام لأعدائهم: ﴿**أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [إبراهيم:١٠]، لاحِظ أن هذا الاستفهام استفهامٌ إنكاري، يعني: كيف يمكن أن تصلوا إلى هذا الحد، وهو إنكار الله عَزَّوَجَلَّ، والآية وإن كان الراجح أنها في سياق إنكارهم عبوديته تبارك وتعالى، إلا أنها تشمل بدلالة اللزوم، هذا المعنى الذي نتحدث عنه، وهو إنكار ربوبية الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، ﴿**أَفِي اللهِ شَكٌّ**﴾، فإنَّ الذي يكون فيه الشك، إنما هو الشيء الذي يحصل اشتباه في دَليله، أمَّا ربنا جل وعلا فهو أدلُّ على كل شيء، بل هو الدليل على كل شيء سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، هو أظهر من كل شيء، هو أظهر للبصائر من الشمس للأبصار، فكيف يُشك في الله تبارك وتعالى؟ الله عَزَّوَجَلَّ يشهدُ كل إنسانٍ في فطرته على وجوده عَزَّوَجَلَّ.

ولذا تأمل في حال الإنسان في أي شيء من الأشياء، تجد أنه يُقر بأنه لا يمكن أن يكون هناك أثرٌ بلا مُؤثِّر، لا يمكن أن يكون هناك مفعولٌ بلا فاعل، لا يمكن أن يكون هناك مصنوعٌ

بلا صانع، هذه قضيةٌ فِطرية، ولذا تجد الصبي إذا ضُرب خِلْسة، فإنه يلتفت ويصرخ، ويقول: مَن ضربني؟ مع أنه ما درس شيئًا عن قاعدة السَّببيّة، لكن هذا راجعٌ إلى الفطرة، التي فطر الله عَزَّوَجَلَّ النَّاس عليها، وهي مغروسةٌ في هذا الصبي.

إذًا الفطرة لها ما يدل على وجودها، وما يدل على ثبوتها، وما لا يستطيع أن ينكره أحد، لا يمكن أن يكون هناك إنسان سَوِيّ يزعم أن هذا الكون كله، عُلويّه وسُفْليه، وسماواته، وأرْضه، وأنه جميعًا وُجد بلا مُوجِد، وبدون رَبّ، هذا لا يمكن أن يقبله أي شخص عنده فطرة سَوِيَّة.

لو أنَّ إنسانًا كان يمشي في صحراء، ثم وجد قصرًا عظيمًا، مزينًا، منقوشًا على أحسن ما يكون، فقال له آخر: هذا القصر بُني بدون بانٍ، وُجد هكذا صدفة، هل يقبل أيّ إنسان بفطرته، مهما بلغ من الغباء والجهل؟ لا يمكن، مستحيل، إذًا هذه قَدْرية فطرية مركوزة في النفوس، لا يمكن إنكارها، إنما يقعُ الوسوسة من الشيطان في نفوس بعض النَّاس فينساق، وربما تغلب عليه الشّقوة -عافاني الله وإيَّاكم- وإلا فلو أحسن التدبر، فإنه لا يمكن أن يكون هناك استيقانٌ بشيء على الإطلاق، إلا ووجود الله عَزَّوَجَلَّ أدلّ عليه، وأعظم منه.

تأمَّل معي!

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿**قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الشعراء:٢٣]، الآن فرعون يُعلن كذبًا وجحودًا إنكار الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، ﴿**وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾، ﴿**قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنتُمْ مُوقِنِينَ**﴾ [الشعراء:٢٤]، يعني: إن كنتم موقنون بأيّ شيء، فإن ثبوت وجود الله

عَزَّوَجَلَّ في النفوس أعظم منه، لاحظت معي هذه الدلالة، ﴿إِنْ كُنتُمْ مُوقِنِينَ﴾، ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء:٢٥-٢٨]، فرعون يقول: هذا الرسول مجنون، موسى عليه السلام قال: أنت أحقّ بالجنون، إن كنتَ تعقل فلا يمكن البتَّة أن تُنكر وجود الله عَزَّوَجَلَّ، إذًا لا ينكر وجود الله عَزَّوَجَلَّ إلا إنسانٌ فاقد لعقله، أنت أقرب إلى الجنون، وأحق بهذا الوصف.

إذًا وجود الله عَزَّوَجَلَّ قضية فطرية مركوزة في النفوس، وهذه مسألة لا تقبل الاشتباه.

قد يقول قائل: إذا كان الأمر بهذه المثابة، فلماذا جاء التذكير بها، والتنبيه عليها؟ نجد في القرآن قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور:٣٥]، نجد مُحاجَجَة بين موسى عليه السلام وفرعون، بين إبراهيم عليه السلام والنمرود، إلى غير ذلك من هذه الدلائل، لِمَ إذًا؟

الجواب: أنَّ في ذِكر هذه الدلائل تحصيل فوائد ثلاث:

أولًا: تستفيد منها -يا مسلم- زيادة اليقين والطمأنينة، ومثل هذا لا شك أنه مطلب.

يعني: عندما يكون عندك دليل فأنت مصدق، لكن إذا كان عندك دليلان وثلاثة وأربعة وعشرة وعشرون ومائة وأكثر، فإنك تزداد يقينًا، وتزداد طمأنينة، وتزداد رُسوخًا.

ثانيًا: أن مثل هذه الأدلة العقلية والحسيّة -التي ستأتي إن شاء الله- ربما يحتاجها الإنسان في وقت من الأوقات، ربما يوسوس الشيطان للإنسان في حال من الأحوال، ضعُف فيه إيمانُه، أو استزله الشيطان، أو استرسل مع بعض الوساوس، ربما تأتي لحظة يقع فيها الإنسان

في نوع شك، هنا هو بحاجة إلى هذه الدلائل التي تعلمها.

ثالثًا: أن المسلم المتسلح بهذه الدلائل، يستطيع بتوفيق الله سبحانه، دعوة مَن استزلّه الشيطان، وأنا ذكرتُ قبل قليل: أن فتنة الإلحاد، أصبحت فتنة كبيرة في هذا العصر المتأخر؛ لأن هؤلاء الملاحدة على قِلَّتهم وشُذوذهم، إلا أنهم أحسنوا استغلال وسائل الاتصال والتواصل المعاصرة في بَثِّ الشُّبه.

والشُّبه الإلحادية شُبهٌ تافهة، لكن صوتها عالٍ، تحتاج إلى حُسن تأمل وتدبر حتى يُرد عليها، وهنا يأتي دور العالِم وطالب العلم الذي تسلَّح بهذه الأدلة، حتى يزيل غَيَاهِب الشك بتوفيق الله عمَّن وقع في مثل هذه الوساوس، وفي مُستنقع هذه الشبهات.

إذًا هذا من الفوائد التي نجنيها في ذِكر مثل هذه الدلائل.

رابعًا: الدليل العقلي، فإنه يتنوع إلى عدة فروع، لكن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ركز على دليل واحد، يرجع في مُجمَلِه إلى قضية عقلية، وهي (دلالة الأثر على المُؤثِّر)، هذه دلالة عقلية واضحة لا شك فيها، هي فطرية من حيث الأصل، وهي عقلية من حيثُ النظر والاستدلال، من حيث ما سيأتي من أوجهٍ عدة تحتاج إلى حُسن تأمل.

وذلك أمرٌ يدركه كل عاقل، مسلم أو غير مسلم، كلٌ يُقرّ بأن الأثر دليلٌ على المؤثر، إذا كنتَ تمشي في طريق، فوجدت بعرَة مُلقاة، ماذا تقول؟ تقول: هناك جملٌ مرَّ من هاهنا، قطعًا، ولذا قال ذاك الأعرابي الذي ما درس، ولا أخذ شهادات عليا، لكن عنده عقل سليم، وعنده فطرة صحيحة، قال: «البَعَرةُ تدل على البعير، والرَّوث يدلُ على الحمير، والأثر يدل على المَسير، فسماءٌ ذات أبراج، وأرضٌ ذات فِجاج، وبحارٌ ذات أمواج، أَمَا يدل على الحكيم

الخبير» سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؟ بلى والله.

هذه قضية عقلية، لا يمكن للإنسان أن يتخلص منها، هذه دلالة لا حيلة معها للمنكرين لوجود الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

جاء مرة قومٌ ممَّن جحدوا وجود الله عَزَّوَجَلَّ عُتوًا وطغيانًا، إلى أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قالوا: نريد أن نناظرك؟

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تريَّثوا، سأخبركم بشيء، ثم أجيبوا عنه، ثم نتناظر.

قال لهم: ماذا تقولون في سفينةٍ في نهر دِجلة، شأنها عَجَب، كانت ترسو على الشَّط، ثم تتحمل بالزاد، ثم تسير إلى الضَّفة الأخرى، فتنزل متاعها دون أن يكون مُسيّرًا لها أحد، لا يُسيّرها أحد، سفينة تأتي فتقف، ثم تتحمل بالبضائع، ثم تمشي إلى الضفة الأخرى، ثم تنزل بضائعها، دون أن يكون هناك أحدٌ يسيرها؟!

قالوا له: هذا جنون، هذا كلام لا يقبله عاقل.

فقال: يا لله العجب! أنكرتم هذا في سفينة، فكيف بهذا العالم كله، عُلويّه وسُفليّه لا مدبر له، هذا أمرٌ لا شك فيه ولا ريب.

هذا الدليل هو الذي أشار إليه المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، أنَّ معرفة الله عَزَّوَجَلَّ عرفناها بآياته ومخلوقاته، هذا هو محور ما نتحدث عنه، وهو دليلُ الأثر على المؤثر.

وذلك يرجع إلى عدة مسائل، هذه الدلالة يمكن أن نفرعها إلى عدة أمور:

أولًا: دِلالة الاختراع، يعني: دِلالة الإيجاد من العدم، إذا كان هناك شيءٌ وجد بعد أن لم يكن، فالعقل قاطعٌ بأن هذا الشيء لابد أن يكون هناك مُوجِد له.

إذًا نحن نرى أشياء كانت معدومة ثم وجدت، في البشر، في الحيوان، في النبات، في الأمطار، في البرق، في الرعد إلى آخره، كانت معدومة ثم وجدت، إذًا لا يمكن أن تكون قد وجدت دون موجد، هذا هو دليل الاختراع، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ**﴾ [الطور:٣٥].

إذًا هذه القسمة محصورة، عندنا ثلاث احتمالات:

الاحتمال الأول: أن يكون الإنسانُ قد خُلق بلا خالق، يعني: وُجد بلا موجد، وهذا أمرٌ مستحيل لا يمكن قبوله، أو يكونوا هم -يعني: النَّاس- خلقوا أنفسهم، الإنسان خلق نفسه، وهذه قضية أيضًا مرفوضة عقلًا، إذًا ما بقي إلا احتمال ثالث، وهو أن يكون الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي خلقه.

الدلالة الثانية التي ترجع إلى دِلالة الأثر على المؤثر: هي دِلالة العناية، ليست المسألة خلقًا فقط، نستدل على الخالق بالمخلوق، بل هناك درجة أرفع، ألا وهي أن الله عَزَّوَجَلَّ خلق الخلق على هيئةٍ تكون فيها المخلوقات مناسبة للحياة، ولتحصيل المنافع، هذا يسمى دِلالة العناية، يعني: أن الله تبارك وتعالى خلق الخلق على صورةٍ مناسبةٍ للحياة، خلق الله عَزَّوَجَلَّ هذه الأرض لتكون مناسبة للحياة، جعلها مهادًا، جعلها فراشًا، اللهُ عَزَّوَجَلَّ جعلها كفاتًا، ﴿**أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا**﴾ [المرسلات:٢٥-٢٦]، يعني: بها تُحفظون في حال الحياة، وفيها تُحفظون في حال الموت، خلق هذا الكون، وجعله مناسبًا للحياة، جعل فيه هواء يمكن أن يُستنشق، ويعيش به الإنسان، جعل في ماء يمكن أن يُشرب ويستساق، جعل فيه طعامًا، جعل فيه أسبابًا للحياة، كل شيء موجود، فإنه دليلٌ على عناية الله تبارك وتعالى في خلقه، وهذا

دليله كل ما تراه، كل شيءٍ تراه بعينك فهو راجعٌ إلى هذا الدليل، إلى دليل الخلق، بل إلى دليل العناية، ولذا ما أصدق قول مَن قال: إن لله عَزَّوَجَلَّ طرائق بعدد أنفاس الخلائق، لله عَزَّوَجَلَّ طرائق تدل عليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بعدد أنفاس الخلائق، كل شيءٍ إن تأملتَه فإنك تجده قد اعتَنى اللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بخلقه، ومثل هذا لا يمكن البتَّة أن يكون قد وُجد بدون مُوجِد، قد خُلق بدون خالق، لا يمكن، ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ [النبأ:٦-١٤]، إلى آخره، تجد ان كل شيء مخلوقٌ بعناية، وهذا من أعظم الدلائل على وجود الله تبارك وتعالى، بل على ربوبيته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

الدلالة الثالثة: هي دلالة الإتقان، وهذه أيضًا درجة أرفع من مجرد الإيجاد من العدم، هناك خلق، وهو مُتقَن أيضًا، الله عَزَّوَجَلَّ أحسن كل شيءٍ خلقه، ﴿صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل:٨٨]، ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ [الملك:٣]، تأمل في هذه الكائنات جميعًا التي تراها، أو التي تعقلها، أو التي تسمع عنها، تجد أنها مُحكمة، وتجد أنها متقنة غاية الإتقان، وهذا لا يمكن أن يكون قد جاء عبثًا بدون مُوجِد، بدون أن يكون هذا الخالق خالقًا عليمًا حكيمًا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

الدلالة الرابعة: دلالة التسخير والتدبير، يعني: أن الله عَزَّوَجَلَّ خلق الخلق، وظهرت آثار قُدرته وقهْره وسلطانه في هذا الكون، وهذا دليل عقلي بل وحسي مشاهد على وجوده تبارك وتعالى، وعلى ربوبيته.

أنت ترى أن الله تبارك وتعالى خلق الخلق، وسخره وِفق ما أراد، ﴿**وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ**﴾ [يونس:٣١]، كل شيءٍ مُسخر، وكل شيءٍ مُسيَّر وفق إرادة الحكيم الخالق تبارك وتعالى.

ولذا إذا تأملت، تجد أن هناك أشياء عجيبة في هذا الكون، ترشد العاقل إلى أن هناك خالقًا عظيمًا وراء ذلك، تجد أحوال النَّاس مثلًا في الرزق، الله عَزَّوَجَلَّ فاوَت بين العباد في ذلك، لا تجد أن القضية راجعة إلى العقل أو الجد أو العمل، بدليل: أننا نرى غبيًا غنيًا، وعالِمًا فقيرًا، هذا دليل على أن هناك من يُقدر الأشياء، وييسرها، ويسخرها سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، تجد أن الإنسان الذي يريد الذكر -يعني: الابن الذكر- تجد أنه يُرزق انثى، وتجد أن الذي يُريد الأنثى، يُرزق ذكرًا، إذًا هذا كله دليل على أن الله خالق، وأن له تدبيرًا في هذا الخلق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فكل شيءٍ عنده سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بمقدار، كل شيءٍ سخره تسخيرًا دقيقًا تبارك وتعالى.

إذًا هذه كلها -يا رعاك الله- ترجعُ إلى هذه الدلالة التي تكلمنا عنها، وهي دلالة الأثر على المؤثر، وهي التي عبّر عنها الشيخ رَحِمَهُٱللَّهُ في فَحْوى كلامه بدليل المخلوقات، إذًا كل شيءٍ دليلٌ على الله تبارك وتعالى، (وفي كل شيءٍ له آيةٌ، تدل على أنه الواحد) سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

والحمد لله رب العالمين

الأسئلة

السؤال: سمعتُ من بعض مَن يُنسب إلى العلم، يقول: بأن الرسول ﷺ ليس بميت، بل هو حي، فهل هذا الأمر حق أم ماذا؟

الجواب: النبي ﷺ حيٌ في قبره، ولكن ما هي هذه الحياة، هل هي من جنس هذه الحياة الدنيا التي نعقل، وبالتالي تترتب على حياته في قبره الأحكام التي كانت لحياته قبل موته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؟

الجواب: لا، بل النبي ﷺ حيٌ في قبره حياةً برزخيّة، اللهُ تعالى أعلم بها، هذه الحياة ليست من جنس هذه الحياة التي نعيشها، أو التي كان النبي ﷺ يعيشها قبل موته.

إذًا النبي ﷺ مات، ومن شك في موته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فقد كذب كتاب الله، ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**﴾ [الزمر:٣٠]، ﴿**أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ**﴾ [آل عمران:١٤٤]، فالنبي ﷺ مات، يعني: أن حياته الدنيا قد انتهت، وانتقل النبي ﷺ إلى حياة أخرى، وبالتالي فإن كل ما يتعلق بمتعلقات هذ الحياة الدنيا، فإنه قد انتهى في حق النبي ﷺ.

وأنا أُبيّن لك وجهًا عقليًا واضحًا يسهل لك فهم هذه القضية.

لو كان النبي ﷺ الآن في قبره حيًا حياة دنيوية، وبالتالي فإن من ناداه أو استغاث به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فإنه قد يكون قد استغاث بحي، إذًا لكانت هذه الأمة كلها، قد خرجت من دين الله، وكَفَرت بالله، منذ عهد الصحابة، وإلى اليوم، لِمَ؟ لأنها رضيت أن يبقى النبي ﷺ تحت التراب، فهذه إهانةٌ له عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولاشك أن الإنسان يكفر بأقلّ من هذا، لو أهان النبي ﷺ بأقل من هذا، فإنه يكفر بالله عَزَّوَجَلَّ، فكيف أن يُهال عليه التراب ﷺ، ويحبس في هذا القبر، هذه المدة الطويلة التي زادت على أربعة عشر قرنًا، من اعتقد هذا فإنه يكون قد حكم بالكفر على هذه الأمة جميعًا، إذًا النبي ﷺ قد مات، وانتهت علاقته بهذا الحياة الدنيا، وأمَّا حياته في قبره فهي حياة برزخية، الله أعلم بها، وهذه الحياة البرزخية ثابتة لكل مَيت، حتى

الكفار، كلٌ في قبره قد انتقل من الحياة الدنيا إلى الحياة البرزخية، أما المؤمن فإنه يُنعَّم في قبره، وأما الكافر فإنه يُعذَّب في قبره، وأما العاصي فإنه تحت مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ.

لاشك أن للنبي ﷺ من هذه الحياة أرفعها، ولكنها أيضًا لا تخرج عن كونها حياةً برزخية.

السؤال: الوساوس التي تَرِد على الإنسان، ما علاجها، يرد على الإنسان أحيانًا وساوس تتعلق بوجود الله عَزَّوَجَلَّ، وما إلى ذلك، فما هو العلاج؟

الجواب: هذه مشكلة قد تَرِد على بعض النَّاس، ربما يكثر السؤال عنها.

أولًا: عليك أن تعلم -يا رعاك الله- أن هذه الوساوس إنما هي من تسلط الشيطان على الإنسان، ولا يُنجيك من أذى الشيطان إلا الله تبارك وتعالى، فالْجَأْ إلى الله، واعتصم بالله، وانطرح بين يديه جل وعلا، وعُذْ بِهِ سبحانه، وأكثِر من ذكره، فإن الشيطان يذهب عنك.

قال ﷺ كما في حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه، قال ﷺ: «**وكذلك الإنسانُ لا يُحرِز نفسَه من الشيطان إلا بذكر الله**».

وتنبَّه إلى العلاج النبوي، فالنبيُّ ﷺ قد جاء في أحاديثه علاج نبوي خاص لهذه الوساوس، **مَجموعها يرجع إلى خمسة أمور** -انتبهْ لها، واحفظْها وحَفِّظها، وقد ذكرتها في بعض الدروس السابقة، ولا بأس من تكرارها-.

أولًا: قُلْ: آمنتُ بالله ورسله، إذا جاءك الشيطان ووسوس لك بشيء من هذه الوساوس الرديئة، قل: آمنتُ بالله ورسله، تذكيرك نفسك بهذه القضية، سببٌ بإذن الله عَزَّوَجَلَّ لدفع هذه الوساوس.

ثانيًا: تقول: ﴿**اللهُ أَحَدٌ (١) اللهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص:١-٤]، ذكر نفسك بهذه الحقيقة.

ثالثًا: اتْفُل بعد قولك: ﴿**اللهُ أَحَدٌ**﴾ إلخ، عن يسارك ثلاثًا.

رابعًا: استعِذْ بالله من الشيطان.

خامسًا: انتَهْ، أَلْزِم نفسك بالكفِّ عن التفكير في هذه الأمور، وثِقْ أنه سيذهب عنك، فإن النبي ﷺ قال كما عند أحمد: «**فإن ذلك يُذهبُ عَنْه**»، سيزول عنك بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ هذا الإشكال، هذه الوساوس ترحل عنك بإذن الله، داوم على هذه الأمور الخمسة، وأبشر بالخير.

السؤال: في التشهد، كيف نُسلِّم على النبي ﷺ، بصيغة الغائب، أم بصيغة المخاطب؟

الجواب: الذي ثبت في السنة أن يقول الإنسان: «السلام عليك أيها النبيُّ ورحمة الله وبركاته»، وهذا ثابت في حياة النبي ﷺ، وبعد وفاته على الصحيح، بل قول مَن قال: إن هذا إنما يكون في حياته ﷺ ليس بصحيح؛ لأنه في حياته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ليس كل المصلين يكونون بحضْرة النبي ﷺ، فهذا دليل على أن القول بأن هذا في حياته ﷺ غير صحيح، والصواب أن هذا ثابت في حياته ﷺ، وبعد وفاته.

والمقصود بهذا: هو الاستحضار القلبي، كما يقول العلماء، يعني في قولك: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته» هذا استحضارٌ قلبي، يعني: كأن النبي ﷺ حاضر

أمامك، والواقع أنه حاضر في ذهنك ﷺ، فمثل هذا لا إشكال فيه إن شاء الله.

السؤال: عقْدُ المناظرات في القنوات حول قضية وجود الله، يعني بين ملحد ومسلم.

الجواب: أنا أرى والله تعالى أعلم أن هذا الأمر يقرب من أن يكون لعبًا بالنار، يعني المسألة ليست سهلة، لِمَ؟ أولًا: كثيرٌ من النَّاس بل أكثرهم في عافية من هذه الشبهات، فلماذا نأخذها ونحملها وندخلها بين كل إنسان، الشخص الذي ابْتُلِي بشيء من هذا، وهو باحث عن الحق، الأسباب التي تؤدي به إلى الوصول إلى الحق مبذولة ولله الحمد، ومن يمكن أن يراجعهم لإزالة الشُّبَه التي في نفسه، متوفرون ولله الحمد، فلماذا ننشر مثل هذه الشُّبه بين النَّاس؟ فهذا في الحقيقة فيه خطورة لا تخفى.

ثانيًا: ماذا لو كان هذا الذي يناظر هذا الملحد ضعيفًا في عِلمه، أو ما أحسن الرد، أو ما استحضر بعض أوجه الأجوبة، تخيلوا كيف سيكون الحال، وكيف سيكون الأثر على الجُهّال والأغمار، أظن أن الجواب في هذا حاضر، ولذا مناظرة الملحدين لا ينبغي أن تكون أبدًا مناظرة عَلَنية، لا خوفًا منهم ومن شُبهاتهم، فوالله وبالله وتالله إن الذي عندهم ما هو إلا سَفْسَطة لا قيمة لها، كل ما عندهم بكل ما تحمله كلمة «كل» من عموم، فهو كلامٌ تافه، لكن الإشكال فقط في هذه الخطورة التي تترتب على مثل هذه المناظرات العَلنية، لكن لو كان هناك مناظرة خاصة، وليست على العَلَن، وكان يُرجى من ورائها النفع، فمثل هذا لا حرج فيه، والله تعالى أعلم.

السؤال: الرسول ﷺ قال: «**أكثروا عليَّ من الصلاة يوم الجمعة**»، ما معناه؟

الجواب: معناه أن تكثر من الصلاة عليه ﷺ، هذا هو معناه، يعني: تكثر من قولك: (اللهم صلِّ على محمد، أو اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد)، الصلاة الإبراهيمية، أو بأي صيغة كانت مما جاء في السنة، أو الآثار، تصلي على النبي ﷺ، فإن هذا ممَّا لك فيه عظيم الأجر.

والحمد لله رب العالمين

قال المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَإِذَا قِيْلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ.

وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالقَمَرُ.

وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت:٣٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].



قَالَ الشَّارِح وفَّقَهُ الله:

عَقَّب المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ على ذِكر الأصل الأول، وهو معرفة الله عَزَّوَجَلَّ بسؤال، وهو: (بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟) يا أيها المسلم، الذي اعترف بربوبية الله عَزَّوَجَلَّ، بِمَ عرفت ربك؟ فكان جواب الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ).

وكُنا ذكرنا في درس أمس: أن الآيات التي يُعرف الله عَزَّوَجَلَّ بها، تنقسم إلى: **آيات شرعية**، وهي ما جاء في الكتاب والسنة، والدليل الفطري، الدليل العقلي، والدليل الحسّي.

وذكرنا أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر هاهنا -مراعاةً للإيجاز- الدليل العقلي، وهو دليل الخلق، وإن شئت فقُل: دليل الأثر على المُؤثِّر، وبيَّنا في درس أمس أوجه دِلالة هذا الدليل، دلالة الاختراع، ودلالة العناية، ودلالة الإتقان، ودلالة التسخير والتدبير.

أمَّا الدليل الحسّي: فهو كلّ ما دلَّ على وجود الله عَزَّوَجَلَّ من طريق الحس، وهذا يدخل فيه مخلوقات الله عَزَّوَجَلَّ، ويدخل فيه غير ذلك، مثل الآيات التي أجراها الله تبارك وتعالى على أيدي أنبيائه ورسله، فإنها دليلٌ بيّنٌ على وجود الله سبحانه، وعلى ربوبيته جل وعلا، وذلك أن هذا الدليل، والآية، والبرهان الذي أجراه الله عَزَّوَجَلَّ، على يد رجل يذكر أنه نبيٌ من عند الله، ثم يُبين لهم بأمر يشاهدونه بأعينهم هذا الدليل، هذا لا يمكن إلا أن يكون من خالقٍ قادرٍ مدبر، بمعنى: أن نبيًا يريد إثبات نبوته، وإقناع مَن أنكر هذه النبوة، فيلقي عصًا، تنقلب إلى ثعبان، يَلْقَفُ ما بين يديه، أو أن صخرة تخرج منها ناقة، أو أن قمرًا ينشق، أو أن ماء يخرج من بين الأصابع، إلى غير ذلك مما أجراه الله تبارك وتعالى على أيدي أنبيائه ورسله، وهو الذي يُسمى عند كثيرٍ من العلماء من أهل الكلام وغيرهم: بالمعجزات.

هذه دلائل حسيّة مشاهدة وملموسة على وجود الخالق المدبر سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

وقُلْ مثل هذا في كرامات الأولياء، فإنها على نسق ما يتعلق بالمعجزات، وإن كانت دونها في الكَمّ والكَيف.

أيضًا من الأدلة الحسيّة: إجابة الدعاء، وتفريج الكروب ممَّن يفزع إلى الخالق سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، وهذا أمرٌ محسوسٌ ملموس، يُحسه الإنسان في نفسه، ويُحسه الإنسان في غيره، وكل واحد منا يعرف من نفسه، أو يعرف من غيره أنه دعا الله عَزَّوَجَلَّ، ولجأ إليه، فجاءه تفريج الكرب، وجاءتْه الألطاف والبركات والإنعام من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، إذًا هذا دليل على أن هناك رَبًا سمع الدعاء، وهو قادرٌ على الإجابة، ويفعل في سلطانه وملكوته ما يشاء، إذًا هذا دليلٌ حسيٌّ أيضًا، على وجود الله تبارك وتعالى.

وعلى كل حال، أدلة وجود الخالق سبحانه وربوبيته، أكثر من أن تحصر، ولذا صدق من قال كما ذكرنا بالأمس: (إنَّ لله عَزَّوَجَلَّ طرائق، بعدد أنفاس الخلائق)، كل شيءٍ تراه، وكل شيء تحس فيه، وكل شيء تلمسه، فإنه دليلٌ على وجود الله عَزَّوَجَلَّ.

تأمَّلْ صدور الكائنات فإنها ... مِن الملأ الأعلى إليك رسائلُ

وقد خُضْتَ فيها لو تأمَّلْتَ خَطَّها ... أَلَا كُلّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ

وما يذكره العلماء من هذه الأدلة ما هو إلا غيضٌ من فيض، بل قطرة من بحر، والأمر لاشك أنه أعظم من ذلك وأعظم، والله المستعان.

أمَّا معرفة أُلوهية الله تبارك وتعالى -وهو الأمر الثاني-؛ لأننا قلنا: إن معرفة الله عَزَّوَجَلَّ، يراد بها، معرفة ثلاثة أمور: معرفة ربوبيته، ومعرفة ألوهيته، ومعرفة أسمائه وصفاته.

إذا عَلم الإنسان هذه الأمور الثلاثة، فإنه يكون قد عرف ربه.

أمَّا أُلوهية الله عَزَّوَجَلَّ، **فإن المراد**: أن يعرف الإنسانُ، بل أن يستيقن، أن الله تبارك وتعالى هو المعبود وحده لا شريك له، ويقوم بمقتضى هذا الاعتقاد، بأن يعبد الله، ويتقرب إليه بأنواع الطاعات.

والأدلة على انفراد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى بالألوهية، أدلةٌ كثيرةٌ أيضًا، ترجع إلى أدلة شرعية، وإلى أدلة عقلية.

أما الأدلة الشرعية: فحدِّث ولا حرج، فآيات الكتاب وأحاديث السنة طافحةٌ بإثبات ألوهية الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، ووجوب عبادته وحده لا شريك له، بل أول أمر إن فتحْت المصحف تجده أمامك، هو الأمر بعبادة الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ**﴾[البقرة:٢١]، وأوّل نهيٍ

أيضًا في المصحف يمر بك، هو النهي عن الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢].

أمّا الأدلة العقلية: فهي أيضًا كثيرة، أهمها ثلاثة أدلة.

أولًا: توحيد الربوبية، إذا ثبتت ربوبية الله عَزَّوَجَلَّ، فإنه يلزم من هذا إثبات ألوهيته، متى اعتقدت أن الله تبارك وتعالى، هو الرب، الخالق، المدبر الرازق وحده، إذًا يلزمك أن تعبده جل وعلا، وإلا فما الذي يقوله العقل، الله يخلق، وأنت تعبد غيره، والله يرزق، وأنت تشكر سواه، هذا لا يتأتى عند العقل الصحيح، إذا كان الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي خلقك، إذًا العبادةُ يجب أن تتوجه له تبارك وتعالى، قال سبحانه: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ [الصافات:٤]، كأن قائلًا قال: ولِمَ يا ربنا، لِمَ إلهنا واحد، لِمَ لا يكون إلهنا اثنان أو ثلاثة، لِمَ لا يكونوا معك شريك في العبادة؟ فجاء الجواب: ﴿رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ [الصافات:٥]، هذه الحُجة، لأنه رب السماوات والأرض، ورب المشارق، إذًا يجب أن يُعبد وحده لا شريك له.

قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ [الأنعام:١٠٢]، تأمَّل هذه الآية العجيبة، فيها مقدمة ونتيجة، ثم مقدمة ونتيجة، مقدمتان ونتيجتان، ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾؛ مقدمة، ماذا ينتُج عنها؟ ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، (ربٌ)، إذًا يجب أن يكون معبودًا، ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، لا يستحق العبادة سِواه، ثم مقدمة أخرى، ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، نتيجتها ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾، لَمّا كان هو خالق كل شيء، إذًا يجب أن تعبدوه.

والأدلة في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ على هذا المعنى كثيرة، ومن تأمل وجد من ذلك الشيء الكثير الطيب.

ثانيـا: اتصـاف الله عَزَّوَجَلَّ بصـفات الكمـال، فهـذه حجـةٌ مُلزِمـة بـأن يكـون الله عَزَّوَجَلَّ وحـده المعبود، **الذي يعبد إنما يعبد لأمرين**:

أولًا: لأنه يُحب معبوده، ومحبته لمعبوده، راجعةٌ إلى اتصافه بالكمال سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، لأن النفوس مجبولةٌ على حُبّ الكمال، لذا مَن آمن بأن الله تبارك وتعالى له الكمال المطلق، فإنه يَتعيَّن في حقه أن يحبه الحب الكامل، وبالتالي فيتوجه له بالعبادة.

ثانيًا: أن يعبد العابدُ معبوده لأنه محتاجٌ إليه، ويعتقد أن هذا المعبود قادرٌ على أن ينفعه، وعلى أن يُلَبِّي له حاجاته، وعلى أن يُنقذه عند المآزق، ولذا إبراهيم عليه السلام لمَّا حاجَّ أباه وقومه، أعاد أذهانهم إلى هذه القضية المهمة، ﴿**يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ**﴾ [مريم:٤٢]، لاحظ (سمْع وبصر) يعني: كمال، ﴿**وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا**﴾ [مريم:٤٢]، هذا الأمر الثاني، **ما الفائدة من عبادته**؟ إذا كان لا يغني عنك شيئا، إذًا لِمَ تعبده، اعبُد من يتصف بالكمال، هو السميع البصير، العزيز الحكيم، العليم الحليم سبحانه، واعبُد من بيده ملكوت كل شيء، وهو الذي يُجير ولا يُجار عليه، وهو الذي إن دَعوتَه وأنت محتاج، فإنه ينزل عليك رحمته، وينقذك مما أنت فيه، إذًا هذه الدلالة الثانية.

ولذا تأمَّل في آية الكرسي: ﴿**اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**﴾ [البقرة:٢٥٥]، هذا توحيد الألوهية، لِمَ، ما الدليل؟ لأنه الْحَيُّ ﴿**الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾ [البقرة:٢٥٥].

تأمَّل في نصوص كثيرة في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، تجدُ أن الله تبارك وتعالى، يرتب عبوديته، بل

انفراده بالعبودية على كون أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته، أسماء حسنى، وصفات كاملة.

ثالثًا: اتصاف ما سواه من المعبودات بالنقص، وإذا كانت ناقصة مَعيبة، فهي لا تستحق أن تُعبد، وبالتالي يجب أن يكون هو المعبود وحده لا شريك له.

تأمَّل معي؛ قال جل وعلا: ﴿**مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ**﴾ [المائدة:٧٥]، إذًا لا تصلح عبادتهما، ليسا أهلًا للعبادة، فقط بهذه الجملة: ﴿**كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ**﴾، ما معنى ﴿**كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ**﴾؟ إذًا هما محتاجان، المحتاج لا يكون ربًا، المحتاج لا يكون إلهًا.

تأمَّل قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ**﴾ [الحج:٧٣]، فعل أمْر، استمِع يا عبد الله، ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**﴾ [الحج:٧٣]، إذًا هذه الحشرة الصغيرة، التي هي من أصغر مخلوقات الله عَزَّوَجَلَّ، لو اجتمع كل ما عُبد من دون الله سبحانه على أن يخلقوا هذه الحشرة، فإنهم لن يستطيعوا، بل لو امتصَّت هذه الذبابة شيئًا من طعامهم أو شرابهم، فإنهم لا يستطيعون إرجاع هذا الشيء، ﴿**ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**﴾، إذًا كل ما سوى الله عَزَّوَجَلَّ، فإنه لا يستحق العبادة، بدليلٍ عقلي واضح، إذًا اللهُ وحده هو الذي يستحق العبادة.

أمَّا معرفة الله عَزَّوَجَلَّ بأسمائه وصفاته، وأنه المنفرد بغايات الكمال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإن الكلام فيه يطول، ومحله في درس شرح أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

إذًا هذه هي معرفة الله عَزَّوَجَلَّ على وجه الإيجاز والاختصار، أن يعرف العبد انفراد الله

عَزَّوَجَلَّ، بالربوبية والألوهية، وأسمائه وصفاته تبارك وتعالى.

كلامُ الشيخ هنا، تَركَّز على الأمر الأول، وهو ربوبية الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ لأن ربوبية الله عَزَّوَجَلَّ، هي الدرجة الأولى، هي الباب الذي من دخله، فإنه سيرتقي إلى ما فوقه، فنبَّه الشيخ رَحِمَهُٱللَّهُ إلى هذه المسألة، وهي: كيف عرفت ربك، كيف عرفت ربوبية الله عَزَّوَجَلَّ؟ فكان الجواب: بآيته ومخلوقاته.

وذكر من الآيات، قال: (**وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ**).

الآياتُ والمخلوقات، تجد أن الشيخ رَحِمَهُٱللَّهُ، ذكر هذا وذكر هذا، ذكر الآيات، وذكر المخلوقات، فهل بينهما فرق؟

الذي يظهر -والله أعلم- أن الأصل: هو أن المخلوقات بعض آيات الله عَزَّوَجَلَّ، وبالتالي فيكون عطف المخلوقات على الآيات، من باب عطف الخاص على العام، فإن آيات الله تبارك وتعالى تنقسم إلى آيات مَتلوّة، وإلى آياتٍ مخلوقة.

الآيات المَتلوّة: هي ما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ على أنبيائه ورسله من الكتب السماوية.

وأما الآيات المخلوقة: فهي كما ذكر الشيخ رَحِمَهُٱللَّهُ، (**اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالقَمَرُ**).

ولا يُفهم من قوله (إن هذه آيات، وهذه مخلوقات): أن الآيات المذكورة ليس بمخلوقات؛ كلا، بل الليل والنهار والشمس والقمر، كلها مخلوقات لله عَزَّوَجَلَّ، ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ**﴾ [الأنبياء:٣٣]، نصَّ الله عَزَّوَجَلَّ، على أن الليل والنهار

والشمس والقمر مخلوقات، لكنه استعمل هذا الأسلوب رَحِمَهُ ٱللَّهُ من باب التنويع فقط في الأسلوب.

بعض أهل العلم تلمس أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ نص على أن هذه آيات، وتلك مخلوقات، لأن الآيات أوضح في الدلالة من المخلوقات، ولكن يبدو -والله أعلم- أن ما يُقال من وضوح الدلالة فيما ذكر من الآيات، يُقال مثله بل ربما أكثر فيما ذكره في المخلوقات، لكن يبدو -والله أعلم- أنه أراد التنويع في الأسلوب، والله عَزَّوَجَلَّ أعلم.

المقصود: أنَّ ما ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الآيات والمخلوقات، يرجع إلى ما يأتي: الليل، والنهار، والشمس، والقمر، والسماوات، والأَرَضِين، إذًا ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ ستة أشياء، وهذه معروفة عند أهل العلم، بدليل الآفاق، فأوضح أدلةٍ على ربوبية الله عَزَّوَجَلَّ من جهة الأدلة المعقولة والمحسوسة: دليل الآفاق، ودليل الأنفس.

دليل الأنفس: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢١].

ودليل الآفاق: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ﴾ [فصلت:٥٣]، وهذه الآية فيها التنبيه على الأمرين: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [فصلت:٥٣]، فدلَّ هذا على أن هذه أعظم ما يكون من الآيات.

وما ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، (الأنفس) اللهم إلا فيما ذكر عرضًا، من أن (ما فيهنَّ) يعني: في السماوات والأرض، ويدخل في ذلك الملائكة والإنس والجن، كما سيأتي.

(الليل والنهار) آيتان تدلان على ربوبية الله تبارك وتعالى، وأن الذي خلق الليل والنهار ربٌ حكيم، وربٌ قدير، وربٌ عليم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وذلك أن الليل والنهار، فيهما من الحِكم،

والمصالح، وظهور دلائل العناية بالعباد ما يعلمه كل من تأمل، فالله عَزَّوَجَلَّ جعل الليل لباسًا، وجعل النهار معاشًا، لو امتد ليلٌ مستمر، لهَلَك النَّاس، ولَهَلَكَت كثير من الكائنات؛ لأنها بحجة إلى الشمس، لأجل الضياء، بحاجة إلى الشمس، لأجل الحرارة، بحاجة إلى الشمس، لأجل إنبات النبات، الأسماك في البحار بحاجة إلى الشمس، النباتات بحاجة إلى الشمس، الداب بحاجة إلى الشمس، إذًا لو جعل الله عَزَّوَجَلَّ الحياة ليلًا مستمرًا، فإن النَّاس لن يستقيم لهم معاش، والعكس صحيح، لو كان الوقت كله نهارًا لا ليل فيه، فإن معاش النَّاس أيضًا سيتنغص، وربما هلكوا، ومن رحمته تبارك وتعالى أن جعل على العباد هذين الأمرين يتعاقبان فيهما، كما سيأتي معنا، هذا يُكَوَّر على هذا، وهذا يُكَوَّر على هذا، هذا يُولَج على هذا، وهذا يُولَج على هذا، وهكذا يستمر الأمر ما دامت السماوات والأرض، وهذا فهي من الحِكم والمصالح الشيء الكثير.

لولا وجود الليل والنهار -وهما أثران لوجود الشمس والقمر- لَمَا أمكن للناس أن يعرفوا تَواريخهم وأزمنتهم، ويحددوا المواعيد، وتترتب كثير من أمور حياتهم ومعاشهم، إذًا وجود الليل والنهار آيتان عظيمتان على وجود الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

قال: الأمر الثالث والرابع (**وَالشَّمْسُ، وَالقَمَرُ**)، الشمس والقمر آيتان من آيات الله عَزَّوَجَلَّ، خلقهما الله سبحانه، وفيهما من دلائل الاختراع، ودلائل الإتقان، ودلائل العناية، ودلائل التخصيص والتدبير، ما يعجز الإنسان أمامه، ولا يزال النَّاس كل يوم يكتشفون أشياء يَعجب منها الإنسان في إتقان الله تبارك وتعالى، وحسن تدبيره للشمس والقمر.

الشمس هذه الكُرة المُلْتَهِبة، التي أوجدها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى في هذا العلو وفي السماء، وما

يترتب عليها من مصالح عظيمة في معاش النَّاس، وجعلها الله سبحانه في محل معلوم، وجعل لها مسارًا معلومًا لا تَحيد عنه، ولا يختلف، بل هو مسارٌ مُحدَّد بدقة، دليل على تدبير الله عَزَّوَجَلَّ في خلْقه، هذه الشمس التي لو قربت من الأرض شيئًا يسيرًا لانتهتِ الحياة في الأرض، ولو أنها ابتعدتْ شيئًا يسيرًا لانتهت الحياة أيضًا من الأرض.

هذه الشمس العظيمة الكبيرة التي يدبرها الله تبارك وتعالى، وهي مع عظمتها تخضع لله سبحانه، حتى إنها في كل يوم تسجد تحت العرش، إذا ذهبت إلى المغيب فإنها تذهب فتسجد تحت العرش لله العظيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وكذلك القمر آيةٌ من آيات الله سبحانه، جعل الله عَزَّوَجَلَّ هذا القمر منيرًا، ينتفع العباد بوجوده، فيعرفون الأزمنة، ويعرفون الأهلة، وتكون لهم مواقيت، ويحصل انتفاعٌ بتقدير الله عَزَّوَجَلَّ في البحار، وفي النبات، بوجود هذا القمر، هذا كله ما جاء عبثًا، ولا وجد من العدم، بل هذا آية من آيات الله تبارك وتعالى، الدالة على خلقه وربوبيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: (**وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ**)، والسماوات سبعٌ بنص كتاب الله عَزَّوَجَلَّ في آيات كثيرة، والأرضون سبع، كما هو ظاهر كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿**اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ**﴾ [الطلاق:١٢]، والمِثلية هنا -والله تعالى أعلم- تعود على ما ذكر جمهورُ أهل العلم، تعود إلى العدد، لأنها لا يمكن أن تكون مثل السماوات في الصفة والمقدار، فبينهما بَون شاسع، فالسماوات أكبر من الأرض بكثير، فدل هذا على أن المثلية تعود إلى العدد، وهذا ما جاء صريحًا في سنة النبي ﷺ.

ففي «الصحيحين» أنَّ النبي ﷺ قال: «**مَن اقتطع شِبرًا من أرضٍ ظُلمًا طُوِّقه مِن سَبْع**

أرضين يوم القيامة»، فدل هذا على أن الأرضين سبعٌ، كما أخبر النبي ﷺ، وهذا إجماعٌ بين أهل السنة والجماعة، نقل الإجماع أبو بكرٍ الأنباري، كما نقل عنه ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليهما.

المقصود: أن من آيات الله عَزَّوَجَلَّ الدالة على ربوبيته سبحانه: السماوات السبع، وما فيها من الآيات العظيمة، وكذلك الأرضون السبع، وما فيها من الآيات العظيمة، فالله عَزَّوَجَلَّ خلق هذ السماوات بقوة، ﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ**﴾ [الذاريات:٤٧]، يعني: بقوة، جعلها الله سبحانه مُحكَمَة، وجعلها سقفًا مرفوعًا، وجعل لها أبوابًا، وأمسكها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن تقع على الأرض، وأن تزول، وزينها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالمصابيح والنجوم والكواكب، فكل ذلك من آيات الله العجيبة، الدالة على أنه الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وكذلك الأرض وما فيها من عجائب خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والحديث فيها، لا ينبغي أن يُطال فيه؛ لأن هذا شيءٌ يراه الإنسان ويلمسه في كل لحضة، الله جل وعلا جعل الأرض مهادًا، والله عَزَّوَجَلَّ جعلها مُذلَّلة، والله عَزَّوَجَلَّ جعل فيها السُبل، التي يستطيع فيها النَّاس أن يضربوا ويسافروا، وينتقلوا من مكان إلى مكان، كما أن الله جل وعلا جعلها قرارًا، ولو شاء سبحانه لجعلها تَمِيد وتضطرب وتتحرك، فما استقام للناس حياة، والله جل وعلا شقَّها، وأنبت منها أنواع النعم، ﴿**فَلْيَنْظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا**﴾ [عبس:٢٤-٢٧]، والعجيب أن هذا النبات نباتٌ يسقى بماء واحد، لكنه مختلف اختلافًا كبيرا، مختلف في لونه، مختلف طعمه، مشتبه وغير مشتبه، وكل هذا لا يمكن أن يكون إلا من خالق عظيم، وحكيم، ومدبر ومريد، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إذًا هذه

الأرض أيضًا من دلائل وجود وربوبية الخالق تبارك وتعالى.

فلو أحسن الإنسان التأمل في هذه الآيات، فإنه لا يجد مناصًا من أن يُذعِن بربوبية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

تأمل في قول الله سبحانه: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ يعني: الجبال ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ [لقمان:١٠]، دواب عجيبة، في الجو، وفي الأرض، وفي البحر، شأنٌ عجيب، يعجز الإنسان عن أن يحيط علمًا بكل ذلك، ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١٠) هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [لقمان:١٠-١١]، هذا خلق الله، يا معشر الملاحدة، يا معشر المعطلة، يا معشر الجاحدين لَربنا تبارك وتعالى، هذا خلق الله، ليس خلقًا من العدم، فإن العدم لا شيء، العدم لا يخلق، لأن غير الموجود لا يمكن أن يُوجِد موجودًا، فاقد الشيء لا يعطيه، ﴿هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [لقمان:١١]، أروني ماذا خلق الذين من دونه يا معشر المشركين، مَن الذي خلق مثل خلق الله عَزَّوَجَلَّ؟ أَهُمُ الأصنام؟ ماذا خلقت اللات، وماذا خلقت العزى؟ ماذا خلقت الأشجار، وماذا خلقت الأحجار؟ ماذا خلقت الشمس، وماذا خلق القمر؟ ماذا خلق الأولياء، وماذا خلق الأنبياء؟ ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

إذًا هذه دلائل وعبر، لا ينبغي أن تَمُرّ على الإنسان دون أن يتأملها، فإنها مما يزيد الإيمان واليقين، ومع الأسف، كثير من النَّاس محرومٌ من هذه النعمة العظيمة، وهي نعمة التأمل والتدبر والتفكر في هذا الكون، كثيرٌ من النَّاس مشغولون ومنصرفون، ويلهثون في هذه

الحياة، لا يقفون ولو وقْفة يسيرة مع ما يشاهدون، ومع ما يطالعون من عجائب السماوات والأرض، اللهُ جل وعلا جعل هذه الكائنات، وجعل هذه المخلوقات، وجعل هذا الملكوت العظيم، لأجل أن نتدبر، وأن نتأمل، ولِيَبلونا أيّنا أحسن عملًا، كيف نحسن التأمل، وكيف نحسن استثمار هذه النّعم التي أوجدها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فهي امتحانٌ وابتلاءٌ واختبار للناس، مَن الذي يقوم فيها بما أمر الله عَزَّوَجَلَّ وأحب، لكن مع الأسف الشديد -كما ذكرت قبل قليل- كثير من النَّاس مصروف عن هذا الأمر.

أَعطِ لنفسك فرصة ووقتًا وتأمل في السماء، وقد كان النبي ﷺ يكثر من رفْع بصره إلى السماء، كثيرٌ من النَّاس لا يحسن مثل هذا الأمر العظيم، لا سيما مع هذه المدنية الصَّاخبة، وانشار الأضواء والكهرباء، فإن كثيرًا من النَّاس لا يجد فرصة، أو لا يقع في ذهنه أن يرفع رأسه إلى السماء فيتأمل، لكن إن حصل للإنسان وقت وفرصة فلا ينبغي عليه أن يضيع هذا الأمر العظيم الذي يعود عليه الخير الكثير.

قوله: (**وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾** [فصلت:٣٧]).

مهما أعجبتم بالشمس والقمر، وبحُسن هذين المخلوقين، وعظم في نفوسكم ما هُما عليه، فاعلموا أنهما من مخلوقات الله عَزَّوَجَلَّ، مَربوبان لله تبارك وتعالى، لا يستحقان شيئًا من العبادة، وهذا يبين ضلال عُبّاد الشمس والقمر الذين يعبدونهما ويسجدون لهما، والله عَزَّوَجَلَّ ينهى عن ذلك، وإذا كانت هذه المخلوقات العظيمة، التي هي أكبر من الأرض ومن كل ما على الأرض، فغيرُها أيضًا لا يستحق أن يُعبد، (**﴿لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ﴾**)، وإنما

عليكم أن تسجدوا لله عَزَّوَجَلَّ، (﴿الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾).

قوله: (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤]).

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

الأسئلة

السؤال: ما معنى (رمضان أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار)، وهل صحَّ عن النبي ﷺ؟

الجواب: أن معنى ما ذكر في هذا الحديث: هو أن العشر الأوائل من رمضان موطن تنزل رحمات الله عَزَّوَجَلَّ على الصائمين، وأن أوسطه -يعني: العشر الوسطى- يكون فيها مغفرة من الله عَزَّوَجَلَّ للصائمين، وفي العشر الأخيرة يكون العتق من النار، ولكن هذ الحديث لم يصح عن النبي ﷺ، فهو حديث ضعيف.

والصواب: أنَّ رمضان كله من أوله إلى آخره، موطن رحمة ومغفرة وعتق من النار.

السؤال: بالنسبة للطواف بالبيت، هل تشير إلى الحجر وتكبر في كل شوط، أو في الشوط الأول فقط.

الجواب: الصواب أنك إن استعطت تستلم الحجر مع التكبير في كل شوط، فإن لم تستطع -وهذا الغالب مع الزحام الموجود الآن- فإنك تشير بيدك، وتكبر مع كل شوط،

هكذا فعَل النبي ﷺ.

السؤال: المضاعفة في مكةَ، هل هي مختصة بمسجد الكعبة، أم تَعُمّ مكة كلها؟

الجواب: المسألة خلافية، والخلاف فيها طويلٌ بين أهل العلم، وذلك للخلاف في تفسير المسجد الحرام الذي الصلاة فيه بمائة صلاة في هذا المسجد، فيكون النتيجة إذا كان هذا المسجد بألف، فالصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف.

السؤال: هل المسجد الحرام يُراد به مكة كلها، أو يراد بذلك المسجد المعروف، الذي هو مسجد الكعبة.

الجواب: المسألة فيها بحث طويل، وكل فريق من فريقَي أهل العلم، يُدْلي بحجته، لكن جاءت رواية في «صحيح مسلم»، أن النبي ﷺ قال: «**إلا مسجد الكعبة**».

فلذا الذي أنصح به: إن كنت في مكة فلا تضيع على نفسك الفرصة، وخذ بالأوثق، وهو أن تصلي في المسجد المعروف في مسجد الكعبة، حتى تنال الأجر بيقين، فإن لم يتيسر لك فمكة حرم، والحرم في الجملة له فضلٌ، فإن كانت المضاعفة في عِلم الله عَزَّوَجَلَّ ثابتة في المساجد جميعًا، في كل مساجد مكة، فالحمد لله، وإلا فأنت على خير إن شاء الله.

السؤال: صليت العصر، وتذكرت قبل غروب الشمس أني غير متوضئ، فماذا عليَّ أن أفعل؟

الجواب: عليك أن تبادر إلى الوضوء، ومن ثَمّ الصلاة، فإن صلاتك بغير وضوء ليست مقبولة، وليست صحيحة، ولا تزال ذمتك مشغولةً بهذه الصلاة، وكونك نسيت، فالنسيان لا يؤثر في الشروط، وبالتالي فمن ترك شرطًا في العبادة نسيانًا فإن هذه العبادة باطلة، فعلى هذا

الأخ أنه يبادر إلى الصلاة متى تذكر، فإنه في الحقيقة لم يُصلِّ.

السؤال: صلاة الميت، هل يجوز رفع اليدين عند التكبير؟

الجواب: أما التكبيرة الأولى، فهذه لا إشكال فيها، أنه يُرفع فيها، وأما في بقية التكبيرات فالمسألة محل خلاف، والذي يظهر -والله أعلم- أنك ترفع يديد لثبوت هذا في الآثار عن السلف الصالح.

السؤال: دعوة البعض إلى تجديد الخطاب الدينية، هل هي صحيحة؟

الجواب: المشكلة أن مثل هذه الجمل والعبارات، جملٌ حَمَّالة لأوجه، ماذا يراد بتجديد الخطاب الديني؟ هل المراد استخدام الوسائل الحديثة في إيصال دعوة الإسلام إلى النَّاس، فهذا لاشك أنه أمرٌ مطلوب، كل وسيلة لا محذور فيها، فإنه ينبغي أن نحرص على أن نستعملها وأن نستخدمها في أيصال الحق، وإن أريد بتجديد الخطاب الديني، أن نتخلى عن بعض المعتقدات التي دل عليها الكتاب والسنة، والأحكام التي جاءت فيهما مراعاةً، كما يقولون للعصر، وللعُرف، وللتغيرات التي تحصل في العالم، فلا شك أن هذا باطل غير صحيح، لا يجوز لنا أن نخضع أحكام الشريعة للواقع، بل الواجب أن يُخضع الواقع لأحكام الشريعة.

السؤال: ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ﴾ [النمل:٦٥].

يسأل عن الاستثناء هنا، هل هو متصل أو هو منقطع؟

الصواب: أن الاستثناء هنا متص، وعلى بابه، وهذه الآية معناها: قل لا يعلم أحدٌ الغيب إلا الله، فما جاء فيها من قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾، تدل على

العموم، فكأنه قال في غير القرآن، قل لا يعلم الغيب أحدٌ إلا الله، والذين قالوا بأن الاستثناء هاهُنا منقطع من المتكلمين، فرُّوا من إثبات كون الله عَزَّوَجَلَّ في السماء، لأنه قال: ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾، والله عَزَّوَجَلَّ في السماء، ولكن كونه في السماء، يعني: على السماء، فإن (في) بمعنى: (على)، أو أن يكون المراد بقوله: ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ أن المراد بالسموات: العلو.

وبالتالي فثمة قدرٌ مشترك، بين اتصاف الله عَزَّوَجَلَّ بالعلو، واتصاف الملائكة بالعلو، فالملائكة لهم علوٌ نِسبي، فهم في داخل السماء المخلوقة، وأما الله عَزَّوَجَلَّ فإنه في العلو المطلق، فوق كل شيءٍ تبارك وتعالى.

وابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بحث وأحسن ما شاء الله أن يحسن في التوجيه الإعرابي لهذه الآية في كتابه «بدائع الفوائد»، وقد ذكرتُ لك ملخص ما قال، فارجع إليه أن أحببت تمام الفائدة.

السؤال: دخلنا المسجد وقت صلاة العصر ولم نصلِّ صلاة الظهر، فصلينا العصر جماعةً مع الإمام، ثم صلينا الظهر جماعة، فما الحكم؟

الجواب: الحكم أنكم أخطأتم، كان الذي ينبغي أن تدخلوا مع الإمام بنية الظهر، واختلاف النية بينكم وبين الإمام لا يضر، ودل على هذه جملةٌ من الأدلة في السنة، ولكن بما أن الأمر قد حصل فأرجو إن شاء الله أن يكون فعلكم صحيحًا؛ لأن الصحيح أن الترتيب واجب، وأن هذه الصلوات مؤقتة، يجب عليك أن تصليها كما شرع الله تبارك وتعالى، ولكن الواجبات تسقط بالجهل، وتسقط بالنسيان، فأرجو إن شاء الله أن تكون صلاتكم صحيحة، لكن إن حصل ذلك مستقبلًا فإنكم تصلون الصلوات مرتبة.

السؤال: توضأت لصلاة الفجر، وكان داخل فَمِي ماء وشربته، وكان ذلك عند قوله: (أشهد أن محمدًا رسول الله) ﷺ، ولم أكن أعلم بالأذان؟

الجواب: الواجب على الإنسان أن يكف عن الطعام والشراب متى ما طلع الفجر الصادق، والأذان علامةٌ على طلوع الفجر الصادق، فإن كان الأذان على الوقت فإنه يجب عليك أن تكف عن الطعام والشراب، إلا في حالةٍ واحدة استثنتها السنة، وهي أن يكون إناء الماء أو الشراب بيدك، فإن الشريعة أباحت لك، والحديث في هذا صحيح عن النبي ﷺ، حتى تنهي نَهْمتك من هذا الشراب.

والأخ ذكر في السؤال أنه ما كان يدري أن الأذان قد أذن، وبالتالي فإنه شرب وهو يظن بقاء الليل، ومَن شرب مع ظنه أن الليل باقٍ، فإن صومه صحيح، على الصحيح من كلام أهل العلم.

السؤال: في مسألة الصيام أنه لا يدخل في الموازنة التي يؤخذ منها يوم القيامة، يعني يأخذ المظلوم من حسنات الظالم، فهل الصيام يدخل في ذلك؟

الجواب: الصحيح: نعم، وأنه من جملة الحسنات التي يحصل فيها المُقاصَّة، هذا هو الصحيح في هذه المسألة، والله تعالى أعلم.

والحمد لله رب العالمين

قال المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى-: «الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ».

وَأَنْوَاعُ العِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا: مِثْلُ: الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ.

وَمِنْهَا: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا، كُلُّهَا للهِ تَعَالَى؛ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨].

فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧].

وَفِي الحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ».

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].



قَالَ الشَّارِح وفَّقهُ الله:

فكُنَّا قد توقفنا في درس أمس عند آية الأعراف، يقول الله جل وعلا: (﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ [الأعراف:٥٤])، ومضى معنا الكلام عن خلق الله للسماوات والأرض، وعرفنا الآيات السِّت التي أوردها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ للدلالة على رُبوبية الله، وهي السماوات والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار.

قوله: (﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾)؛ خلَق الله السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، أوَّل تلك الأيام: يوم الأحد، وآخرها: يوم الجمعة.

والله عَزَّوَجَلَّ قادرٌ على أن يخلق السماوات والأرض في لَمْح البصر، بل ما هو أسرع من ذلك، ولكن لحِكمة يعلمها سبحانه خلق السماوات والأرض في هذه المدة، في ستة أيام.

الأرض، وجَعْل الرواسي وتقديرها أقْوَاتها، كان في أربعة أيام، والسماوات خلَقَها سبحانه في يومين.

واختَلف العلماء في هذه الأيام؛ هل هي مقدَّرة بمدة أيام الدنيا المعروفة؟ فهذا هو الظاهر والمتبادر من الآيات، كما يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أو هي مدة أطول من ذلك بكثير؟ يعني: أن اليوم مقداره ألف سنة، ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج:٤٧]، فهذا القول ذهبت إليه طائفةٌ من أهل العلم، فهو مرويٌ عن مجاهد، وعن الضَّحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعن غيرهم من أهل العلم، والله

عَزَّوَجَلَّ أعلم بالصواب!

قوله: (﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾).

أخبر الله جل وعلا أنه بعد خلق السماوات والأرض، استوى على العرش.

و(**العرش**) **في اللغة**: هو سَرير الملك، يعني: السرير الذي يجلس عليه المَلِك، كما قال جل وعلا: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل:٢٣]، وكما قال سبحانه: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يوسف:١٠٠]، هذا هو المعروف في اللغة من كلمة (العرش).

وأما عرْش الرحمن تبارك وتعالى، فهو مخلوقٌ عظيمٌ، اختصَّه الله تبارك وتعالى بأمور:

أولًا: اختصَّه الله سبحانه باستوائه عليه، وقد أخبرنا جل وعلا في سبعة مواضع في القرآن، أنه استوى على العرش:

أعرافُ يونس رعد ثم في طه　　فُرْقان سَجْدة والحديدُ بها استوى

فهذه سبعة مواضع أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنه استوى على العرش.

- **واختصَّ الله** عَزَّوَجَلَّ **العرش ثانيًا**: بأنه أعلى المخلوقات، فأعلى المخلوقات هو العرش.
- **وثالثًا**: هو أكبر المخلوقات.
- **ورابعًا**: هو أثقل المخلوقات.

إذًا: هذه أربع مميزات للعرش، اختصَّه الله عَزَّوَجَلَّ باستوائه عليه، وهو أعلى المخلوقات، وأكبرها، وأثقلها، **ويدل على الأخير**: قوله ﷺ فيما أخرجه الإمام مسلم، في ذِكر التسبيح العظيم: «**سبحان الله وبحمده، عدد خَلْقه، ورِضا نفسه، وزِنَة عَرْشه، ومِدَاد كَلِماته**»، فالمقام

مقام ذكر أعظم الأشياء، فلما ذُكِر الثِّقَل، ذُكِر العرش، فظاهر هذا أنه أثقل المخلوقات، والله تبارك وتعالى أعلم!

۞ أمَّا استواء الله عَزَّوَجَلَّ على العرش، فإنه بمعنى: علُوِّه وارتفاعه عليه جل وعلا.

استوى الله على العرش، يعني: علا وارتفع عليه علوًا وارتفاعًا يليق به سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، لا يُشبه ولا يُماثل استواء المخلوقين، فهذه صفةٌ نؤمن بها، أخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ بأنه استوى على العرش -كما علمتم- في سبعة مواضع من كتاب الله، وليس لنا معشر المسلمين إلا أن نؤمن ونسلِّم لما جاء في كتاب الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

قد يقول قائل: كيف نقول إن الله استوى على العرش، مع أنه القائل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، ونحن لا نعقل من يستوي على الأشياء إلا وهو مخلوق، فإذا قلنا: إن (استوى على العرش) بمعنى: علا وارتفع، فيكون الله عَزَّوَجَلَّ مُشابهًا للمخلوق!؟

والجواب: أنَّ على المسلم أولًا أن يُذْعِن ويصدِّق بما جاء في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، ويعتقد بأن كتاب الله عَزَّوَجَلَّ لا يمكن أن يتناقض، فالله عَزَّوَجَلَّ ليس كمثله شيء، والله قد استوى على العرش، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢].

ثانيًا: الله أعلم بما أضاف إلى نفسه، ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ﴾ [البقرة:١٤٠]. فالله أخبر: بأنه قد استوى على العرش، وهو أعلم بما يليق به سبحانه، من نعوت الجلال وصفات الجمال تبارك وتعالى.

ثالثًا: أن استواء الله عَزَّوَجَلَّ على العرش لا يلزم منه أن يكون مُشابهًا للمخلوق، فإن لله عَزَّوَجَلَّ استواءً يليق به، وللمخلوق استواء يليق به، واشتراك المخلوق والخالق في أصل الصفة لا

محذور فيه، فالاستواء من حيث هو، قبل أن يُضاف إلى الله عَزَّوَجَلَّ أو إلى المخلوق، هو بمعنى العلو والارتفاع، فلمَّا أُضيف الاستواء إلى الله اختصَّ بالله عَزَّوَجَلَّ، فكما أن ذات الله ليست كذات المخلوق، فكذلك صفة الله عَزَّوَجَلَّ ليست كصفة المخلوق.

وتنبَّه -يا راعاك الله- إلى أن المخلوقين مع اشتراكهم في كونهم مخلوقين ومُفتقرين ومُحدَثِين، وكلهم من جُملة المُمْكِنات، لا من جُملة الواجب، فالله عَزَّوَجَلَّ هو واجب الوجود، وكل ما سواه فإنه من الممكنات، مُمْكنات الوجود، تأمَّل إلى أن المخلوقات قد تفاوتت في كيفية وحقيقة استوائها، مع كونها جميعًا مخلوقات، تأمَّل معي في ثلاث آيات في كتاب الله:

أولًا: قال جل وعلا: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ [الزخرف:١٣]، تأمَّل! أن الإنسان يستوي على ظهر الدابة، بكيفيةٍ معينة.

ثانيًا: قال جل وعلا: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾ [المؤمنون:٢٨] يعني: على السفينة، تخيَّل استواء النَّاس أو استواء الإنسان على ظهر السفينة، له كيفية مختلفة عن كيفية استوائه على ظهر الدابة.

ثالثًا في قوله سبحانه عن سفينة نوح: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ [هود:٤٤]، الجُودِيّ: جبل، تخيَّل كيف تستوي سفينة على جبل؟!

السؤال الآن: هل استواء السفينة على جبلٍ كاستواء الإنسان على ظهر الدابة؟

الجواب: لا، هذا له هيئة، وهذا له هيئة، هذا له كيفية، وهذا له كيفية، فإذا كان المخلوق مع المخلوق ما تساويا في كيفية الصفة، فكيف بين الخالق والمخلوق؟!

بل الإنسان نفسه له حالتان في الاستواء:

- يستوي على السفينة، بمعنى: يرتفع ويستقر عليها بهيئة.

- ويستوي على الدابة، بمعنى: يرتفع ويستقر عليها بهيئةٍ أخرى، مع أنه إنسانٌ واحد، ومع أن الموصوف واحد، ومع ذلك لمَّا اختلف ما استوى عليه، اختلفت الكيفية والكُنْه والحقيقة.

إذًا: إيَّاك أن تظن أن ما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ به من الصفات يُوهم التشبيه، وبالتالي نحن بحاجة إلى البحث عن تأويلات لهذه الصفات، كما يقول بعض النَّاس، هذا مسلكٌ خاطئ!

الواجب هو: أن نُمِرَّ هذه النصوص على ظاهرها، بعد أن نفهمها في ضوء لغة العرب التي نزل القرآن بها، مع اعتقادنا أن الله تبارك وتعالى له صفةٌ لا تُماثل صفات المخلوقين، وأن للمخلوق صفةً لا تُماثل صفة الخالق تبارك وتعالى، هذا هو المسلك الحق، وهذا هو المنهج الصواب الذي يجب أن تسلكه يا أيّها المسلم إذا مَرَّ بك آيةٌ أو حديثٌ اشتملتا على صفاتٍ لله تبارك وتعالى.

أَلَم ترَ إلى أن الله عَزَّوَجَلَّ أخبر عن نفسه أنه سميعٌ بصير، فقال: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، وأخبر عن المخلوق بأنه سميعٌ بصير، قال: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان:٢]، وليس السَّميع كالسميع، ولا البصير كالبصير، ولا السمع كالسمع، ولا البصر كالبصر، وإن اشتركا في الإطلاق.

إذًا: إذا أخبَر الله عن نفسه بصفة، واتصف المخلوق بهذه الصفة من حيث الأصل، فإن هذا ليس هو التمثيل الممنوع، لكن إذا قال الإنسان: اللهُ يستوي استواءً مثل استواء المخلوق!

نقول: هذا تشبيه، وتشبيه الله بخلْقه كُفر.

قال الإمام نُعيم بن حمَّاد الخزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ -الذي هو شيخ البخاري-: «مَن شبَّه اللهَ بخَلْقه فقد كَفَر، ومن جحَدَ ما وصف به نفسه فقد كفَر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله ﷺ تشبيه».

قوله: (﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾) يعني: يُدخل الليل في النهار، والعكس صحيح، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يُكوِّر الليل على النهار، ويكوِّر النهار على الليل.

هنا قال: (﴿يُغْشِي اللَّيْلَ﴾) يعني كأنه يجعل الليل غشاءً للنهار، غشاء بمعنى: غطاء، يغطي الليلُ نورَ النهار، حتى يمحوه، (﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾) مسرعًا، هذا يدخل على هذا، وهذا يدخل على هذا، ويستمر الأمر هكذا دَوَالَيك إلى أن يَرِث الله الأرض ومن عليها، الليلُ يدخل على النهار، والنهارُ يدخل على الليل، وكل ذلك حثيثًا، يعني: بسرعة، ليس هناك فاصل، ليس هناك شيءٌ ثالث يَحُول بين هذا وهذا، بلِ الليل يدخل على النهار، والنهار يدخل على الليل، وكل هذا آيةٌ من آيات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: (﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾)، (﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾) منصوبة على الحالية، حال كونها مسخراتٍ، يعني: مدبراتٍ، يُدبِّرها الله عَزَّوَجَلَّ، ويُصرِّفها كيفما يشاء، وِفْق حكمته تبارك وتعالى.

ومَن تأمَّل في خلق السموات والأرض، والشمس والقمر، وفي مسار الشمس والقمر، وفي مسار الأرض، وما بيَّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه: ﴿لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس:٤٠]، دِقَّة مُتناهية تدل على أن الفاعل الخالق حكيمٌ

عليمٌ قديرٌ عظيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: (﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾)، الخَلْق لله عَزَّوَجَلَّ صفةً، يعني: الإيجاد من العدم، هذه صفة يختص الله عَزَّوَجَلَّ بها، (﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ﴾).

أو: (﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ﴾) يعني: المخلوقين مِلْكًا وعبوديةً تبارك وتعالى.

قال: (﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾)؛ الأمر في هذا الملكوت لله تبارك وتعالى، هو الآمر النَّاهي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في هذا الكون، هو الذي يَنفُذ أمره، وينفذ نَهيُه تبارك وتعالى.

والأمر في حق الله، وإذا أُضيف إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فإنه يُراد به: الأمر الكوني، والأمر الشرعي.

إذًا: الأمر المضاف إلى الله عَزَّوَجَلَّ يكون أمرًا كونيًا، به يُصرِّف الله عَزَّوَجَلَّ مَلَكُوته، ومخلوقاته، وأمْر شرعي، يعني: الأوامر التي أنزلها الله تبارك وتعالى في كُتبه التي أنزلها على رسله، فكلها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: (﴿تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾)، (تَبَارك) فِعل مختص بالله تبارك وتعالى، لا يجوز إضافته إلى غيره، انتبه!

(**تَبَارك**) بمعنى: بلغ الغاية في الخير والعظمة، الله عَزَّوَجَلَّ بلَغ الغاية في الخير والعظمة، فالله عَزَّوَجَلَّ هو المُتَبَارِك، والله عَزَّوَجَلَّ هو المُبارِك، يعني: الذي يُعطي البركة، والعبد هو المُبارَك، الذي يجعل الله فيه البركة.

إذًا عندنا ثلاث كلمات: الله عَزَّوَجَلَّ هو المُتبَارِك، والله عَزَّوَجَلَّ هو المُبارِك، باسم الفاعل، هو الذي يُعطي البركة، لا أحد يملك أن يجعل في شيءٍ بركة.

في «صحيح البخاري»، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه؛ أنهم كانوا مع النبي ﷺ في

سفر، فقلَّ الماء -الماء أصبح قليلًا- فشكوا إلى النبي ﷺ، فقال: «**اطْلُبُوا لي فَضْلَةً من ماء**»؛ هاتوا أيّ شيء فيه ماء، فأتوا بإناءٍ فيه شيءٌ يسير من الماء، فوَضَع النبي ﷺ يده الشريفة في الماء، ثم يقول ابن مسعود: «فرأيتُ الماء يَنبُع من بين أصابع النبي ﷺ»، آية من آيات الله، ثم قال النبي ﷺ: «**هَلُمُّوا إلى الطَّهُور المُبارَك، والبركةُ من الله**»؛ تعالوا، هَلُمُّوا، خُذوا، هذا الطهور المُبارَك، لكن انتبهوا! لستُ أنا الذي أعطيتُ البركة، البركة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. انظر كيف يُعلِّم النبي ﷺ أصحابه أن تتعلق قلوبهم بالله، «**البركةُ من الله**».

إذًا: الذي يُعطي البركة هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، اللهُ هو المُبارِك، أما العبد فهو المُبارَك، هو الذي يجعله الله مُبارَكًا، ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ [مريم:٣١]، اللهُ هو الذي يجعل العبد مُبارَكًا، وليس غيره.

إذًا: البركة مثلها مثل العافية، والصحة، والرزق، والنصر، إنما تُعطى من الله عَزَّوَجَلَّ، وبالتالي فإنَّها لا تُطلب إلا من الله عَزَّوَجَلَّ.

وهنا تَنبيهٌ: وهو أن بعض النَّاس يستعمل هذا الفعل، وهو «تَبارَك» في حق المخلوق، يقول: يا فلان تباركْتَ علينا، إذا رآه زاره مثلًا، أو جاءه في محله، يقول: (تباركت علينا يا فلان) هذا غلط لا يجوز! هذا الفعل لا يُضاف إلا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يجوز أن تُضيفه إلى مخلوق.

أيضًا بعض النَّاس إذا أراد أن يُهنِّئ بالعيد، أو برمضان، يقول مثلًا: مباركٌ عليك العيد، يقول: (علينا يتبارك)، يعني: العيد يتبارك، وهذا غلط، هذا الفعل لا يجوز أن يُضاف إلا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: (**والَربُ**)؛ لأن كلمة (الرَّب) مرَّت علينا كثيرًا في كلام الشيخ، وفي الأدلة التي أوردها.

قوله: (**وَالرَّبُ هُوَ الْمَعْبُودُ**) وصَدَق، هو لا يُريد أن يُعرَّف كلمة (رَب)، كلمة (رب) عرَفْنا تعريفها سابقًا، (رَب) يعني: خالق، مُدبِّر، مُصرِّف، سَيّد، مالك، لكن هو الآن يُريد أن يُبيِّن الحُكم الذي يترتب على كونه ربًا، **إذًا** يجب أن يكون معبودًا.

القاعدة عند أهل العلم -وانتبهْ لها يا طالب العلم- (الربوبية تستلزم الألوهية، والألوهية تتضمن الربوبية).

بمعنى: مَن اعتقد أن الله تبارك وتعالى هو الرب، **إذًا** يلزمه لزومًا أن يعتقد أن الله عَزَّوَجَلَّ هو المستحق للعبادة، فيقوم له بهذه العبادة، كيف تعتقد أن الله عَزَّوَجَلَّ هو الخالق، ثم تتوجه إلى غيره! الله يخلقك وتعبد غيره! الله يرزقك وتتوجه بالشكر لسِوَاه! هذا لا يتأتَّى عقلًا، هذا غلط، غلط واضح في جميع العقول، **إذًا** لمَّا كان الله عَزَّوَجَلَّ هو الرب، **إذًا** كان هو المستحق للعبادة.

والأُلوهية تتضمن الربوبية، **بمعنى**: من اعتقد أن الله عَزَّوَجَلَّ هو المستحق للعبادة، وعبَدَه، فإنه قطعًا يكون قد اعتقد أن الله هو الرب، يكون قد أتى بالربوبية ضمنًا، من اعتقد بعبودية الله سبحانه، فإنه قطعًا قد اعتقد قبل ذلك بربية الله عَزَّوَجَلَّ.

المقصود: أنَّ الاعتقاد بربية الله عَزَّوَجَلَّ هو الباب الذي يُوصل إلى اعتقاد ألوهيته، ولذا جعَل الله عَزَّوَجَلَّ اعتقاد المشركين بربية الله دليلًا عليهم، وحُجَّة ملزمة لهم بأنهم يجب أن يعبدوا الله، أنتم تعتقدون أن الله هو الخالق، **إذًا** يلزمكم أن تعبدوه وحده، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ [لقمان:٢٥]، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ [الزخرف:٨٧]، ﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ [يونس:٣١]، ما جوابهم؟ ﴿الله﴾.

إذًا: كانوا يعتقدون بأن الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي خلقهم وحده، ودبَّر شأنهم وحده، ويرزقهم وحده، **إذًا** يلزمهم أن يتوجَّهوا إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالعبادة.

ومَرَّ معنا في درس أمس شيء من الأدلة على هذا، قال جل وعلا: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ [الصافات:٤]، ما الدليل؟ ما بعده، لماذا يا رب إلهنا واحد هو أنت؟ لماذا لا يكون معك شريك؟ لماذا لا نعبدك ونعبد غيرك؟

الجواب: لأنه ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ [الصافات:٥].

ويقول: ﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ﴾ [الزمر:٦]، ما النتيجة؟ ﴿لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الزمر:٦].

ويقول: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٠٢]، **إذًا**: ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ [الأنعام:١٠٢].

إذًا: الربوبية دليلٌ على الألوهية.

أَورَد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ دليلًا واضحًا على هذه المسألة، وهو ما جاء في سورة البقرة، وهو أوَّل أمرٍ في المصحف: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة:٢١]، الدليل على عبادة الله عَزَّوَجَلَّ أنه ربكم، ثم زاد الدليل إيضاحًا: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١]، هذه الحُجة واضحة؛ لأنه هو الذي خلقكم، **إذًا** العبادة يجب أن تكون له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولذا ذكر ابن كثير رحمه هذه الكلمة المهمة، (**الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ**)، **إذًا**: لا يستحق العبادة سواه تبارك وتعالى.

قوله: (**وَأَنْوَاعُ العِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا: مِثْلُ: الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ**).

العبادة هي: اسمٌ جامعٌ لكل ما يُحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

اللهُ خلقك لعبادته، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، هذا ضابط مهم لمعرفة ما هي العبادة؛ لأن بعض النَّاس يستشكل الأمر، يقول: ما معنى هذه العبادة التي أمرنا الله بها؟

إذا عَلمتَ في شيءٍ ما وصفين، إذا علمت في شيءٍ ما أمرين، فاعلم أن هذا الشيء عبادة، ما هو؟

أولًا: قلنا اسمٌ جامع لكل:

١- ما يُحبُّه الله.

٢- يرضاه، يعني: يلزم من هذا أنه يشرعه لنا.

إذًا: متى ما كان الفعل محبوبًا لله، ورضيَه لعباده، وشرعه لعباده، فهو **إذًا** عبادة، أيُّ شيء يمُرّ بك، اجتمع فيه الأمران، فاعلم أنه عبادة، الصلاة عبادة؟ نعم، لِمَ؟ لأن الله يُحبها، ولأن الله عَزَّوَجَلَّ شرعها لنا.

الصوم عبادة؟ نعم؛ لأن الله يُحبها، ولأن الله شرعه لنا.

إذًا: متى ما اجتمع هذان الأمران، كان الشيء عبادة.

ما الذي يترتب على كونه عبادة؟

يجب أن يتوجه العبد بهذا الشيء لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذه قضية أُولى.

قضية ثانية: متى ما توجَّه بهذا الشيء لغيره، فقد أشرك. الشرك ليس هو إلا هذا الأمر، أن تتوجه بالعبادة لغير الله، تأمَّل معي قوله سبحانه: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾

[النساء:٣٦].

إذًا عندنا حالتان: إمَّا أن تعبد الله، أو تكون واقعًا في الشرك، ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦].

إذًا عندنا قاعدة مُطَّردة (متى ما ثبت أن الشيء عبادة، مباشرة افْهَمْ أن صرف هذه العبادة لغير الله شرك).

إذًا: لو قيل لنا: ما الدليل على أن السجود لغير الله شرك؟ أعطُوني آية في القرآن أن السجود في القرآن شرك؟

نقول: لا نحتاج إلى أكثر من فَهْم هذه القاعدة، وهي: ثَبَت أن السجود عبادة؟ نعم؛ لأن الله يُحبُّها، ولأن هذا العمل شرعه لنا.

متى ما كان عبادة، **إذًا** متى ما توجه العبد به لغير الله، كان شركًا، **إذًا**: كلما ثبت أنه عبادة، فصرْفُه لغير الله شرك.

الآن سيأتي كلام للشيخ يؤكد هذا المعنى، بدأ الشيخ يذكر لنا أنواعًا من العبادات، بدأ بأكبر الأشياء، وهو مراتب الدين: (الإسلام، الإيمان، الإحسان)، وهذه سيأتي لها كلام عن قريب، نؤجل الكلام عنها إلى ما سيأتي بعون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: (**وَمِنْهَا: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، ...**).

الآن عدَّد الشيخ لنا مجموعة من العبادات، يقول الشيخ لك: (**هذه أنواعٌ للعبادات**)، ثم بدأ يذكر الدليل على كل واحدٍ من هذه الأنواع، كما علَّمنا الشيخ أننا لا نقبل الشيء إلا بدَليله، نريد الدليل على أن هذه الأمور عبادة، بدأ الشيخ بأول قضية أوردها، وهي قضية

الدعاء، الدعاء عبادة، ما الدليل؟

قال: (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]) (فَلا تَدْعُوا)، أسلوب نَهْي، إذًا دعاء غير الله شرك، أورد دليلًا آخر.

قوله: (وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧].

وَفِي الحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ».

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠]).

عندنا أربعة أدلة تتعلق بموضوع الدعاء: (﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨])، نهيٌ صريح عن دعاء غير الله.

إذًا مَن قال: (يا سيدي فلان أغثِني)، يدعو ميتًا، نقول: الله نهى عن هذا، فقال: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]، هذا واحد.

ثانيًا: قال جل وعلا -وهذا دليل أرفع بالدلالة، وأوضح في الدلالة، على أن هذا الفعل شرك- قال: (﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧])، **إذًا** من دعا غير الله، فقد كفر، بنصّ الآية.

وقال جل وعلا: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر:١٤]، **إذًا** أشركتم بالله إذا كنتم دعوتم غيره، آية صريحة، لا تقبل النزاع.

وقال جل وعلا: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف:٥-٦].

إذًا: لمَّا دَعوتُم غير الله، فقد عبدتُّموهم.

قال: (**وَفِي الحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»**)؛ مُخُّ الشيء: خلاصته، ولا قيام له إلا به، كما أنك أنت لا قيام لك إلا بالمُخّ، **إذًا** مُخّ الشيء: خلاصته، وهذا الكلام صحيح، وإن كان الحديث ضعيفًا.

الدعاء خلاصة العبادة، وأهَمّ ولُبّ ما في العبادة، ولكن الحديث ضعيف، حديث أنس عند الترمذي، فيه ابن لهيعة، وأشار إلى ضعْفه الترمذي، لكن يُغني عنه ما أخرج أبو داوُد رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»، فهذا نصٌّ صريح لا يقبل الاشتباه، إذا كان الدعاء عبادة، فما حكم دعاء غير الله؟

الجواب: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦]، كان دعاء غير الله شركًا.

متى يكون دعاء غير الله شركًا؟

احفظ هذه الصور الثلاث، فإنها مهمة جدًا:

أولًا: دعاء الأموات مُطلقًا، سواء أكَان الإنسان عند القبر أم بعيدًا عنه، أيُّ دعاء لأيِّ ميت فهو شرك، قال جل وعلا: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ يعني: الأموات، ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ ما عندهم قُدرة، والنتيجة: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر:١٤]، **إذًا** هذا رقم واحد.

ثانيًا: دعاء الحَيّ الغائب مطلقًا، سواء دعوته بشيءٍ يقدر عليه لو كان حاضرًا، أو بشيءٍ لا يقدر عليه، يعني أنا شيخي في مكةَ، لو دعوتُ الآن وقلت: (يا سيدي فلان، أغثني أنا في حالةٍ طارئة)، وهو في مكة ما يسمعني، أكون قد وقعت في الشرك الأكبر؛ لأنني اعتقدت أن له سمعًا عامًا، وعِلمًا شاملًا، وقدرةً غيبية يستطيع بها إيصال النفع مع البُعد، وهذا ليس إلا لله، الله هو الذي وسِعَ سمعه الأصوات، الله هو الذي وسِع كل شيءٍ رحمةً وعلمًا، **إذًا** أنت جعلت هذا كأنه شريكٌ مع الله عز وجل، وهذا حقيقة الشرك.

الصورة الثالثة: دعاء الحيّ الحاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله، تدعو حيًا ليس بميت، وحاضر، يعني ليس بغائب، ولكنك تسأله شيئًا خارجًا عن قدرة البشر، شيئًا لا يقدر عليه إلا الله، يأتي إلى وَلِيّ، يقول: (يا سيدي فلان أُريد الولد، يا سيدي فلان أنزل المطر، اغفِر ذنبي)، نقول: هذه الأمور لا يقدر عليها إلا الله تبارك وتعالى، وبالتالي يكون طلبُها من غير الله شِركًا.

وبالتالي نفهم أن طلب أيّ طلبٍ يكون من حيٍ حاضرٍ، قادرٍ ليس بشرك، لو قلت لك: (أعطِني كذا، أحتاج منك يا فلان كذا، أسألك أن تُعطيني كذا)، وأنت أمامي وقادر، أريد مالًا، أعطِني مالًا، هل سؤالي لك شرك؟

الجواب: لا، لِمَ؟ لأنه سؤالٌ لحَيٍّ حاضر قادر، **إذًا** هذا ليس بشرك.

إذًا: هذه القضية -يا أيها الأحبة- مسألة في غاية الأهمية، فما أكثر ما يقع الخطأ فيها.

وإذا لم يكن دعاء غير الله شركًا، فليس على وجه الأرض شرك.

لو تأملت نصوص الكتاب والسنة، لوجدت أن الله نهى عن دعاء غيره، أكثر بكثير مما نهى

عن التوجّه بالعبادة، أيّ عبادة سواء الدعاء لغيره، لا تجد في الأدلة مثل النهي عن الدعاء لغير الله عَزَّوَجَلَّ، لا الصلاة ولا الصوم، ولا السجود، ولا الركوع، ولا غيرها من العبادة كثرة كالدعاء، لِمَ؟ لأن الدعاء أهمُّ قضية في العبادة، قال النبي ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**»، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

وفي «مُستدرك الحاكم» بإسنادٍ حسن، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**أفضلُ العبادةِ: الدعاء**»، يعني: قوله ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**»، يعني: أفضل أنواع العبادة هي الدعاء، فكيف يتوجه بها الإنسان -مع الأسف الشديد- لغير الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

الأسئلة

السُّؤَال: ما حكم أن يدخل الإنسان مع امرأة وحدها في المصعد؟ يعني: هل يُعدّ هذا الانفراد سائغًا أو غير سائغ؟

الجَوَاب: الذي أنصحك به -يا رعاك الله- ألا تفعل، إذا طلبت المصعد، فلما فُتِح الباب وجدت امرأة لا تدخل، والأولى بك -بارك الله فيك- أن تدع ما يُريبك إلى ما لا يُريبك، الأَولى بك أنك تتجنب هذا الأمر، ولو دخلت عليك، يا أخي اخرج واطلب المصعد مرةً ثانية، هذا الذي أنصحك به.

السُّؤَال: الأحاديث الواردة في النظر إلى ربنا تبارك وتعالى؟

الجَوَاب: الأحاديث الواردة في النظر إلى الله تبارك وتعالى في الآخرة كثيرة، بلغت مبلغ التواتر، رُوِيَت عن عشراتٍ من الصحابة رضي الله عنهم، وعن أكثر من التابعين، وعن أكثر وأكثر من أتباع التابعين، وهي من الأحاديث المقطوع بصحتها عن النبي ﷺ، وأهل السنة يعتقدون أن الله تبارك وتعالى يُرى في الآخرة في موضعين:

- في عرصات القيامة.
- وفي جنات النعيم.

مِن أشهر تلك الأحاديث: ما ثبت في «الصحيحين»، من قوله ﷺ: «**إِنَّكم سَتَرَون رَبَّكُم كما تَرَون الشمسَ لَيسَ دُونَها سَحَابٌ**»، هذه رواية، وفي رواية: «**كَمَا تَرَون القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ، لا تُضَامُونَ**»، أو «**لا تُضامُّونَ فِي رُؤْيَتِه**»، وهنا شَبَّه النبي ﷺ الرؤية بالرؤية، رُؤية واضحة، لا الْتباس فيها، ولم يُشبِّهِ المرئي بالمرئي. فهذا حديث من جُملة تلك الأحاديث الثابتة عن

النبي ﷺ.

ومن أصرح تلك الأدلة في كتاب الله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

السُّؤَال: العبادات في مسجد النبي ﷺ؛ هل كلها يحصل فيها المُضاعفة، أو هذا خاص بالصلاة؟

الجَوَاب: الذي جاء في الدليل: أن الذي يُضاعف هو الصلاة، فالصلاة في مسجد النبي ﷺ خيرٌ من ألْف صلاة فيما سواه، ولم يأتِ دليل على غير الصلاة أيضًا مضاعفة، لكن هو مكان مباركٌ، ومحلٌ مُبارك ولا شك، فهذه البقعة أفضل البقاع بعد المسجد الحرام، وأفضل المساجد على الإطلاق بعد المسجد الحرام، ولذا فيُرجى إن شاء الله أن يكون لعبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في هذا المسجد سوى الصلاة أن يكون لها فضلٌ مُطلقًا، والله عَزَّوَجَلَّ أعلم.

السُّؤَال: هل يجوز للمرأة أن تأخذ شيئًا من شعرها؟

الجَوَاب: أنَّ أخْذ شعر المرأة جائزٌ بشرط عدم التشبّه بالكافرات، وأمهات المؤمنين رضي الله عنهُنَّ بعد وفاة النبي ﷺ قصَصْن شِعُورهنَّ. فدل هذا على أن أخذ شعر المرأة لا حرج فيه، بشرط عدم التشبه، لا بالكافرات، ولا بالرجال؛ لنهي النبي ﷺ عن ذلك.

السُّؤَال: إذا سأل شخصٌ شخصًا حاضرًا عاجزًا شيئًا يقدر عليه البشر، لكن هذا الشخص عاجزٌ عن هذا الشيء، ما حكم هذا؟ يعني: هل يدخل في الشرك أو لا؟

الجَوَاب: نحن لا نبحث في أن هذا الشخص بالذات أو ذاك بالذات قادر، يعني: لو طلبتك أو سألتك مالًا، وأنت لا تملك المال، لا أكون قد أشركت، إنما المقصود أن يسأل

الإنسان شيئًا فوق قدرة البشر جميعًا، أن يسأل شيئًا اختص الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى به، هذا الذي نتحدث عنه.

السُّؤَال: يطلب إعادة الأمور المتعلقة بصور كون الدعاء شرك؟

الجَوَاب: قلنا إن الشرك في الدعاء يكون في ثلاث صور:

أولًا: دعاء الميت مُطلقًا، سواءً عند القبر أو بعيدًا عنه، سواءً طلبه شيئًا يقدر عليه لو كان حيًا، أو سأله شيئًا لا يقدر لو كان حيًا.

جنس الدعاء، أيّ دعاء لميت فهو شركٌ بالله عَزَّوَجَلَّ، خذها قاعدة.

ثانيًا: دعاء الحي الغائب، يعني لا يسمعك، بعيدٌ عنك.

ثالثًا: دعاء الحي الحاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

السُّؤَال: شخصٌ أراد أن يحج في العام الماضي، فلم يحج، هل يجوز أن نقول: إن الله لم يكتب له أن يحج؟

الجَوَاب: نعم، لم يكتب الله عَزَّوَجَلَّ له أن يحج، ولو كان الله عَزَّوَجَلَّ قد كتب في اللوح المحفوظ أن هذا الرجل سيحج، فإنه سيحج قطعًا، لكن لأن الله عَزَّوَجَلَّ لم يكتب له أن يحج، فإنه لم يحج، فهذه العبارة صحيحة.

السُّؤَال: فهمتُ من حديثكم أن الألوهية أشمل من الربوبية، هل هذا صحيح؟

الجَوَاب: بالنظر إلى سياق كلامي، الذي ذكرته نعم، من اعتقد بألوهية الله عَزَّوَجَلَّ فإنه قطعًا يكون قد اعتقد قبل ذلك بربوبية الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، فالواقع أن مَن وحَّد الله عَزَّوَجَلَّ بالألوهية، فإنه من الضروري أن يكون قبل ذلك قد وحَّد الله عَزَّوَجَلَّ في الربوبية.

السُّؤَال: يغلب على ظني أني في شهر رمضان جامعت زوجتي أو داعبتها، فأنزلت، ولا أدري أكان ذلك قبل طلوع الفجر أم بعد طلوع الطلوع بقليل، وقد ذكرت ذلك لزوجتي بعد مدة، فقالت بأنه لم يحدث أي شيءٍ من ذلك، كيف تَبرأ ذِمّتي وذمتها؟

الجَوَاب: إذا كان غالب الظن أن الجماع قد حصل، ولكن الشك حاصلٌ في الوقت، هل كان الوقت قبل طلوع الفجر أو بعد طلوع الفجر؟ وليس عندك غلبة ظن في هذا الأمر، لا تدري بالضبط، هل كان قبل أو بعد؟ هذا واحد.

ثانيًا: ينضاف إلى هذا بأن زوجتك أنكرت حصول شيءٍ من هذا، فإن الذي يظهر والله أعلم، أن ذمتك بريئة، فالأصل هو السلامة من شُغل الذمة بالكفَّارة، الأصل أنك ما ارتكبت الخطأ.

والأمر الثاني: أن الأصل هو بقاء الليل، فمن شَكَّ في طلوع الفجر، ولا يدري أكان الذي فَعلَه من المُفطرات قبل طلوع الفجر، أو بعد طلوع الفجر، فالأصل أن الليل باقٍ، والأصل أن فعلك كان في حدود المُباح، حتى يثبت الدليل على خلاف ذلك، والآن ليس عندنا دليل على خلاف ذلك، فأرجو إن شاء الله أنه لا شيء عليك، ودَعْك من هذه الوسوسة.

السُّؤَال: ما حكم المرور بين يدي المصلي في المسجد الحرام ومسجد رسول الله ﷺ؟

الجَوَاب: والله يا أخي الأبرأ لذمتك أن لا تمر، نبينا ﷺ يقول: «**لو يعلم المَارُّ بين يدي المصلي ماذا عليه من الإثم، لكان أن يقف أربعين**»، وفي رواية: «**أربعين خريفًا خيرٌ له**»، المسألة ليست سهلة، يعني مهما كان الزحام، فلا أن تقف حتى ينتهي من صلاته هذا أقل بكثير من أربعين خريفًا، أليس كذلك؟ فهذا يدل على أن المسألة ليست سهلة، وأن الإثم

هاهنا عظيم.

وقد بوَّبَ الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه، قال: «بابٌ: السُّترة في مكة وفي غيرها»، فإذا أرادت براءة ذمتك فلا تَمُرَّ بمُصلٍّ لا في مكة ولا في المدينة، والله عَزَّوَجَلَّ أعلم.

السُؤَال: أريد أن أجلس إلى شروق الشمس -يبدو يعني لصلاة الضحى- لكن أحتاج الوضوء، هل يمكن أن أذهب وأرجع إلى المسجد؟

الجَوَاب: نعم؛ لأنك تريد الصلاة، ولا يمكن أن تصلي إلا بوضوء، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

السُؤَال: هل تُقرأ الفاتحة في صلاة التراويح؟

الجَوَاب: الذي يظهر -والله أعلم- نعم، على الراجح من كلام أهل العلم، أن صلاة الجماعة الجهرية، فإن المأموم مُطالب بقراءة الفاتحة، هذا الذي يظهر لي -والله تعالى أعلم- أنه أرجح القولين.

والحمد لله رب العالمين

قال المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

ودَلِيلُ الرَّجَاءِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠].

ودَلِيلُ التوَكُّلِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُم مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣].



قَالَ الشَّارِح وفَّقَهُ اللّه:

فإن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ ساق -كما قد سمعت في درس الأمس- جُملةً من العبادات التي أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بها، ووجب على كل مسلمٍ أن يُخلصها لله تبارك وتعالى، ذكر مراتب الدين الثلاثة، ثم أعقَبها بذكر أربعَ عشرة عبادة، مقرونةً بأدلتها، يُذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ العبادة، ويذكر الدليل عليها.

ومضى معنا ما يتعلق بالعبادة الأولى، والعبادة الأهم، ألَا وهي (**الدعاء**).

أمَّا العبادة الثانية والثالثة، فهما: (الخوف، والرجاء)، وسنجعل الكلام عليهما معًا للارتباط الوثيق الواقع بينهما.

(**الخوف والرجاء**) هما جناحا العبد اللَّتان يمضي بهما إلى ربه تبارك وتعالى، فالرجاء يُطيّب النفس، ويحثُّها على طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والخوف سَوط يُليِّن القاسي، ويَحثّ على البُعد عن مساخط الله تبارك وتعالى، وهاتان العبادتان مع المحبة، هما أصول الأعمال القلبية، فإن المحبة والخوف والرجاء أركان العبادات القلبية، وما سواها فإنها فرعٌ عنها.

الكلام في الخوف والرجاء كلامٌ طويل، والمقام يستحق أن يُفصَّل فيه، الخوف والرجاء

عبادتان عظيمتان، مُقرِّبتان إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، بل إنه لن يستقيم سير الإنسان إلى ربه تبارك وتعالى إلا باجتماعهما في القلب.

واعلم -يا رعاك الله- أنه لن يكون خوفك خوفًا شرعيًا، ولن يكون رجاؤك رجاءً شرعيًا إلا إذا اقترن أحد الأمرين بالآخر، فالواجب عليك أن تخاف خوفًا مَشوبًا برجاء، وأن ترجو رجاءً مَشوبًا بخوف، وإلا فإن هذا الخوف لو كان وحده لن يكون طاعةً لله عَزَّوَجَلَّ، وإنما هو قُنوط من رحمة الله، أو وسيلة إلى القنوط من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿**قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ**﴾ [الحجر:٥٦]، ﴿**إِنَّهُ لا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الكَافِرُونَ**﴾ [يوسف:٨٧].

والرجاء إن تجرَّد وحده، وأضحى دون خوف يُصاحبه، فإنه أمْنٌ من مكر الله عَزَّوَجَلَّ، أو وسيلة للوصول إلى الأمن من مكر الله عَزَّوَجَلَّ، والله سبحانه يقول: ﴿**أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ [الأعراف:٩٩].

إذًا: لا بد أن يجمع الإنسان في قلبه بين الأمرين.

تأمَّل يا رعاك الله! في قوله سبحانه: ﴿**مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ**﴾ [ق:٣٣]، لاحظ أن المقام مقامُ ذكر خوف؛ لأن الخشية -كما سيأتي إن شاء الله- أخصُّ من مُطلق الخوف، فهي في الجملة في معنى الخوف، ولكن انظر الخشية تعلَّقت بأيِّ اسمٍ من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ؟ تعلَّقت باسم الله (الرحمن)، **إذًا** واجبٌ عليك أن يكون خوفك من الله مشوبًا برجاء.

في مقابل هذا: تأمَّل في قول الله عَزَّوَجَلَّ عن إبراهيم عليه السلام: ﴿**وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**﴾ [الشعراء:٨٢]، ما قال كما في الجُمَل التي قبلها: ﴿**الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾ [الشعراء:٧٨-٨٠]، ما قال:

والذي يغفر لي زلَّتي، وإنما قال: ﴿**وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**﴾ [الشعراء:٨٢].

إذًا: الواجب أن ترجو، ولكنه رجاءٌ مشوبٌ بخوف، هذا هو الذي ينبغي عليك يا عبد الله.

رُوِيَ عن أبي بكرٍ رضي الله عنه؛ أنه قال: «إنَّ الله يغفر الكبائر فلا تيأسوا، ويُعذِّب على الصغائر فلا تغتروا»، هذا الذي ينبغي عليك أن تجمع بين الأمرين.

والذي ينظر في النصوص، يجد أن عامة النصوص يجتمع فيها الأمران: يجتمع فيها وصف المؤمنين، بأنهم يجمعون بين الخوف والرجاء، ويرجون رحمته ويخافون عذابه.

تجد أنَّه تُذكر أسماء الله وصفاته، التي تقتضي حصول الخوف والرجاء معًا، ﴿**نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ**﴾ [الحجر:٤٩-٥٠].

تجد أنه يُذكر ما يتعلق بما يكون في الآخرة، ويقتضي حصول الخوف والرجاء معًا، ﴿**فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ**﴾ [القارعة:٦]، ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ**﴾ [القارعة:٨]، والنصوص في هذا كثيرة.

إذًا: الواجب عليك يا عبد الله أن تجمع بين الأمرين: بين الخوف والرجاء.

قال مُطَرِّف بن عبد الله بن الشّخير رَحِمَهُ اللهُ: «لو وُزِن خوفُ المؤمن ورجاؤه، لكانا سواء، لم يَزِدْ أحدهما على الآخر».

وها هنا مسألة يبحثها أهل العلم، وهي: أنهم قد اتفقوا على وجوب الجمع بين الخوف والرجاء، وأن أحدهما دون الآخر لا يكفي، بل لا ينفع، لكن ماذا عن تغليب أحد الأمرين على الآخر؟ هل المشروع أن يكون الخوف في قلب المؤمن أكثر من الرجاء؟ أو يكون

الرجاء أكثر من الخوف؟

المسألة فيها بحثٌ طويل بين أهل العلم، **منهم من قال**: إن الذي ينبغي أن يكون دائمًا، الخوف أكثر من الرجاء.

ومنهم من قال: ينبغي دائمًا أن يكون الرجاء أكثر من الخوف.

ومنهم من قال: يُغلِّب الشابُ الرجاء، ويُغلِّبُ الشيخُ الخوف.

ومنهم من قال: يُغلِّب في الطاعة الرجاء، وفي المعصية الخوف.

ومنهم من قال: يكون الأمران مُستويَين، إلا إذا مرض الإنسان، أو شعَرَ بدُنُوّ أجله، فإنه يُغلَّب جانب الرجاء.

ومنهم من قال: إنه ينبغي أن يستوي الأمران دائمًا، وهذا هو القول الصحيح.

هذا الذي ينبغي أن يكون حالك يا أيها المؤمن، أن يكون خوفك ورجاؤك سواءً، لا يزيد أحدهما عن الآخر، **وذلك** لأن هذا هو مقتضى النصوص، ﴿**وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ**﴾ [الإسراء:٥٧]، ولأن تغليب أحد الأمرين على الآخر، لا يُؤمن معه من وقوع العَطَب، ووقوع الخلل.

وأمَّا ما احتج به مَن قال: إنه إذا دنا الأجل يُغلِّب الرجاء، فهو قول النبي صلى الله عليه وسلم، الذي خرَّجه الإمام مسلم: «**لا يَمُوتنَّ أحدُكُم إلا وَهُوَ يُحسِنُ الظنَّ بِرَبِّه**».

والجواب عن هذا أن يُقال: إن هذا الحديث لا شك فيه ولا ريب، وفيه حثٌّ على إحسان الظن بالله تبارك وتعالى، **ومفهوم المخالفة**: أنه ينبغي على الإنسان أن يتجنب سوء الظن بالله عزوجل، وأمَّا الخوف فلم يَرِد له ذكرٌ في هذا الحديث، وبالتالي فإن مسألة التغليب هاهُنا لا ذكر

لها أصلًا، ويشهد لهذا ما خرَّج الإمام الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بإسنادٍ حسن؛ أن النبي ﷺ زار أحد أصحابه وهو في سياق الموت، فقال: «كيف تجدك؟»، قال: والله يا رسول الله، إني لأرجو الله وأخاف ذنوبي، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**ما اجتمعا في قلب مؤمنٍ في هذا المقام إلا أعطاه الله ما يرجو، وأمَّنَه ممَّا يخاف**».

لاحظ معي! أن هذا الصحابي ماذا كان منه؟ اجتمع عنده الأمران: الخوف من الله، ورجاؤه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ معه.

ولذا لو تأمَّلت في حال السلف رحمهم الله، تجد أنَّهم كانوا يذكرون الخوف في هذا المقام، والآثار في هذا كثيرة.

ففي «صحيح البخاري»، أن عمر رضي الله عنه لمَّا طُعِن، دخل عليه شابٌ، فأخذ يُذكِّره بأعماله الصالحة، فقال: «واللهِ لَوَددت أنِّي أخرج من هذا كَفافًا، لا لي ولا عليَّ».

ونحو هذا جاء عن عائشة رضي الله عنها، كما خرَّجه أيضًا الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لمَّا دخَل عليه ابن عباس رضي الله عنهما.

إذًا: الذي ينبغي عليك أن تحرص أن يكون خوفك ورجاؤك سواء، ولكن أنت طبيب نفسك، فإذا كنت تَلحظ أو تعلم من نفسك ميلًا إلى المعاصي، وتقصيرًا في الطاعات، فينبغي عليك أن تُكثِر من النظر في النصوص المُقتضية لخوف الله عَزَّ وَجَلَّ، **بمعنى**: أنك تغلِّب الخوف تغليبًا مؤقتًا، حتى يستقيم الحالُ ويعتدل.

وإذا كنت تلحظ من نفسك قنوطًا ويأسًا، فإنه ينبغي عليك أن تُكثر من النظر في النصوص الدالة على الرجاء في الله سبحانه، والطمع فيما عنده، وفي حُسن الظن به تبارك

وتعالى، وهذا تغليبٌ مؤقت، حتى يستقيم الحالُ، ويعتدل.

يبقى بعد ذلك سؤال: ما هي الأسباب التي تدعو إلى الخوف من الله تبارك وتعالى؟ كيف يستجلب المسلم خوف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلى نفسه؟

الجواب عن هذا أن يُقال: أسباب الخوف ترجع إلى ما يأتي:

أولًا: مطالعة أسماء الله وصفاته التي تقتضي الخوف منه تبارك وتعالى، وذلك بالنظر إلى أسماء الله وصفاته التي تقتضي الجلال والقدرة، والنفوذ، والغضب، وشدة الانتقام، وما إلى هذه الصفات والأسماء، فإنها ولا شك سوف تجعل القلب يطير خوفًا وهيبةً ورهبةً من الله العظيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثانيًا: النظر في النصوص التي دلَّت على عظيم ما يكون في الآخرة، فإنَّها من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى الخوف من الله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿**إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا**﴾ [المزمل:١٢-١٣]، ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ**﴾ [الحج:١-٢].

ثالثًا: النظر في آيات الله التي تقتضي التخويف، ﴿**وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا**﴾ [الإسراء:٥٩]، قال النبي صلى الله عليه وسلم، لمَّا كُسِفت الشمس على عهده: «**إنَّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله، يُخوِّف الله بهما عبادَه**».

رابعًا: مطالعة تقصير النفس، وإحجامها عن الخير، وضَعفها في أداء ما أوجب الله تبارك وتعالى، من نظر في هذا الباب، وعلِمَ حجم تقصيره، وجُرمه، وجِنايته، وما ارتكبته يده من

معاصي الله عَزَّوَجَلَّ، وما وقع منه من تقصيرٍ في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، فإنه ولا شك سوف يمتلئ قلبه خوفًا ووجلًا من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، إذا نظر في طاعاته فقط، ومدى ما اقْتَنَفَها من قصور، وغفلة، وذهاب خشوع، وضعف حضور للقلب، وضعف مطالعة المعبود سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، فإنه يُدرك تمامًا، أنه لو عذَّبه عَزَّوَجَلَّ على هذه الطاعات، التي ما قام فيها بالواجب، لكان مستحقًا لذلك، فكيف إذا انضاف إلى هذا سيئات كالجبال، يَنُوءُ بها كاهِلُه، فكيف إذا أضاف إلى هذا تقصيرَه في شكر الله سبحانه على نِعمه العظيمة؟ مَن تأمَّل في هذا وجعله، نَصْب عينيه، فإنه لا شك سوف يقع الخوف في قلبه لا محالة.

أمَّا أسباب الرجاء في الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، وأسباب حسن الظن به، والطمع فيما عنده، فهي أيضًا كثيرة:

أولًا: مطالعة أسماء الله وصفاته، التي يقتضي الإيمان بها حصول الرجاء، وهي أكثر الأسماء والصفات، فصفاتُ الله عَزَّوَجَلَّ التي تدل على أنه سبحانه متصفٌ بالمحبة، والرحمة والوُد، والمغفرة، واللطف، وما إلى ذلك من هذه الصفات العظيمة، فإنَّها سوف تُكسبُه ولا شك الرجاءَ في الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

ثانيًا: مطالعة نصوص الوَعْد، فالله عَزَّوَجَلَّ وعد المؤمنين فضلًا منه جل وعلا، وهو صادق الوعد، ﴿**وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِنَ اللهِ فَضْلًا كَبِيرًا**﴾ [الأحزاب:٤٧]، ما أعظم وَقْع هذه الآية، وأخواتها في قلوب المؤمنين، فإنَّها تَسْكب الرجاء في قلوبهم سَكْبًا.

ثالثًا: أن يَعلم المسلمُ ما جعله الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى من أسباب المغفرة، وحصول الرحمة، من ذلك: استغفار الملائكة، وهم عبادٌ صالحون لله، ﴿**لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا**

يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦]، فدعاؤهم مَرجُوُّ الإجابة، وقد أخبر الله عَزَّوَجَلَّ في غير آية: أنهم يستغفرون للذين آمنوا، وأنهم يستغفرون لمن في الأرض.

إذًا: هذا أيضًا من الأسباب التي تدعو المؤمن إلى أن يرجو في الله تبارك وتعالى.

نأتي الآن إلى مسألةٍ أخرى، وهي: من أيّ شيءٍ نخاف؟ وما الذي نرجوه؟

أولًا: نخاف من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، فالله عَزَّوَجَلَّ من صفاته وأسمائه، ما يقتضي أن نخاف منه تبارك وتعالى: **﴿إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾** [المائدة:٢٨]، **﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِنْ فَوْقِهِمْ﴾** [النحل:٥٠].

ثانيًا: الخوف من عذابه، وأليم عقابه، والله جل وعلا ما ذكر ما يتعلق بنصوص الوعيد، إلا لنخاف من عذاب الله عَزَّوَجَلَّ، فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، يقول: **﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾** [الزمر:١٦]، ويقول جل وعلا: **﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾** [آل عمران:١٣١].

ويقول النبي ﷺ، كما في «الصحيحين»: «**لو تعلمون ما أعلمُ لضَحكتم قليلًا، ولَبَكَيتُم كثيرًا**»، فغطَّى أصحاب النبي ﷺ وجوههم، ولهم خَنينٌ من البكاء.

إذًا مطالعة هذه النصوص تجعل المؤمن يخاف من عذاب الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

ثالثًا: الخوف من عدم قبول الحسنة، وهذا الخوف ليس سَببه سوء الظن بالله عَزَّوَجَلَّ، بل الله سبحانه أكرم الأكرمين، وهو لا يُخلف الميعاد، وعَدَ أن مَن أقبل إليه أقبل الله عَزَّوَجَلَّ إليه، وأنَّ من قدَّم حسنة إليه فإن الله عزو جل يقبلها بقبولٍ حسن، ولكن خوفك نابعٌ من تقصيرك، في أداء الحسنة، وأنَّك لم تُوَفِّها حقَّها، يقول الله جل وعلا: **﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ**

وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون:٦٠]، فسَّرها النبي صلى الله عليه وسلم: «**بالرَّجل يصوم ويصلي، ويتصدق، ويَخشى ألا يُقبل منْه**».

إذًا: هذا نوعٌ ثالثٌ من الخوف، وهو أن تخاف من عدم قبول الحسنة.

رابعًا: هو الخوف من سوء الخاتمة، أو من الوقوع في السيئات مستقبلًا، ربَّما يكون الإنسان ليس واقعًا في سيئة، لكنه يخشى أن يكون واقعًا فيها دون أن يشعر، أو أن يقع فيها مستقبلًا، أو أن يُختَم له خاتمة سوءٍ عِياذًا بالله، وما أقَضَّ مضاجع الصاحين أعظم من تأمُّلهم في سوء الخاتمة، عافاني الله وإيَّاكم من ذلك.

ونبينا الكريم ﷺ علَّم دعاءً عظيمًا، ألا وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «**اللهمَّ إني أعوذ بك من أُشرك بك شيئًا وأنا أعلمُ، وأستغفرُك لِمَا لا أعلَمُ**».

وهكذا كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ كانوا يخافون النفاق على أنفسهم، يقول ابنُ أبي مُليكة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أدركتُ ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم كان يخشى النفاقَ على نفسه».

سفيانُ الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يبكي، ويقول: «أخشى أن أُسلَب الإيمان قبل الموت».

إذًا هذا من أنواع الخوف التي ينبغي أن تَخْتَلِج قلوبنا يا أيها الإخوة.

أمَّا الرجاء فإنه مُتعلِّق:

أولًا: بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فأسماؤه وصفاته منها ما يقتضي أن يُرجى تبارك وتعالى في ذاته عَزَّوَجَلَّ، فإنه الكريم سبحانه، الرحيم، الشكور، الغفور، الودود جل وعلا.

ثانيًا: الرجاء في نيل نعيم الجنة، التي بشَّر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المؤمنين بها، ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ

بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٧].

ثالثًا: أنه يرجو قبول الحسنة، يفعل الحسنة ويجتمع في قلبه الأمران: الأوَّل الذي سبق، وهو أنه يخشى ألا تُقبل منه؛ لضعف وتقصير أدائه لها، ومع ذلك فإنه يرجو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يقبلها منه، وهذا ما ينبغي أن تنتبه له يا رعاك الله.

ومن ذلك: هذه العبادات العظيمة التي نحن فيها الآن، قال صلى الله عليه وسلم: «**مَن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه**».

قال صلى الله عليه وسلم: «**مَن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه**».

قال صلى الله عليه وسلم: «**مَن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا، غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه**».

ما معنى «**احتسابًا**»؟ هو هذا الذي نبحث فيه: أنه يرجو قبولها من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، تفعل هذه الحسنات، ومع ذلك أنت ترجو الله تبارك وتعالى أن يقبلها منك، فهذا من أنواع الرجاء التي ينبغي أن تُلاحظها.

رابعًا: أنك ترجو مغفرة السيئات، ترجو أن الله عَزَّوَجَلَّ يَمُنّ عليك بالتجاوز عن السيئات، ﴿**وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**﴾ [الشعراء:٨٢].

إذًا: هذه مُتعلَّقاتٌ أربعة ينبغي أن تُلاحظها في موضوع الرجاء.

هذا الموضوع -يا أيها الإخوة- موضوعٌ عظيم، وينبغي عليك دائمًا أن تُلاحظه في نفسك، وأن تكون مُتأمِّلًا فيه، مُلاحظًا أدلته التي جاءت في الكتاب والسنة، حتى تكون قائمًا بهذه العبادة أو بهاتين العبادتين على الوجه الصحيح.

يبقى مسألةٌ أخيرة، وهي: كيف أعرف أني أخاف الخوف الصحيح؟ وكيف أعرف أني

أرجو الرجاء الصحيح؟

الجواب: إذا كان خوفُك مُثمِرًا لطاعة الله فأبشِر، خوفك خوفٌ صحيح على مقتضى ما دلّت عليه الأدلة الشرعية.

وإذا كان رجاؤك مُثمِرًا لطاعة الله عَزَّوَجَلَّ، فأبشِر، أنت على خير، ورجاؤك رجاءٌ شرعي.

إذًا: الخوف الذي ينفع ويكون صحيحًا، هو الذي يدفعك إلى طاعة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، والله جل وعلا وصف عباده الصالحين الملائكة، بقوله: ﴿**يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [النحل:٥٠].

إذًا: كان خوفُهم سببًا لطاعة الله عَزَّوَجَلَّ.

قال ﷺ في الحديث الصحيح: «**مَن خاف أدْلجَ، ومَن أدْلجَ بَلَغَ المَنزِل، أَلَا إنَّ سلعة الله غالية، ألا إنَّ سلعة الله الجنة**».

وفي مقابل هذا: الرجاء، لا بد أن يكون الرجاء مُثمرًا لطاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وإلا فإنه بَطَالة، وإلا فإنه دعوة، رجاء لا يصحبه عمل، هو في الحقيقة دعوى وإرجاء، ليس من الرجاء، تأمَّل في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ**﴾ [البقرة:٢١٨]، يعني: أولئك الذين يستحقون أن يكونوا من أهل الرجاء، هؤلاء هم أهل الرجاء، منهم؟ آمنوا، هاجروا، جاهدوا في سبيل الله، إذًا كان إيمانٌ مع عمل، أثمر أن كانوا من أهل الرجاء حَقًّا، ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ**﴾ [الكهف:١١٠]، ماذا؟ ينام، يتواكل، يتكاسل عن طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، ويقول: الله غفورٌ رحيم، يفعل المعاصي، ويقول: الله غفورٌ رحيم، كلَّا! ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ**﴾ ضَعْ خطوطًا عند كلمة (يعمل) ﴿**فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا**

وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠]، ، هذا الرجاء النافع، هذا الذي ينفعك يا عبد الله من الرجاء، وما سواه فإنه لا ينفعك، هو إلى الأمن من مكر الله عَزَّوَجَلَّ أقرب من أن يكون رجاء.

إذًا: هذا باختصارٍ شديد ما يتعلق بتحقيق هاتين العبادتين العظيمتين، أَلا وهما الخوف والرجاء.

قوله: (**﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** [آل عمران:١٧٥]) علامة صحة الإيمان: أن تكون من أهل الخوف، (**﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾**)؛ فإن كُنتَ من أهل الإيمان، فإنه يجب عليك أن تكون من أهل الخوف من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما أن الخوف علامة صحة الإسلام، **﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾** [يونس:٨٤].

المقصود: أن علامة صحة الإيمان، أن يكون الإنسان خائفًا من الله تبارك وتعالى، هذا الذي تدل عليه هذه الآية، فبالتالي ثبت عندنا أن الخوف من الإيمان، وأنه طاعةٌ لله عَزَّوَجَلَّ، وإذا كان ذلك كذلك، فما حُكم الخوف مِن غيره جل وعلا؟

نحنُ مَرَّ بنا في درس الأمس، قاعدةٌ مهمة: (كُلُّ ما ثبت أنه عبادة، فصرْفه لغير الله شرك)، **وبالتالي قال أهل العلم**: مَن خاف خوف السر من غير الله عَزَّوَجَلَّ، فإنه يكون قد أشرك الشرك الأكبر، ما معنى خوف السر؟

يعني: أن يخاف من غير الله أن يصيبه بأذى أو مكروه بغير سببٍ ظاهر، يعني: بسبب غَيبي، يُصيبه بأذى مع البُعد، أو يخشى من أن يكون يطَّلِع على قلبه، فيغضب عليه، فإن هذا -ولا شك- من الخوف الذي هو شركٌ بالله تبارك وتعالى، ويقع هذا كثيرًا في أحوال عُبَّاد

القبور، فإن أحدهم يكون وَجِلًا خائفًا، يخشى من شيخه، ومن سيِّده الذي هو مُريدٌ له، أن يُصيبه بمكروه، إن حادَ عن الطريق الذي رسَمَه له، فهذا خوفٌ لا يجوز أن يُصرف لمخلوق، هذا الخوف يجب أن يكون لله تبارك وتعالى، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

قوله: (**وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾** [الكهف:١١٠]) كذلك الرجاء دلَّت هذه الآية على أنه عبادةٌ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الرجاء متعلِّقٌ به جل وعلا، ومُتعلِّقٌ بلقائه، (﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾)، ولقاءُ الله عَزَّوَجَلَّ هنا يقتضي رُؤيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا الذي يُحرِّك قلوب المؤمنين إلى طاعة الله سبحانه، فهم يشتاقون إلى رُؤية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **ثمن ذلك**: طاعة الله جل وعلا، (﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾).

قوله: (**وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** [المائدة:٢٣])، هذه عبادةٌ رابعة، أوردها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، (**التوكل**) عبادةٌ عظيمة، هي من أوسع المقامات الإيمانية، من حيث مُتعلَّقها بصفات الله عَزَّوَجَلَّ، فإن كثيرًا من صفات الله سبحانه تقتضي التوكل عليه، فالصفات التي ترجع إلى معنى القدرة، وإلى معنى الملك، وإلى معنى الرحمة، وإلى معنى المحبة، وإلى معنى اللطف، كُلَّها تدعو وتحث على التوكل على الله تبارك وتعالى، كما أنه من أكثر المقامات حصولًا من المخلوقات.

فالتوكلُ على الله يكون من المؤمنين، ويكون من الكافرين، ويكون من الإنس، ويكون من الجن، بل حتى من الحيوانات، وحتى من الطير، فإنها تتوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

إذًا: هذا مقامٌ عظيم، جعل الله عَزَّوَجَلَّ هذا المقام شرطًا في صحة الإيمان، فالله جل وعلا يقول: (﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُم مُؤْمِنِينَ﴾).

ولاحِظ أن هذه الآية دلَّت على أن التوكل علامة صحة الإيمان من جهتين:

أولًا: من جهة تقديم الجار والمجرور، الذي يدل على التخصيص، (﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا﴾)، ما قال: (وتوكَّلوا على الله)، فتقديم الجار والمجرور دليلٌ على أن التوكل عبادةٌ لا يجوز صرْفها إلا لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، كأنه قال: على الله فتوكلوا، ولا تتوكلوا على غيره.

ثانيًا: أنه قال: (﴿إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾) هذا شرط، إن كنتم مؤمنين، يعني: فتوكَّلوا عليه، جواب الشرط محذوف، هذا تقديره، إن كنتم مؤمنين فعليه توَّكلوا سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

وهذه هي الآية التي أردت أن أُشير إليها سابقًا، وهي ما قال موسى عليه السلام فيما أخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس:٨٤]، إذًا علامة الإسلام أيضًا؛ أن يكون الإنسان متوكلًا على الله جل وعلا.

التوكلُ على الله، ما هو؟

التوكل على الله: حقيقةٌ مُركَّبةٌ من أمرين:

- **الأمر الأول**: اعتماد وتفويض قلبي على الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، يعتمد الإنسان ويُفوِّض الأمر إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

- **الأمر الثاني**: بذْل الأسباب المُمكنة، فمتى ما جمع الإنسان بين هذين الأمرين، اعتمد على الله، وثِقَ بالله، فوَّض الأمر إلى الله، مع كونه قد قام بالأسباب التي شرعها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، وأحلَّها، فإنه حينئذٍ يكون قد توكَّل التوكل الشرعي، ولذا عرَّف بعض أهل العلم

التوكل بقوله: (هو قَطْع النظر إلى الأسباب بعد تهيئة الأسباب)، قطع النظر إلى الأسباب، متى؟ بعد بذل الأسباب.

أو كما نقل ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مدارج السالكين»، نقل كلمة جميلة عن بعضهم، ألا وهي: (أنَّ التوكل اضطرابٌ بلا سكون، وسكونٌ بلا اضطراب)، ما معنى هذا الكلام؟

(اضطرابٌ)، يعني: حركة، بلا سكون: وذلك بالجوارح، (وسكونٌ): طمأنينة، وثقة بالله عَزَّوَجَلَّ بالقلب (بدون اضطراب): بدون حركة قلب ولا شك، ولا يأس.

إذًا: التوكل هو اضطرابٌ بلا سكون، وسكونٌ بلا اضطراب، بهذا يكون الإنسان قد توَّكل على الله عَزَّوَجَلَّ حق التوكل.

تأمَّل في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**لو أنَّكم تَوَكَّلون على الله حقَّ التوكل، لرزقكم كما يرزق الطيرَ، تغدوا خِماصًا، وَتَعودُ بِطَانًا**».

هذا الحديث يدل على حصول يقين، وتفويض، وعلى بذل سبب؛ لأن الطير ما جلست، الطير ماذا فعلت؟ ذهبت، وغَدَت تبحث عن الرزق، ثم عادت وقد مَنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليها بالرزق، إذًا هكذا يكون التوكل الشرعي.

يقع النَّاس في أخطاءٍ في هذا الباب، أهم تلك الأخطاء ما يأتي:

أولًا: أن يتوكل الإنسان على غير الله عَزَّوَجَلَّ فيما لا يقدر عليه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا يقع في حال مَن لم يَقْدُر الله عَزَّوَجَلَّ حق قدره، ومن أشرك به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويكثر هذا في عُبَّاد القبور، يكون قلبه مُعلَّقًا بغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في تفريج الكروب، وتنفِيس الهموم، ومغفرة الذنوب، وإزالة العقبات، بل يكاد أن يكون قد فوَّض كل شيء إلى سيده الذي يعبده، حيًا كان أو ميتًا،

وهذا أمرٌ عظيم، ولذا كم يتداول بعض النَّاس أبياتًا تدل على هذا التفويض الشركي، تجد أنهم ينشدون:

إن لم تكُن في معادي آخذًا بيدي فضلًا وإلا فَقُل يا زَلَّة القدَمِ

يخاطب النبي ﷺ بهذا.

عنده أن ثقته وتفويضه إنما هي في النبي صلى الله عليه وسلم، وإلا فالهلاك حاصلٌ في الآخرة، توكَّل على النبي ﷺ في شأن النجاة في الآخرة، ولا شك أن هذا توكُّلٌ شركي.

إذًا: تَنبَّه يا رعاك الله إلى هذا الأمر.

ثانيًا: بعض النَّاس يقع في شركٍ أصغر، وذلك بأنه يُلاحظ المخلوق بقلبه ويعتمد عليه بعض الاعتماد في شأنٍ من الأمور الدنيوية، يعني: بعض النَّاس يكون في حاجةٍ إلى شيءٍ ما، الذي ينبغي عليك أنك إذا احتجت إلى أحد، واضطررت إلى سؤال أحد، وهو يقدر على شيء، يقدر على إعانتك، يقدر على أن يتوسط لك أو يشفع لك، فإنك ينبغي أن تُلاحظ أن الجواز هاهنا مشروط بكون قلبك معتمدًا على الله فقط، إنما أنت تطلب بجوارحك، أمَّا قلبك فإنه واثقٌ بالله عَزَّوَجَلَّ، لا بالمخلوق، ونحن قد علمنا قبل قليل أن التوكل: هو قطع النظر في الأسباب بعد بذل الأسباب، فمن كان عنده التفاتٌ في قلبه إلى مخلوق في تحصيل منفعة، أو دفع مضرة، فإنه يكون قد وقع في جنس الشرك الأصغر، وهذا بحرٌ لا ساحل له، وما أكثر المُخطئين فيه، نسأل الله أن يُعافينا وأن يغفر لنا.

ثالثًا: أن بعض النَّاس في مسألة التوكل يغفل عن اتخاذ الأسباب، يظن أن التوكل الصحيح هو أن يترك الإنسان اتخاذ الأسباب، لا يفعل شيئًا، يجلس ويقول: إن شاء الله أن

يُعطيني، وأن يصنع لي كذا وكذا، فإنه سيكون، دون أن يتحرك، ودون أن يبذل المستطاع، وهذا في الحقيقة تواكلٌ لا توكّل، التوكل كما قد علمنا، لا بد أن يجتمع فيه الأمران، يجتمع: الثقة بالقلب، والتفويض من القلب لله عَزَّوَجَلَّ، مع بذل الأسباب، «**لرَزَقكم كما يرزق الطير، تغدو خِمَاصًا وتعود بِطَانًا**».

هذا النبيّ الكريم صلى الله عليه وسلم، الذي هو سيِّد المتوكلين، ما ترك اتخاذ الأسباب، النبي ﷺ لَبِس في أُحُد درعين، كان ﷺ يلبس في الحروب المِغفَر، النبي ﷺ اتخذ سببًا يمنع المشركين من الوصول إلى المدينة، ألا هو حفر الخندق، كان النبي ﷺ يحتفظ بقوت أهله مدة سنة.

إذًا: كان النبي صلى الله عليه وسلم، مع أنه أعظم النَّاس توكُّلًا، لا يترك اتخاذ الأسباب.

إذًا: اتخاذ الأسباب ليس قدحًا في التوكل، بل ترك الأسباب هو القدح في التوكل، وبعض النَّاس يُخطئ في هذا الباب خطَأ عظيمًا، والعجيب أن الذي يدَّعي أنَّه يترك اتخاذ السبب توكُّلًا على الله عَزَّوَجَلَّ، أخطأ وكذب في نفس الوقت، هو كاذب، مُستحيل أن إنسانًا يمتنع عن فعل أي سببٍ على الإطلاق.

ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر قصة عن أحدهم، وهي: أنه ادَّعى أنه متوكلٌ على الله عَزَّوَجَلَّ، وبالتالي فإنَّه لا يتخذ أي سببٍ على الإطلاق، فكان يُسافر ويتنقل في القِفَار من مكانٍ إلى آخر، دون أن يحمل زادًا معه، لكنه يقول: لا بد أن أحمل معي ثلاثة أشياء: إناء للوضوء، وإبرة، وخيط، يقول: ربما ينقطع ثوبي فأنا بحاجة إلى أن أخيط ثوبي، حتى لا تظهر عورتي فتبطل صلاتي، ولا بد لي من إناء أضع فيه الماء إذا أردت الوضوء.

إذًا: هذا الرجل ما استطاع أن يترك اتخاذ الأسباب، بل حتى خروجه من مكانٍ إلى آخر، لأي هدفٍ كان هو في الحقيقة اتخاذٌ للسبب.

إذًا: لا يستطيع إنسانٌ أن يكون تاركًا لفعل الأسباب مُطلقًا، هذا أمرٌ لا يُمكن لأحدٍ أن يدَّعيه.

رابعًا: -وهي مسألة مهمة- أن بعض النَّاس إذا سمع ما يتعلق بالتوكل، لا ينصرف ذهنه إلا إلى الأمور الدنيوية، يعني: يظن أن التوكل محصور في مسألة الرزق، وما يدور في فلَك هذا الأمر فقط، هذا هو التوكل، وهذا في الحقيقة خطأ، وهذا في الحقيقة نقص، بل ثَمَّة توكلٌ أعظم من هذا، وهو أن تتوكل على الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في شأن طاعته جل وعلا، وفي شأن طلَب العلم، و في شأن الدعوة إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، هذا أعظم بكثير، والله إنك لا تستطيع أن تفعل شيئًا من هذه الأمور، إلا بإعانة الله عَزَّوَجَلَّ، ولذا هِمَمُ النَّاس في هذا الباب متفاوتة، شتَّان بين من يكون توكله في حصول رَغيف، ومن يكون توكله في طاعة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأداء عبادته.

إذًا: إذا كان مما يُطلب -وهذا من الأمر الحسن المطلوب، أن يتوكل الإنسان على الله عَزَّوَجَلَّ في شأن الرزق، والأعمال، وما إليها- فإن التوكل على الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ والاستعانة به، وتفويض الأمر إليه، والاعتماد عليه جل وعلا في طاعته، هذا أَولى وأَولى وأهَمّ.

ولذا: ماذا يقول المسلم إذا سمع الحَيعلَتَين في الأذان؟ يقول: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**»، أنت دُعيتَ الآن إلى الصلاة: حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح، جوابك بأن تفوِّض الأمر إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وتُعلن اعتمادك بالله عَزَّوَجَلَّ، وأنَّك لا شيء، لا يمكن أن تتحرك، ولا تفعل شيئًا حتى يأذن الله سبحانه ويمدك بعونه وتوفيقه جل وعلا.

إذًا لاحظ يا رعاك الله، في كل أمر من أمور الدنيا، وأهَم منها في كل أمر من أمور الدين، أن تتوكل على الله عَزَّوَجَلَّ، إياك أن تثق بنفسك، تثق بإيمانك، تثق باجتهادك، تثق بذكائك، تثق بأنك فعلت وفعلت في السابق، ربما تُخذل بسبب هذه الثقة في النفس، الواجب أن يكون شأنك في كل حالك، هو الثقة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والعبدُ شأنه هو أن يُوكَّل، وليس أن يُتوكل عليه، التوكيل شيء، والتوكل شيءٌ آخر، لك أن تُوكِّل شخصًا في أمرٍ من الأمور التي يجوز فيها التوكيل شرعًا، يعني: تجعل شخصًا نائبًا عنك، يقوم مقامك في شأنٍ من الأمور، في شأنٍ من الشؤون، أو أمرٍ من الأمور، هذا لا حرج فيه، لكن التوكل قضيةٌ أساسها واعمادها التفويض القلبي، وهذا لا يجوز إلا في حق الله تبارك وتعالى.

إذًا: هذه العبارة -بارك الله فيك- لا تجوز.

السؤال: هذا يسأل عن حديث: «**مَن صلى الفجر في جماعة، ثم قَعَد يذكر الله، حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، فكان له كأجر حَجة وعُمرة**»، يسأل: عن صحة هذا الحديث؟

الجواب: هذا الحديث فيه بحثٌ طويل من جهة إسناده، فبعض أهل العلم حسَّنه، وبعضهم ضعَّفه.

وعلى كل حال هذا الفعل في أصله مشروع، جلوسُك حتى تُشرق الشمس وأنت تذكر الله عَزَّوَجَلَّ، هذا أمرٌ مشروع، وثبت بفعله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وصلاةُ الركعتين هُما صلاة الضحى، وصلاة الضحى ثابتة من فعل النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، بل ومن قوله، وبالتالي فإن هذا الفعل مشروع، فإن كان هذا الحديث صحيحًا فالحمد لله، وإلا فإن

هذا الفعل مشروع، وإن لم يكن هذا الحديث صحيحًا.

والحمد لله رب العالمين

قال المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

ودَلِيلُ التَوكُّلِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُم مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]، وَقَولُه: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:٣].

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ وَالْخُشُوعِ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠].

وَدَلِيلُ الخَشيَة؛ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [البقرة:١٥٠].

وَدَلِيلُ الإِنَابَة؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر:٥٤].

وَدَلِيلُ الاستِعانَة؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ».

وَدَلِيلُ الاستِعاذَة؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق:١]، ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق:٢].

وَدَلِيلُ الاستغاثة؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال:٩].

وَدَلِيلُ الذَبح؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

وَمِنَ السُنَّةِ: «لعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ».

وَدَلِيلُ النَذْرِ؛ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان:٧].



قَالَ الشَّارِح وفَّقهُ الله:

وقوله تعالى: (﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:٣])، أَبانَتْ هذه الآية ثمرة

التوكل، وهو أن يكون الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى حسبه، أي: كافيه، فمن توكَّل على الله عَزَّوَجَلَّ فإنَّه لا يخشى الخذلان، فالله سبحانه كريم، فيُجازي على مَن اعتمد عليه، وفوَّض الأمر إليه، بأن يكون كافيه ما أَهَمَّه، وهذا دليلٌ على كرَمِه سبحانه ورحمته، وعلى محبته لعباده الصالحين جل وعلا.

قوله: (**وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ وَالْخُشُوعِ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾** [الأنبياء:٩٠]).

أشار رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى ثلاثة أنواعٍ من العبادات، أَلا وهي (الرغبة، والرهبة، والخشوع)، وقد جمعها قوله سبحانه: (﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾)؛ هذه الآية في سورة الأنبياء، ذُكِرت بعد أن ذكَر سبحانه حال عبده زكريا عليه السلام: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [الأنبياء:٨٩-٩٠]، فاختلف المفسِّرون في المراد بقوله سبحانه: (﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾).

فقيل: إنهم زكريا وأهل بيته.

والقول الثاني: أنهم جميع الأنبياء الذين ذُكِروا في هذه السورة قبل زكريا عليه السلام، فيكون هو معهم.

وعلى كل القولين، **فالمقصود**: أن عباد الله الصالحين الواردين في هذه الآية كانوا يُسارعون في الخيرات.

ولاحظ أن قوله تعالى: (**كَانُوا**) دليلٌ على أن هذا دأبَهم، وهِجِّيرَاهم، كانوا يُسارعون، لا

يُبطِئون في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، بل كانوا يُسارعون في الخيرات، يعني: في الطاعات، فالخير هو الطاعة، هو الحسنة، ما يُقرِّب إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قوله: (﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾)؛ (رَغَبًا ورَهبًا) إِما نُصبت هاتان الكلمتان على الحالية؛ (يدعوننا حال كونهم راغبين وراهبين)، أو تكون الكلمتان قد نُصِبتا على أنهما مفعولٌ لأجله.

والمقصود: أن حال الصالحين، هو الجمع بين الرغبة والرهبة، وهذان الأمران يرجعان إلى معنىً قريب من معنى الرجاء والخوف، وبالتالي ففي الآية دليلٌ على الجمع بين الخوف والرجاء، وأن هذا هو الذي يجب أن يكون عليه المؤمن جامعًا بين الخوف والرجاء.

الرَّغْبَة: هي مَيل النفس إلى الشيء لاعتقاد نفعه، وهي بالتالي قريبةٌ من معنى الرجاء، لكن الفرق الدقيق بين الرجاء والرَّغبة، أن الرجاء: طَمَعٌ والرَّغبَة طلَبٌ، **بمعنى**: أن الرَّغبَة ثمرة الرجاء، فمن طَمِع في شيء فإنَّه سوف يطلبه، ويسعى إليه.

إذًا: هذا هو الفرق الدقيق بين الرجاء والرَّغبة.

ومضى في درس الأمس الكلام مُفصَّلًا عن الرجاء، وعن كثيرٍ من مباحثه، التي ينبغي على المسلم أن يعرفها.

والمقصود: أن الرغبة عبادةٌ يجب صرفها لله تبارك وتعالى، قال سبحانه: ﴿ **إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ**﴾ [القلم:٣٢]، ولاحظ أن تقديم الجار والمجرور دالٌ على الحصْر، الأصل في السياق (إنَّا راغبون إلى الله)، لكن لمَّا قال: ﴿ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾، فكأنَّه قال: راغبون إلى الله لا إلى غيره، فكان في الآية حصرٌ وقصرٌ للرَّغبَة على الله سبحانه فحسب، فالذي يُرغَب فيه إنما هو الله تبارك وتعالى.

أمَّا الرهبة فإنها -كما ذكرتُ- قريبةٌ من معنى الخوف، فهي عبادةٌ لله عَزَّوَجَلَّ، قال سبحانه: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة:٤٠]، أسلوبٌ أيضًا يدل على الحصر، فالرَّهبة إنما تكون من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وثَمَّة فرقٌ دقيق بين (الرَّهبة والخوف): قالوا: الرَّهبَة خوْفٌ مع تحرُّز، يعني: الرهبة خوف مقرون بعمل، أي: الرَّهبة خوفٌ مع هرَبٍ من المخوف منه، فإذا كنت صادقًا في الرَّهبة من الشيء، فإن هذا الخوف الذي في قلبك سيقترن به عمل وسعي واجتهاد في البُعد عن الشيء الذي تخاف منه، فإذا كنت تخاف من عذاب الله عَزَّوَجَلَّ وغضبه، وانتقامه، فإنَّك إن كنت راهبًا ستسعى السعي الحثيث في البُعد عمَّا يُوقِعك في هذا الذي تخاف منه.

إذًا هذا هو الرَّهبَة.

قوله: (﴿وكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾)؛ هذه العبادة الثالثة في الآية: **الخشوع**.

والخشوع يدل على أمرين، الخشوع مجموعٌ من شيئين:

الأول: ذُلٌّ وخشوع.

الثاني: سُكُون وطُمأنينة.

فمتى ما اجتمع الأمران كان الإنسان خاشعًا، يذلّ ويخضع مع كونه ساكنًا مُطمئنًا، والخشوع أيضًا عبادة يجب صرفها لله تبارك وتعالى، قال سبحانه: (﴿وكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾).

ولاحظ أيضًا تقديم الجار والمجرور في قوله: (لَنَا) للدلالة على الحصر، فالخشوع إنما يكون لله تبارك وتعالى.

قوله: (وَدَلِيلُ الخَشْيَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾).

الخشية قريبةٌ أيضًا في المعنى من الخوف، لكن بينهما فرْقٌ دقيقٌ أيضًا:

الخشية خوفٌ مقرون بتعظيم ومعرفة.

إذًا: لا يكون الإنسان صاحب خشيةٍ من الله عَزَّوَجَلَّ إلا إذا جمع بين هذين الأمرين، أن يكون خوفُه مع معرفةٍ بالمَخُوف، وتعظيم له، لا بد أن يكون الإنسان عالمًا بالشيء الذي يخافه منه، أمَّا إن كان يخاف من شيءٍ لا يعلمه فهذه ليست خشية؛ ولذا كان الموصوفون بالخشية هم العلماء: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨]، لِمَ؟ لأنَّهم عالِمون بالله تبارك وتعالى.

وكَم يخاف الإنسان مع جهله بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فيقع في معاطب، بعض النَّاس خوفه من الله عَزَّوَجَلَّ يُوقِعه في سوء الظن بالله عَزَّوَجَلَّ، والسبب: جهْله، لو كان عالمًا بالله عَزَّوَجَلَّ وبصفاته وبأسمائه جل وعلا، ما وقع في الخلل.

خُذ مثالًا على هذا: بعض النَّاس يخاف من الله عَزَّوَجَلَّ كما يخاف من عدوٍ يخشى مكره وكيده، وأن يغتاله على حين غِرَّة، ولذا تجده مثلًا إذا سمع قول النبي ﷺ في الرجل، فإن الرجل أنَّه «لا يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها»، يظن أن الله تبارك وتعالى ربما يكيد لك ويمكر بك، وأنت مجتهد في الصالحات، قائمٌ بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ جهدك، والنتيجة أن الله عَزَّوَجَلَّ يخذلك في آخر لحظة، فتجد أن هذا الخوف خوف جاهل بالله عَزَّوَجَلَّ، لا خوف عالم، الله عَزَّوَجَلَّ شكورٌ، لا يمكن أن يُجازيك على إقبالك عليه بأن يُضلّك، وأن يصرف قلبك عن الحق، فيُجازيك على الحسنة بالسيئة، هذا

ظن سَوء بالله تبارك وتعالى، لا يجوز للمسلم أن يظنه في الله عَزَّوَجَلَّ، بل الله سبحانه يقول: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا﴾ ماذا أضلهم؟ وأعقب على قلوبهم بالفتنة؟ حاشا وكلَّا، ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد:١٧]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل:٥-٦]، ماذا؟ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل:٧].

وأمَّا بالنسبة لهذا الحديث، فإنَّه قد جاء توضيحه في رواية: أنه يعمل بعمل أهل الجنة فيما يظهر للناس، يعني: الرجل ما كان مُخلصًا لله عَزَّوَجَلَّ، كان مُرائيًا، يطلب مدحة من النَّاس، ومثله حَري بأن يُخذل قبل الموت -عافاني الله وإياكم من ذلك- أمَّا من كان صادقًا مع الله عَزَّوَجَلَّ، فإنَّ من أقبَل على الله تبارك وتعالى، فإنَّ الله يُقبل عليه، ومن جاءه يمشي أتاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هَرْوَلة، كما ثبت هذا عنه ﷺ.

إذًا: هذا هو الأمر الأول في الخشية؛ أن يكون الخوف مقرونًا مع معرفةٍ بالمخوف.

الأمر الثاني: أن يكون مع تعظيم، متى ما كان المخوف مُعظَّمًا، كان هذا من الخشية، وبالتالي فإذا كان الخائف إنَّما يخاف لضعفه، ووجله، لا لأنما يخافه شيءٌ عظيم، فإنَّ هذا ليس بخشية، أمَّا الله تبارك وتعالى فمن يخشاه، فلأنَّه تبارك وتعالى عظيم، ولأنَّ غضبه شديد، ولأنَّ انتقامه عظيم تبارك وتعالى، فمثل هذا إذا اجتمع في القلب فإنَّه يكون خشية، المعرفة بالمخوف مع تعظيمه.

والخشية عبادةٌ إنما تُصرف لله تبارك وتعالى، كما مرَّ معنا في هذا الدليل.

إذًا: مَن صرَف هذه الخشية لغير الله تبارك وتعالى، فإنَّه يكون قد أشرك مع الله عَزَّوَجَلَّ، وما الدليل؟

الدليل قاعدة تعلَّمناها: (كلما ثبت أنَّه عبادة، فصرفه لغير الله شرك)، والخشية عبادة بنص الكتاب؛ لأنَّه اجتمع فيها أمران: محبة الله، وشرعه ورضاه، متى ما شرَعه ورضيه لعباده، فإنَّه يكون عبادة، وبالتالي فالخشية عبادة، ومن صرفها لغير الله عَزَّوَجَلَّ، فقد أشرك معه.

قوله: (**وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾**).

الإنابة تجمع أربعة أمور، إذا اجتمعت هذه الأربعة، كان الإنسان مُنِيبًا إلى الله عَزَّوَجَلَّ:

أولًا: المحبة.

وثانيًا: الخضوع.

وثالثًا: الإقبال على الله.

ورابعًا: الإعراض عمَّا سواه.

فمَتى اجتمعت هذه الأمور الأربعة، كان الإنسان مُنيبًا إلى الله عَزَّوَجَلَّ، قائمًا بعبادة الإنابة له تبارك وتعالى.

قوله: (**وَدَلِيلُ الاِسْتِعَانَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾** [الفاتحة: ٥]، **وَفِي الْحَدِيثِ: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ»**).

(الاستعانة): الألف والسين والتاء للطلب، وبالتالي **فالاستعانة**: طلب العون.

قال العلماء: الاستعانة في المعنى قريبة من التوكل، ولذا فإنَّهم يضعون أحد الكلمتين مكان الأخرى، والقاعدة عند اللغويين: (أنَّ الشيء قد يُوضع محل الشيء إذا كان قريبًا منه)، **إذًا** كلما قيل في التوكل، فإنه يُقال في الاستعانة، فالاستعانة في معناها قريبة أو هي التوكل على الله تبارك وتعالى، والدين كله إنَّما هو عبادة وتوكل، إنابة وطاعة، (**﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ**

نَسْتَعِينُ﴾)، ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾ [الممتحنة:٤].

إذًا: ما تكلَّمنا عنه في التوكل فإنَّه ينسحب أيضًا على الاستعانة.

والذي يبدو -والله أعلم- أن التوكل أرفع درجة، وفيه من الاعتماد والثقة ما ليس في الاستعانة، **بدليل**: أنَّه دلَّت النصوص على جواز الاستعانة في المخلوق فيما يقدر عليه، ولم تأتِ في التوكل بذلك، ولذا فإن الله جل وعلا يقول: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ**﴾ [البقرة:٤٥]، وفي الحديث: «**اسْتَعِينُوا عَلَى إِنْجَاحِ حَوَائِجِكُمْ بِالْكِتْمَانِ**»، أمَّا التوكل ففيه زيادة في التعلُّق القلبي بالله تبارك وتعالى، ولذا فإن هذه الكلمة لا تُستعمل إلا في حق الله عَزَّوَجَلَّ.

المقصود: أن الاستعانة تجمع أمرين، تجمع: الثقة، والاعتماد، متى ما اجتمع هذان الأمران، فإن الاستعانة تكون حاصلة.

الأول: أن يكون هناك اعتماد، قد تثق بمن لا تعتمد عليه لاستغنائك عنه، شخصٌ تثق فيه، لكنَّك لا تعتمد عليه في أمرٍ من الأمور؛ لأنَّك لا تحتاجه، وقد تعتمد على من لا تثق، لا تثق فيه لكنَّك تعتمد عليه، إمَّا لحاجتك، أو لأنَّك لا تجد من يقوم مقامه، أمَّا إذا اجتمع الأمران؛ اعتمادٌ مع ثقة، فإنَّ الحالة حينئذٍ تكون استعانة، والاستعانة تكون بالله تبارك وتعالى، (﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾).

وتقديم (﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾) على (﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾) دليلٌ على حصر الاستعانة في الله تبارك وتعالى.

قوله: (وَدَلِيلُ الِاسْتِعَاذَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [النَّاس:١]).

الاستعاذة، كما قلنا في الاستعانة: الألف والسين والتاء للطلب.

إذًا الاستعاذة: طلب العَوذ والعِياذ، (العَوذ والعِيَاذ) مصدران، كما تقول: صَوم وصيام.

فالاستعاذة: هي طلب العِياذ أو طلب العَوذ.

والاستعاذة الْتجاء واعتصام وهرَب من شيءٍ يُخاف منه إلى شيءٍ يعصم منه، تخاف من شيء فتهرب منه، إلى شيءٍ يعصمك منه، هذه هي الاستعاذة.

والاستعاذة عبادة، إنَّما تُصرف لله تبارك وتعالى، ودليل ذلك ما جاء في هاتين الآيتين: (﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق:١]، و﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق:٢]).

ولاحِظ أن الاستعاذة تكون من شيءٍ تخاف منه، وتَلْجأ إلى من يعصمك من هذا الشيء الذي تخاف منه، يُقابلها كلمة (اللِّياذ)، اللِّياذ تكون في طلب ما يُرجى، أمَّا العِياذ: فإنه يكون هربًا مما يُخاف.

يا مَن أَلُوذُ بِهِ فيمَا أُؤمّله ومَن أعوذ به فيما أُحاذره

فـ(اللّياذ) كلمة تُقابل (العِياذ).

واللِّياذ إنما يكون بالله، كما أن العِياذ يكون بالله تبارك وتعالى.

نأتي هنا إلى مسألة، وهي: ما حكم الاستعاذة بغير الله عَزَّوَجَلَّ؟

المسألة فيها تفصيل، انتبه لها!

الاستعاذة لها جانبان:

- جانبٌ قلبي.
- وجانبٌ باللسان.

أمَّا الجانب القلبي: فهو الاعتماد والاعتصام واللجوء، والتفويض، وما إلى هذه المعاني، فإنَّ هذا يجب أن يكون بالله تبارك وتعالى بغيره، فمتى ما حصل هذا الركون القلبي إلى غير الله عَزَّوَجَلَّ، فإن الإنسان يكون قد أشرك مع الله عَزَّوَجَلَّ.

أمَّا ما كان باللسان فإن حكمه يرجع إلى حكم الدعاء، وبالتالي فإننا نُنزِّل عليه ما ذكرناه في مسألة الدعاء، **وعليه** فإن الاستعاذة إذا كانت بميتٍ كانت شركًا أكبر.

لو أن إنسانًا أتى إلى قبر ولي أو نبي، وقال: يا سيدي فلان، أعوذ بك من هذا العدو الذي أخافني، فإن هذا يُعتبر شركًا أكبر.

أو يستعيذ بحيٍّ غائب، يذهب يستعيذ بسَيّده أو بشيخه، أو بمُعظَّمه، الذي هو بعيدٌ عنه لا يسمعه، (يا سيدي فلان أعوذ بك من كذا وكذا، مما أخاف)، فإننا نقول: هذا شركٌ أكبر.

أو يستعيذ بحيٍّ حاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله تبارك وتعالى؛ لو قال: يا شيخي فلان، (أعوذ بك من النار، أعوذ بك من دخول جهنم) فإن هذا يُعتبر شركًا أكبر؛ لأنه استعاذ بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

أمَّا إذا كانت الاستعاذة بحيٍّ حاضرٍ قادر، فإنَّه لا بأس بها، بشرط: أن يكون الاعتماد القلبي على الله عَزَّوَجَلَّ، ويدل على هذا جُملة من الأدلة، من ذلك: ما ثبت في «صحيح مسلم»، في ذِكر المخزومية التي سرقَت، فإنه لمَّا أُتِي بها إلى النبي ﷺ عاذت بأم سلمة رضي الله عنها، لكن النبي ﷺ أبى وقال: «**والله لو أنَّ فاطمة بنتَ محمدٍ سرَقَتْ لقَطَعْتُ يَدَها**».

كذلك ثبت في «صحيح مسلم»؛ أن أبا مسعودٍ البدري رضي الله عنه: كان يضرب خادمًا له، فقال هذا الخادم: (أعوذ بالله)، فاستمر في ضربه، ثمَّ أبصر النبيَّ ﷺ -وهذه الرواية جاءت في مصنف عبد الرزاق- مُقبلًا، فالنبيُّ ﷺ كان حاضرًا يسمع، فقال هذا الخادم: (أعوذ برسول الله)، فكفَّ أبو مسعود رضي الله عنه، وأخبر النبي ﷺ أبا مسعود: «**أنَّ الله** عَزَّوَجَلَّ **أقدر عليه مِنْه على خادمه**».

الشاهد: أن الخادم قال: «أعوذ برسول الله»، والنبي ﷺ ما أنكر عليه، لِمَ؟ لأنَّها استعاذةٌ بحي حاضر قادر.

كذلك ثبَت في المسند وغيره؛ أن صفية رضي الله عنها أرسلت إلى النبي ﷺ وهو في بيت عائشة إناءً فيه طعام، فأخذَت عائشةَ رضي ا لله عنها الغيرة، فأخذت هذا الإناء وكسرتْه، ثم نظرت في وجه النبي ﷺ، فوجدت فيه الغضب، فقالتْ: «أعوذُ برسول الله أن يَلْعَنَنِي»، فدلَّ هذا على أن الاستعاذة بالحَيِّ الحاضر في شيءٍ يقدر عليه، والنبي ﷺ قادرٌ على ألا يَلْعَنَها، فدلَّ هذا على أن هذه الاستعاذة جائزة.

كذلك ثبت في «الصحيحين»، أن النبي ﷺ لمَّا ذكر الفتن، قال في آخر الحديث: «**فمَن وَجَدَ مَعَاذًا فلْيَعُذْ به**»، أو قال: «**مَن وَجَدَ مَلْجأ فلْيَعُذْ به**».

فهذه الأدلة وغيرها تدل على أن الاستعاذة إذا كانت باللسان لحيٍ حاضرٍ قادر، فإن هذه لا بأس بها إن شاء الله.

قوله: (**وَدَلِيلُ الِاسْتِغَاثَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾** [الأنفال: ٩]).

الاستغاثة في معنى الدعاء، لكنَّها أخصّ من الدعاء، فالاستغاثة: دعاءٌ في حالة الكرب، مَن

دعا في حالة الكرب، فإن دعاءه يُسمى استغاثة، مَن كان في حالةٍ حرجة، من كان في كربٍ عظيم فدعا الله تبارك وتعالى، فإنَّ دعاءه يُسمى استغاثة.

إذًا: الكلام في الاستغاثة كالكلام في الدعاء؛ الألف والسين والتاء لطلب الغوث.

إذًا: الكلام في الاستغاثة هو الكلام في الدعاء، سواءً بسواء.

قوله: (وَدَلِيلُ الذَّبْحِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ ..﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، وَمِنَ السُّنَّةِ: «لعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»).

هذه عبادةٌ بدنية عظيمة، ألا وهي (الذبح)، يجتمع فيها حسن الظن بالله، والرجاء فيه، والإنفاق في سبيله.

الذبح عبادة دلَّت عليها هذه الآية: (﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾)، وما وجه الشاهد؟

وجه الشاهد في قوله تعالى: (﴿وَنُسُكِي﴾)، فإن المراد بالنُسك: الذبح، وما الدليل؟

الدليل على هذا في كتاب الله، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في فِدية الأذى في الإحرام، قال: ﴿فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة:١٩٦]، فسَّر هذا النبي ﷺ أن النُسك هو: ذبح شاة، إذًا النُسك هو الذبح.

فالذبح عبادة لله تبارك وتعالى، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر:٢].

ولاحظ هنا: أنه عطَف (النحر) على (الصلاة)، فكأنه قال: (فصلِّ لربك وانحر أيضًا لربك).

ولاحظ كيف أنه قَرَنَ بين (النحر) وهذه العبادة العظيمة، التي لا عبادة أعظم منها، وهي (الصلاة)، **إذًا** ثبت عندنا الآن أن الذبح عبادة.

وإذا كانت عبادة، ما الدليل على أن صرفها لغير الله شرك؟

(كُلّ ما ثبت أنه عبادة، فصَرْفُه لغير الله شرك)، واستحق هذا المشرك لعنة الله عَزَّوَجَلَّ، ففي «صحيح مسلم»، قال ﷺ: «**لعَنَ اللهُ مَن ذَبَحَ لغيرِ الله**»، وإنَّه لحقيق ولجدير بِلَعْنة الله عَزَّوَجَلَّ، كيف يُرِيق هذا الدم تعظيمًا لمخلوق والواجب أن يكون هذا لله تبارك وتعالى؟!

مسألة الذبح مسألة تحتاج إلى تفصيل -انتبه بارك الله فيك- أحوال الذبح سواءً كان الذبح جائزًا أو غير جائز، ترجع لهذه الأحوال التي سأذكرها إن شاء الله.

أولًا: الذبح (باسم الله) لله، هذه عبادة لله تبارك وتعالى، اجتمعت فيها الاستعانة والعبادة، اجتمع فيها ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة:٥]، أمَّا الاستعانة، فهي في أنَّه ذبح باسم الله، أهلَّ باسم الله، قال حين الذبح: (بسم الله)، والتسميةُ على الذبيحة أمرٌ لا بد منه، قال الله جل وعلا: ﴿**فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ**﴾ [الأنعام:١١٨]، ﴿**وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ**﴾ [الأنعام:١٢١].

قال النبي ﷺ كما في «الصحيحين»: «**ما أنهَرَ الدَمَ، وذُكِرَ اسمُ اللهِ عليه فكُلْ**»، وسبحان الله! إنَّ لذِكر الله عَزَّوَجَلَّ على الذبيحة أثرًا عظيمًا في تَطْييبها، تَطيب الذبيحة بإذن الله وتزكو إذا ذُكِر عليها اسم الله عَزَّوَجَلَّ، والعكس بالعكس.

إذًا: أن يذبح باسم الله، هذا أولًا.

ثانيًا: (لِله)، ما معنى لله؟ يقصد بذلك وجه الله تبارك وتعالى، يتعبد لله سبحانه بالذبح،

يعظِّم الله تبارك وتعالى بالذبح، فهذه عبادة اللهُ يُحبها، أن يُهراق دم بهيمة الأنعام لوجهه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذا تعظيمٌ يُحبه الله تبارك وتعالى، وهذه العبادة لها أوجهٌ في الشريعة، فالهَديُ ذبْح عبادة، فدية الأذى في الإحرام أيضًا ذبح عبادة، العقيقة ذبح عبادة، ذبْح النذر ذبح عبادة، إلى غير ذلك ممَّا ثبت في الشريعة أنَّه يُتعبَّد لله تبارك وتعالى بالذبح.

إذًا: هذه عبادة لله تبارك وتعالى وصاحبها مأجور، الذبح باسم الله لِله.

ثانيًا: الذبح (باسم الله) لغير الله، يذبح باسم الله، يقول: باسم الله، ولكن النية في القلب، يُريد تعظيم غير الله، وهذا يقع ممَّن سَفِه نفسه، وهانتْ عليه نفسه من عُبَّاد القبور وأضرابهم الذين يذبحون على القبور، ولأجل أصحابها، يتقرَّبون إلى أصحابها، أو يتقرَّبون إلى الجن، يقول: لا أستطيع أن أدفع أذى الجن عنّي وعن أهل بيتي، إلا بأن أذبح لهم، أو ربما إذا بنى بيتًا جديدًا يأتيه مَن يأتيه من شياطين الإنس والجن، فيقولون له: إذا أردت أن يذهب عنك أذى الجن، لا يأتوك ولا يؤذوك في بيتك، فاذبح ذبيحةً لأجلهم، وسُمِّي عليها اسم الله، ثم خُذ هذا الدم ولَطِّخ به عَتَبة الباب وأركانه، أو أساسات البيت، وهذا لا شك أنه شركٌ بالله تبارك و تعالى، الذبح تعظيمًا لا يكون إلا لله، وهذا ذبح تعظيمًا لغير الله عَزَّوَجَلَّ، فكان شركًا بالله، وهو شرك في العبادة؛ لأنَّه ذبح قاصدًا غير وجه الله تبارك وتعالى.

الحال الثالثة: أن يذبح باسم غير الله لِله، وهذا شيءٌ نادر وربما لا يُتصوَّر، لكن أذكره تَتمَّة للقسمة، يُسمي بغير اسم الله، يذبح باسم السيد الفلاني، أو باسم المسيح، أو باسم الزهرة، أو باسم كذا، أو باسم كذا، ويُريد بها التقرُّب إلى الله تبارك وتعالى، فهذه أيضًا شركٌ بالله عَزَّوَجَلَّ، لكنَّه شركٌ في الاستعانة لا في العبادة.

الحالة الرابعة: أن يذبح باسم غير الله لغير الله، وهذه الحال ظلماتٌ بعضها فوق بعض، شركٌ في الاستعانة، وشركٌ في الاستغاثة، يذكر اسم الوَلي أو النبي ويُريد التقرُّب إليه، باسم السيد الفلاني ويُريد التقرُّب إليه، أو باسم جني وينوي التقرُّب إليه، فهذا شرك أكبر في العبادة وفي الاستعانة.

الحالة الخامسة: أن يذبح باسم الله لغرض مباح، يذبح باسم الله، هذا لا بد منه، لا بد أن تذكر اسم الله على الذبيحة، والمقصد ليس التقرب إلى الله، وإنَّما يُريد أمرًا مُباحًا، يُريد أن يُطعم أهله اللحم، أو يُريد أمرًا مندوبًا كإكرام الضيف، جاءه ضيف فيذبح ذبيحة لأجل أن يُكرِمه، فهو ذبح باسم الله، والقصد ليس التقرب إلى الله، ولا التقرب إلى غيره، إنَّما يُريد أمرًا مُباحًا، فما حكم هذه الذبيحة؟

الجواب: جائز، لا حرج في ذلك، وإذا أرد بذلك أن يذبح لأجل أن يُكرِم، فإنَّ هذا مُثاب؛ لأن إكرام الصيف أمرًا مندوبٌ إليه.

ما الفرق بين هذه الحال والأحوال الأربع الماضية؟

انتبه! هناك فرْقٌ دقيق، في الأحوال الأربع الأولى: الذبح هو المقصود، واللحم تبَع، وفي الحالة الخامسة: اللحم هو المقصود، والذبح تبَع، في الحالات الأربع سواءً كان الذبح توحيدًا، أو كان شركًا، المقصود هو إراقة الدم، المقصود التعظيم بالذبح، وبعد ذلك اللحم ماذا يصنع فيه؟ هذا أمر ليس له كبير أهمية هُنا، إن تصدَّق به، إن أكله، إنه رماه، المقصود حصل، وهو أنَّه أراد التعظيم بالذبح.

أمَّا في الحال الخامسة، فالمقصود هو اللحم، هو يُريد اللحم، فالذبح ما هو إلا وسيلة،

ولذلك يمكن إذا جاءه ضيف أو أراد أن يُطعِم أهل بيته اللحم، يُمكن أن يشتري ذبيحة فيذبح، أو يذهب إلى السوق فيشتري ذبيحة جاهزة، لماذا؟ لأنَّ قصده إنما هو اللحم، ولذا فإنه يُكتفى بأن يذكر اسم الله عَزَّوَجَلَّ على الذبيحة.

إذًا: هذه الأحوال التي يدور عليها حُكم الذبح، ويُفصَّل في الحكم على الذبح بحسب هذه الأمور التي مضى بيانها، والله تعالى أعلم.

قوله: (وَدَلِيلُ النَّذْرِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]).

النَّذرُ عبادةٌ لله تبارك وتعالى، من حيث عَقْد النذر، ومن حيث وفاء النذر، فكِلا الأمرين عبادةٌ لله عَزَّوَجَلَّ، النذر من حيث عَقْده يجب أن يكون لله، والوفاء يجب أن يكون لله تبارك وتعالى.

النَّذر هو: أن يُلزم الإنسان نفسه بما لا يلزمه على صيغةٍ مخصوصة.

كأن يقول مثلًا: (لله عليَّ نذرٌ أن أفعل كذا وكذا)، أو (نذر عليَّ كذا وكذا أن أفعل كذا وكذا)، (نذرٌ عليَّ أن أصوم إن جاء أبي من السفر)، (نَذرٌ عليَّ أن أتصدق بمائة ريال إذا نجحتُ في الامتحان)، ونحو ذلك.

الأصل أن هذا الفعل لم يجب عليك، لكن أنت نذرته، يعني: أَوجبْتَه على نفسك.

والنذر عبادةٌ لله عَزَّوَجَلَّ، بدليل: أن الله تعالى مدح المُوفين بالنذر، مدح أهل الإيمان بأنهم يوفون بالنذر، فقال: (﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾)، فدلَّ هذا على أن النذر عبادة لله عَزَّوَجَلَّ.

وثبت في الحديث الصحيح؛ أن النبي ﷺ قال: «**مَن نـذَرَ أن يُطيعَ الله فليُطعْه، ومـن نـذر أن يَعصيَ الله فلا يَعصِهْ**»، وعليه: فمن نذَرَ فإن هذا النذر يجب أن يكون لله عَزَّوَجَلَّ، ومـن نـذَرَ لغيـر الله فقد أشرك الشرك الأكبر، لو أتى إلى صاحب قبر، وقال: (يا سيدي فلان إن رجع غائبي من السفر، أو شُفيتْ والدتي من المرض، نَذْر لك أن أُطعِم عند قبرك كذا وكذا، أو أتصدَّق للفقراء بكذا وكذا)، أصبح النذر هذا شركًا بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنَّه ما جعله لله، وإنَّما جعله لغيره، وكلما ثبت أنَّه عبادة فصرفه لغير الله شرك أكبر.

والنذر يتعلق به أحكام، يحسن بك -يا طالب العلم- أن تعرفها.

أولًا: أن يكون النذر نذرًا مُطلقًا، يعني يقول الإنسان: (لله عليَّ نذرٌ)، هكذا يقول ويسكت، ولا يُبيِّن ما هو الشيء المنذور، هنا يجب عليه أن يُكفِّر كفارة يمين؛ لقول النبي ﷺ فيما خرَّج الإمام مسلم: «**كفَّارة النذر كفارة يَمين**»، وما كفَّارة اليمين؟ إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة، أنت مُخيَّر بين هذه الأمور الثلاثة، تفعل واحدًا منها.

ما عندي قدرة لم أجد؟ فصيام ثلاثة أيام، يصوم ثلاثة أيام إذا كان غير قادر على الأمور الثلاثة التي سلفَت.

الحال الثانية: أن ينذر أمرًا مُباحًا، يقول: (لله عليَّ أن أركب دابتي، نذرٌ علي أن أذهب إلى السوق)، الذهاب إلى السوق ما حكمه؟ مُباح، إذًا الحكم هنا أنَّه يُخيَّر بين الوفاء بالنذر، أو أن يُكفِّر كفارة يمين، نقول له: اذهب إلى السوق إن شئت، وإن شئت أن لا تذهب فعليك كفَّارة يمين.

الحالة الثالثة: أن ينذر أمرًا مكروهًا، يقول: (نذرٌ عليَّ مثلًا أن أُطلِّق)، الأصل في الطلاق

أنَّه مكروه، نقول: هو مخيَّر بين الأمرين أيضًا، والمُستحب في حقِّه أن يُكفِّر ولا يفعل الشيء المكروه.

الحال الرابعة: أن ينذر أمرًا مُحرَّمًا، يقول -عياذًا بالله-: (نذرٌ عليَّ أن أشرب خمرًا) فما الذي يجب؟ هل يجوز له أن يوفي بنذره؟ أو نقول هو مُخيَّر؟ لا هذا ولا هذا، **نقول**: لا يجوز له أن يُوفي بنذره، لقوله ﷺ: «**وَمَن نذَرَ أن يعصي الله فلا يَعصِه**».

هل تلزمه كفَّارة؟

المسألة خلافية بين أهل العلم، ذهب جمهور العلماء إلى أنَّه لا كفارة في نذرٍ محرَّم.

وذهب الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى وجوب الكفَّارة، واستدل الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بحديث خرَّجه الخمسة؛ أن النبي ﷺ قال: «**لا نذْر في معصية، وكفَّارَتُه كفَّارة يمين**»، والحديث فيه بحثٌ طويل من جهة ثبوته، والأقرب -والله تعالى أعلم- هو ثُبوته، وجاء أيضًا ما يشهد له في بعض الأحاديث الأخرى.

فالذي يظهر -والله أعلم- أن الراجح وعلى أقل الأقوال الأحوط، أنَّه لا يُوفي بنذره، وعليه كفَّارة يمين.

الحالة الخامسة: أن ينذر طاعة، كأن يقول: لله علي أن أتصدق بكذا وكذا، أو يكون الأمر مقيدًا بحال، يعني يكون النذر نَذرَ تعليق، يعني يقول: (إن نجحت في الامتحان فنذرٌ عليَّ كذا وكذا).

إذًا: نذر الطاعة له حالتان:

الحالة الأولى: أن ينذر طاعةً مُطلقًا، يقول هكذا بدون أن يُقيِّد بشيء: نذرٌ عليَّ أن أقوم

الليل، هذه الليلة، فما الواجب؟ الواجب: أن يوفي بنذره، وليس هناك مندوحة عن ذلك؛ «**مَن نذَرَ أن يُطيع الله فلْيُطعْه**»، كما قال ﷺ.

الحالة الثانية: أن يكون النذر مُعلَّقًا، علَّقه بشيء، كروج أبيه من السفر، أو نجاحه في الامتحان، أو نجاح عملية ابنه أو ما شاكل ذلك، فيقول: إن نجح ابني فنذرٌ لله عليَّ أن أتصدق بكذا وكذا، فما الحكم؟

نقول: إن وقع الشيء الذي علَّق النذر عليه، أصبح الوفاء بالنذر واجبًا، وليس هناك مجال للتراجع عنه.

أمَّا إن لم يحصل، كأن يكون الابن قد رسَب، فإنه لا يلزمه شيء، هو علَّق النذر على شيء، وهذا الذي علَّق عليه لم يحصل، وبالتالي ذمته بريئة.

وهاهُنا يا إخواني تنبيه: النبي ﷺ نهى عن النذر، وقال: «**إنَّه لا يأتي بِخيرٍ، وإنَّما يُستخرَجُ به مِن البخيلِ**»، فلا تنذر يا رعاك الله، بعض النَّاس يتحمس في حالٍ من الأحوال، ولا سيما النساء، لأجل أنه يظن أنه إن نذر كان هذا أقرب لحصول مطلوبه، وهذا ليس بصحيح، فنذرت أو لم تنذر فإنَّه لا أثر لهذا النذر في حصول مطلوبك؛ لأنَّ النبي ﷺ قال: «**إنَّه لا يأتي بِخيرٍ، وإنَّما يُستخرَجُ به مِن البخيلِ**»، فدلَّ هذا على أن النذر لا يُقدم ولا يُؤخِّر، وإنَّما أنت تُلزم نفسك بشيءٍ لم يلزمك، ولربما شقَّ عليك الأمر وتَعسَّر، وما أكثر ما يقع ذلك.

بعضُ النَّاس يتصل، وبعض النساء تسأل، إحداهنَّ تقول: نذرت أن أقوم الليل كل ليلة، ثلث الليل كل ليلة، إلى أن أموت إن حصل شيءٌ معين، وحصل هذا الشيء المعين، ما الواجب؟

الواجب: أن تَفِي، ولا هناك مجال آخر، متى ما كانت قادرة على القيام، فإنَّه يجب عليها أن توفي بهذا النذر.

أخرى تقول: نذرتُ أن أصوم يومًا وأفطر يومًا إلى أن أموت، إن حصل كذا وكذا، وحصل، ما الواجب؟ الواجب عليها أن توفي، فصامت الأسبوع الأول والثاني، والشهر الأول والثاني، ثم أصبح الأمر ثقيلًا عليها، ذهبتْ تبحث عن فتوى مِن هنا أو هناك تتخلص به من هذا الأمر، **والجواب**: أنه لا مخرج؛ لأن الحديث صريح: «**من نذَرَ أن يُطيع الله، فليُطِعْه**»، الله عَزَّوَجَلَّ ما أوجب عليك يا عبد الله هذا الأمر، أنت الذي أوجبت على نفسك، فيجب عليك أن تتحمل مسؤولية ما فعلتَ.

إذًا: الأَولى بك، والأحرى بك، والذي ينبغي عليك، ألا تَلِج هذا الباب؛ لأنَّك إن نذرت فلَم تَفِ فإنَّك عاصٍ لله عَزَّوَجَلَّ، المسألة مسألة وجوب وحرمة، مسألة إثم وطاعة، إن أوفيت بنذرك أنت مثاب، وإن لم توفِ مع القدرة فإنَّك آثم، عرَّضت نفسك للإثم والعقوبة والنار عافاني الله وإياك، فحذارِ من النذر، لا تنذر، ادع الله عَزَّوَجَلَّ، اطلب من ربك فهو كريم، ولا تلجأ إلى النذر، فإنَّه لا يُقدِّم ولا يؤخر.

الأسئلة

السُؤَال: هل إذا أفطر المسافر، كُتِب له أجران، بخلاف ما إذا سافر وهو صائم؟

الجواب: لا أدري ماذا يعني بالأجرين، هو إن سافر فأفطر، فإنَّه يكون قد ترخص برُخصة الله تبارك وتعالى، ويجب عليه أن يقضي هذا اليوم، وإن صام فإن ذمته تكون بريئة من ذلك، وهو مُثابٌ على صيامه، أمَّا كون الأجرين له، فلا أدري ما وجه ذلك! والله أعلم.

السُؤَال: ما الفرق بين الوُدّ والمحبة؟

الجواب: الوُدّ: صَفْو المحبة، أرفع ما يكون من المحبة وصفوها الود، ومراتب المحبة ذكرها العلماء في كتب اللغة، وكتب جوامع المصطلحات، ولكن الخلاصة أن الود هو صَفْو المحبة.

السُؤَال: نسمع من بعض الإخوة أنهم يقولون: لا تُشدِّد على نفسك في العبادة وطلب العلم، فإنَّك تنتكس إذا شددت على نفسك، هل هذا صحيح؟

الجواب: أن الإنسان يجب عليه أن يتقي الله عَزَّوَجَلَّ، فيفعل المشروع على الوجه المشروع، يعني يفعل العبادة وِفق سنة النبي ﷺ، ومن فعل العبادة وِفق السنة، فإن يكون على حال الوسطية، بعيدًا عن الإفراط والتفريط، أمَّا مجاوزة الحد الشرعي إلى التشديد والتنطُّع، فإن هذا نَعَم سببٌ من أسباب الانتكاس، وترك الطاعة، فعلى الإنسان أن يرفق بنفسه، والقصد تصل بإذن الله عَزَّوَجَلَّ إلى ما تريد، ولا سيما في باب طلب العلم، طالب العلم الذي يبدأ طلب العلم بنَهْمة شديدة، بحيث أنَّه يستفرغ طاقته كلها، ووقته كله في طلب العلم على حساب أمورٍ ينبغي أن يُراعيها في نفسه، وفي أهله، وفي غير ذلك من

مصالح دنياه، فبالتالي فإنَّه لن يستطيع أن يستمر على ذلك، والمشكلة بعض طلبة العلم المُبتدئين العجلة، أنهم يُريدون أن يصلوا إلى أعلى درجات العلم في أقصر وقتٍ ممكن، وهذا أمر من الصعوبة بمكان أن يحصل، فبالتالي ترفق بنفسك، وخذ الأمور على الهُوينة، العلم يأتي شيئًا فشيئًا، ولا بد من مُرور الأيام والليالي، العلم إنَّما يؤخذ على مر الأيام والليالي.

اليوم علمٌ وغدًا مثله — من نُخب العلم التي تُلتَقط
يحصل المرء بها حكمةً — إنما السيل اجتماع النُّقط

فالمُنبَت لا أرضًا قطعَ، ولا ظهرًا أبقى.

السُؤَال: ما نقله ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعريف التوكل عن بعضهم، في كتابه «مدارج السالكين»، أنه اضطرابٌ بلا سكون، وسكونٌ بلا اضطراب؟

الجواب: بيَّنتُ هذا في درس أمس، وقلت: إن المقصود اضطراب بالجوارح، بلا سكون، يعني يجتهد اجتهادًا لا تكاسل فيه، مع سكون بالقلب بلا اضطراب، لا يحصل هناك اضطرابٌ بقلبه، وشكٌ في قلبه، أو تنازعٌ في نفسه، إنَّما يكون مُطمئنًا ساكنًا واثقًا بربه جل وعلا، فهذا هو المقصود.

السُؤَال: كيف يُتقن طالب العلم علم العقيدة؟

الجوَاب: هذا موضوعٌ طويل، وعلم العقيدة من العلوم الواسعة، التي ينبغي على الإنسان أن يأخذها على مرحلة واسعة من الوقت، إذا أراد أن يُبرِّز في هذا العلم، يعني ليس من العلوم المختصرة التي تُؤخذ في وقتٍ وجيز، ولكن أنا أقصد بهذا مَن أراد التمكن، أمَّا من أراد الشيء الذي يجب عليه، فإن الأمر أهون من ذلك وأسهل، لا شك، لكن من أراد

أن يكون طالب علمٍ مُتمَّكنًا في علم الاعتقاد، فإنَّه يحتاج إلى وقتٍ طويل.

العلم بصورة عامة، أيّ علمٍ من العلوم تحتاج أن تمشي فيه من خلال أربع طُرق مُتوازية:

أولًا: الحفظ، لا بد أن يكون هناك متونٌ تُحفظ، طالب علم لا يحفظ طالب علمٍ ناقص.

ثانيًا: الأَخْذ عن الأشياخ، يعني حضور مجالس العلم، تأخذ عن المشايخ، عن العلماء مشافهة، لا بد من متون تُدرس على أهل العلم.

ثالثًا: القراءة، أن تجرد الكتب، هناك كتب في أيّ تخصص، لابد لطالب العلم إذا أراد إتقان هذا الفنِّ، أن يقرأها.

رابعًا: وهي مرحلة متقدمة (البحث)، يعني يخصص لنفسه وقتًا يحاول أن يبحث فيه في بعض المسائل، فإنَّه يُعطي نفسه دَرَبَة على اقتناص المعلومة، واستعمال القلم، وهذا مهمٌ لطالب العلم، أنا أقول يبحث ولا يقول يطبع، مسألة النشر مسألة أخرى، ولها وقتها، لكن يكتب ويبحث ويجعل البحث عنده، لا يتعجل بنشره.

مَن مشى في العلوم بهذه الطريقة، وأعانه الله عَزَّوَجَلَّ بأستاذ أو أخ أكبر يُراعيه، ويُتابعه، ويُنبِّهه على ما الذي يقرأ، وما الذي لا يقرأ، وما الكتاب المناسب، وما الطبعة المناسبة، وما المتن الذي يبدأ به قبل الآخر؟ وهكذا، ووَفَّقه الله عَزَّوَجَلَّ إلى هِمَّة قوية، وأخذ الوقت الذي ينبغي عليه أَخْذه، فإنه يُبشِر بتوفيق الله سبحانه إلى أنه سوف يصل إلى مُبتغاه.

السُؤَال: لماذا أنكر النبي ﷺ على الذين استغاثوا به ﷺ في شأن المنافق؟

الجواب: لفظ الاستغاثة في ذاك المقام، كان يحتاج من النبي ﷺ أن يُنبّه عليه، ولذا نبَّه

ﷺ، وهو من تعليم أصحابه سَدَّ الذرائع إلى الشرك؛ لأن النفوس ربما تلتفت إلى هذه المخلوق، فالنبي ﷺ حينما استغاث به الصحابة كان حيًا حاضرًا قادرًا، هو قادر على أن يدفع أذى ذاك المنافق، ولكن هو من النبي ﷺ تعليمٌ لأصحابه على التأدب مع الله عَزَّوَجَلَّ أولًا، وحرصًا على سد ذرائع الشرك، وأن تلتفت القلوب إلى غير الله تبارك وتعالى، فلفظ الاستغاثة لفظٌ فيه شيء من التطلّع إلى هذا الذي يُستغاث به، فلأجل هذا وجَّه النبي ﷺ إلى ترك هذا اللفظ في ذلك المقام.

السُؤَال: يسأل عن أُناس يذبحون لغير الله عَزَّوَجَلَّ، ما الذي ينبغي أن يُفعل؟

الجواب: الواجب إذا كانوا أحياء، أن تتقي الله عَزَّوَجَلَّ وتقوم بما أوجبه عليك من النصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأمَّا إن كانوا قد ماتوا، فيُفوَّض أمرهم إلى الله تبارك وتعالى، الله عَزَّوَجَلَّ حكَم عدْل، لا يظلم أحدًا تبارك وتعالى.

السُؤَال: الذبح باسم الله لغرض إصلاح ذات البين؟

الجوَاب: يعني ثَمَّة شخصان أو قبيلتان متخاصمتان، فهو يدعوهم على وليمة لأجل أن يجلسوا ويتصالحوا، مثل هذا لا حرج فيه، وهو داخل في الحالة الخامسة؛ أن يذبح باسم الله لغرضٍ مُباح، أو لغرضٍ ممدوح، فإن هذا لا حرج فيه إن شاء الله.

السُؤَال: أرجو الإعادة في قولكم: الذبح باسم الله لله؟

الجوَاب: المقصود أن يذبح باسم: أن يذكر اسم الله على الذبيحة، يُهِلّ باسم الله على الذبيحة، **فالأمر الثاني**: أن يذبح تقرُّبًا لله تبارك وتعالى، يذبح عَقيقته، يذبح هديه، يذبح يوم عيد الأضحى، وما ما شاكل ذلك من هذه العبادات التي جاءت الشريعة بالحث عليها، فإن

هذا هو المقصود بأن يذبح باسم لله، والله تعالى أعلم.

والحمد لله رب العالمين

قال المصنّف رَحِمَهُ اللهُ:

الأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ، وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ.

وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ، وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَلَّا إِلَهُ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨] وَمَعْنَاهَا: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ.

«لَا إِلَهَ» نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، «إِلَّا اللهُ» مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ. لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٨].

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

[آل ع

مران:٦٤].



قَالَ الشَّارِحِ وفَّقَهُ اللّه:

بعد أن ختم الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الكلام عن الأصل الأول من الأصول الثلاثة، ألا وهو: (معرفة العبد ربَّه)، انتقل إلى الأصل الثاني، ألا وهو (معرفة العبد دينه)، وهو الإسلام.

ودين الإسلام هو الدين الحق الذي لا يقبل الله جل وعلا من أحدٍ دينًا سواه بعد بعثة محمدٍ ﷺ، وإلى قيام الساعة، فكلُّ مَن بلغَتْه دعوة النبي ﷺ فإنَّه مُلزَم بطاعته والاستجابة لدعوته، ومن أبى واستكبر، فإنه من الكافرين الخاسرين عند الله جل وعلا، قال سبحانه: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [آل عمران:٨٥]، وهذا من الأمر المعلوم من الدين بالضرورة، فكل أصحاب الأديان الذين لم يلتزموا بدِين الإسلام الذي جاء به النبي محمدٍ ﷺ، فلا شك في كفرهم، وأنهم إن لقوا الله عَزَّوَجَلَّ على غير الملة الإسلامية، فإنَّهم خالدون مُخلَّدُون في النار، قال ﷺ كما «في صحيح مسلم»: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ**»، يعني: من أمة الدعوة، «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**».

وهذه قضيةٌ قطعية، يجب أن يعتقدها المسلمُ.

بيَّن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مطلع بيان الأصل الأول؛ ما هو دين الإسلام؟ فعرَّفه بتعريفٍ دقيق، مشتملٍ على ثلاث جُمَل.

الجملة الأولى: أن الإسلام هو (**الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ**)، هذا هو الأمر الأول.

ومعنى **ذلك**: هو والذل والإذعان والتألُّه لله وحده دون غيره.

والنَّاسُ في هذا المقام على ثلاثة أَضْرُب:

الضَّرب الأول: مَن أسلم لله وحده، فهؤلاء هم المُفلحون: ﴿**وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ**﴾ [الزمر:٥٤].

الضَّرب الثاني: مَن أسلَمَ لله ولغيره، فهؤلاء هم المشركون، وحال المسلم الموحد والمُشرك ضرب الله عَزَّوَجَلَّ له مثلًا: ﴿**ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا**﴾ [الزمر:٢٩]، هذا مثالٌ بيِّنٌ واضح بين مَن فيه شُركاء مُتشاكسون، يعني: مختلفون ومتشاجرون، عبْد لعدَّة سادة، وهم مع ذلك مختلفون، وهناك عبْد آخر هو سلَمٌ لرجل، يعني: خالصٌ لرجل، فلا ينقاد إلا له، ولا يستجيب إلا إليه، ولا يأتمر إلا بأمره، فهذا مثل الموحد، ومثل المشرك.

الضَّرب الثالث: مَن استكبر عن الاستسلام لله عَزَّوَجَلَّ، وهؤلاء بين ممتنعٍ وبين منازعٍ لله عَزَّوَجَلَّ.

أمَّا الممتنع، فهو الذي لم يتألَّه لله قط، وهؤلاء كالملاحدة وأضرابهم.

وأمَّا المُنازِع لربه جل وعلا، فإنَّه لم يُسلِم لله عَزَّوَجَلَّ، بمعنى: أنَّه نازع الله تبارك وتعالى في أمره، وفي قدَره، وكذلك نازع الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى فيما أمر الله جل وعلا به، فهو يُنازع في أمْر الله، بزعم أن الأمر منافٍ للحكمة، ويُنازع في قدر الله عَزَّوَجَلَّ بدعوى أن قدر الله عَزَّوَجَلَّ مُنافٍ للعدل، فلا شك أنَّ هذا مِن الذين استكبروا عن الاستسلام لله تبارك وتعالى، فمَن نازع الله عَزَّوَجَلَّ وزعَم أن أمره مخالفٌ للحكمة، أو أنَّ قدره مخالف للعدل، وأبى أن يكون مُنقادًا لله تبارك وتعالى، فلا شك أنَّه كافرٌ بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

إذًا: أصحاب النجاة من هذه الأصناف الثلاثة، هو الصنف الأول لا غير.

قوله: (**وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ**).

الانقياد لله جل وعلا بالطاعة، **بمعنى**: أنَّه يمتثل ما أمر الله تبارك وتعالى به، يَستجيب لأمر الله عَزَّوَجَلَّ، يفعل ما أُمِرَ وينتهي عمَّا نُهِي عنه، **وهذا يستلزم أمرين**:

الأول: أن يلتزم جميع أحكام الله عَزَّوَجَلَّ، **ومعنى (يلتزم)** أي: أنَّه يعتقد أنَّه مُخاطَب، وأنَّه مُلزَم، وأنَّه يجب عليه وجوبًا أن يستجيب لأحكام الله تبارك وتعالى، وإن قصَّر في العمل، لكنَّه يعتقد هذا الاعتقاد، وهو شيءٌ لا مندوحة عنه للمسلم، يجب أن يعتقد أنَّه مُلزم ومأمور، ولابد عليه أن يفعل ما أمر الله تبارك وتعالى.

الأمر الثاني: لابد أن تنبعث جوارحه وقلبه إلى طاعة الله عَزَّوَجَلَّ في الجُملة، يعني: لا بد أن يحصل منه طاعة بقلبه، وبجَوارحه أيضًا، فإنَّ ذلك ثمرة الاستجابة لله وللرسول ﷺ، قال جل وعلا: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ**﴾ [النساء:٦٤]، فمن لم يُطِع الله ولا رسوله ﷺ فإنَّه ما دان بدين الإسلام، الذي ما استجاب لله البتَّة، ولا فعل ما أمر الله عَزَّوَجَلَّ مما أوجبه نبيه ﷺ، فيما بلَّغه عن الله في الكتاب والسنة، لم يفعل ما أمر الله عَزَّوَجَلَّ البتة، فإنَّ هذا لا شك أنَّه لم يحصل منه الانقياد لله بالطاعة، وهذا أمرٌ لا بد منه، وبالتالي فيكون ممتنعًا متوليًا، ﴿**وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ**﴾ [النور:٤٧]، هؤلاء أَتَوا بالشهادة، وقالوا آمنَّا، لكنَّهم تولوا عن طاعة الله تبارك وتعالى، وبالتالي فإنَّه لا حظ لهم في الإسلام؛ لأنَّه لم يحصل منهم الانقياد لله جل وعلا بالطاعة.

أمَّا الذي يفعل بعض الأوامر، ويترك بعضًا، فهذا مُقصِّر، ولكن حصل منه الانقياد في الجُملة، لذا فهو في حكم أهل العلم (مسلم).

الأمر الثالث: قال: (**وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ**)، هذا هو اللفظ الصحيح في النُسخ المعتمدة، وأمَّا النُسخة التي فيها: (والخلوص من الشرك)، فإنَّها مخالفة للنسخة الصحيحة، الصواب: (**وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ**)، فمُجرد الخلوص لا يكفي، الخلوص يعني: الترك، وترك الشرك فحسب لا يكفي، بل لا بد من براءة، ومعنى هذا -أعني: (**وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ**)-: أن يعتقد بطلان عبادة غير الله، ويُبغضها، ويُكفِّر أهلها، ويُعاديهم في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لابد أن يعتقد إن كان مسلمًا، لا بد أن يعتقد بطلان عبادة غير الله جل وعلا، فإن قال: أنا أشك، هل عبادة الشمس أو القمر أو عيسى عليه السلام ربما تكون صوابًا، وربما تكون خاطئة، نقول: هذا ما دخل في دين الإسلام، بل لابد أن يعتقد أن كل عبادةٍ لغير الله عَزَّوَجَلَّ، فهي باطلة، لابد أن يبغضها، فلو أحبَّها فإنَّه ليس بمسلم، لو قال: أنا أُحب هذا الفعل، وهو السجود للصنم، أو السجود للصليب، فإننا نقول: هذا ليس بمُسلِم.

ولابد أيضًا أن يعتقد كفرهم، لابد أن يعتقد كفر هؤلاء الكفار الذين عبدوا غير الله تبارك وتعالى؛ لأن هذا حكم الله عَزَّوَجَلَّ، وعليه أن يُصدِّق بحُكم الله.

ولابد أن يُبغضهم ويُعاديهم في الله عَزَّوَجَلَّ، هذه عقيدةٌ قلبيةٌ لابد منها، قال جل وعلا: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ**﴾ [الممتحنة:٤]، **فهذا من لوازم الشهادة لله** عَزَّوَجَلَّ **بالتوحيد**، وهو أنَّه يبرأ إلى الله تبارك وتعالى من كل دِين سوى دين الإسلام، ويبغض ويتبرأ من أهله، وإلا فإن لم يُكفِّر مَن كفَّره الله ورسوله، أو لم يُبغض عبادة غير الله عَزَّوَجَلَّ، فإنَّه لا حظّ له في الإسلام، هذه كلها قضايا عقدية.

أمَّا المعاملة فشأنٌ آخر، وقد سبق الحديث عن هذا في درسٍ ماضٍ، وقلنا: إن المعاملة حكمها حُكم آخر، فإنَّ معاملة غير المسلم تختلف بحسب الحال، فالمُحارب له تعامل، وأمَّا من لم يكن مُحاربًا، بل كان مُسالمًا لأهل الإسلام، فإنَّ له حكمًا آخر، فإنَّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة:٨].

هذا هو التعريف الذي ذكره الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لدين الإسلام، وهو تعريف مَتين، جمَع الأمور المهمة التي بها يكون الإنسان مُسلمًا.

ثمَّ إن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عطَف على هذا بيان مراتب الدين، ولاحظ أن هذه المراتب هي: (والإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ)، وقد سبَق ذكر الإسلام، بمعنى: أن الإسلام يُطلق باعتبارين:

يطلق باصطلاحٍ عام، وهو بمعنى الدين، الدين كله.

ويُطلق باصطلاحٍ خاص، فيكون قسيمًا للإيمان والإحسان، يعني يُطلق ويُراد به الدين كله، ويُطلق ويُراد به مرتبةٌ من مراتب الدين الثلاث، أَلَا وهي: (الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ).

بدَأَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذكر المرتبة الأولى، أَلَا وهي (مرتبة الإسلام)، وهذا الإسلام الذي هو المرتبة الأولى، والدرجة الأولى في الدين، وهي التي يدخلها الإنسان أول ما يدخل في دين الإسلام، فإن هذا الإسلام مبنيٌ على أركانٍ خمسة، جاء بيانها في حديث ابن عمر رضي الله عنهما كما في الصحيحين، عنه ﷺ أنَّه قال: «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ

وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»، هذه هي أركان الإسلام، هذه هي دعائم الإسلام.

وقد جاء عند محمد بن نصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما خرَّجه: «**بُنِي الإسلامُ على خَمْسَة دَعَائِم**»، إذًا: هذه دعائم الإسلام، التي بها قيام هذا الدين.

وسيأتي البحث في كل ركنٍ من هذه الأركان.

بدأ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان الركن الأول، ألا وهو شهادة أن لا إله إلا الله.

قوله: (**فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** [آل عمران:١٨]).

بَدَأَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما بأوّل ما يُبدأ به، ألا وهو شهادة التوحيد، هذه الشهادة العظيمة هي أحسن الكلام، وأعظم المعاني، وهي الدين كله، أصله وفرعه، وهي التي لأجلها خلق الله العباد، وهي التي لأجلها خلق الله الجنة والنار، وهي التي لأجلها أُنزلت الكتب، وشُرعت الشرائع، وهي لأجلها انقسم النَّاس إلى أهل سعادة وشقاوة، هذه الكلمة هي مفتاح الإسلام، ومفتاح دار السلام، وعليها يكون السؤال في القبر ويوم القيامة، هذه الكلمة عليها مدار النجاة والخسارة، يكفي أنها شهادةٌ عظيمة، شَهد الله عَزَّوَجَلَّ بها لنفسه، (**﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾**)، تأمَّل -يا رعاك الله- هذه شهادةٌ من أعظم شاهد على أعظم مشهودٍ عليه، هذه أعظم شهادة من أعظم شاهدٍ على أعظم مشهودٍ عليه، أَلا وهي (لا إله إلا الله).

شهادة أن لا إله إلا الله، ما معنى كلمة شهادة؟

لاحظ أن المسلم إذا دخل في دين الإسلام، فإنَّه يقول: (أشهد أن لا إله إلا الله)، إذا صلى

فتشهد، إذا أذَّن للصلاة، في غير ذلك من الأعمال التعبدية، فإنَّه يبدأ ويصدر هذه الكلمة الطيبة بقوله: أشهد، فما معنى قولنا: أشهد؟

(أشهد) يعني: أنطق بما أعلم وأتيقن.

إذًا: انتبه! الشهادة تعني ثلاثة أشياء، **أولًا**: (أَنطِق)، فمن كان يعتقد في قلبه فقط أنَّه لا إله إلا الله، لكنَّه ما نطق، هذا ما أتى بلا إله إلا الله، ولا تكون شهادة إلا بالنطق، وهذا من الأمور المُجمَع عليها بين المسلمين، أنَّ من اعتقد أن لا إله إلا الله، لكن ما نطق، مع عدم العذر، بمعنى: لا يكون أَبكَم لا يتكلم، وإنَّما هو قادرٌ على النطق، ومع ذلك امتنع عن النطق بلا إله إلا الله، فإنَّه لا يكون مُسلمًا باتفاق المسلمين.

ثانيًا: لابد أيضًا بأن يكون عالمًا بما يشهد به، لا يمكن أن يكون الجاهل شاهدًا، بل لابد أن يكون عالمًا بالشيء الذي نطق به.

ثالثًا: لابد أن يكون متيَقِنًا به، فإن كان شاكًا يقول: أنا أقول لا إله إلا الله، لكن في نفسي شك، ربما يكون هناك إلهٌ مع الله، فنقول: هذا ما أتى بلا إله إلا الله.

إذًا: (أشهد)، يعني: أنطق بما أعلم وأتيقَّن، هذا معنى شهادة أن لا إله إلا الله.

إذًا: لا بد أن يجتمع فيها الأمور الثلاثة.

هذه الكلمة العظيمة ينبغي على كل مسلم وجوبًا عينِيًّا، أن يعتني بفَهْمِها وفِقْهِها، ومعرفة كل جوانبها، أن يعرف معناها، وأن يعرف أركانها، وأن يعرف شروطها، وأن يعرف نواقضها؛ لأنَّها أهمّ قضية في حياته، فأيّ شيءٍ يعلم من كان يجهل هذه الكلمة العظيمة، إذًا حَريّ بكل مسلم أن يكون مُهتمًّا غاية الاهتمام بفهم هذه الكلمة، وفقهها غاية الفقه.

الفهم الصحيح لهذه الكلمة العظيمة، يَنبَنِي على حُسن الفِهم لأمرين:

أولًا: معنى كلمة (إله).

ثانيًا: جواب لا المُقدَّر.

أولًا: تعلم معنى كلمة (إله)، فإن الخطأ في هذا الأمر ليس خطأً يسيرًا، بل هذا الخطأ كان سببًا في انحراف كثير من النَّاس عن التوحيد؛ عدم فهْم كلمة (إله) ومعناها في ضوء لغة العرب التي جاء بها كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ، أوقع في خطأ كبير، (إله): (فِعَال)، بمعنى: مفعول، (إله) بمعنى: مألوه، يعني: معبود، وهذا الذي -كما تعلَّمنا سابقًا- لا تعرف العربُ في لُغتها غيره، (إله) بمعنى: معبود.

وقد أخطأ من جعل هذه الكلمة دالةً على معنىً آخر؛ بعض النَّاس يقول: إله بمعنى: قادر على الاختراع، وبالتالي فيكون معنى (لا إله إلا الله): لا قادر على الاختراع إلا الله، ولا شك أن هذا المعنى باطل، ومن اعتقد هذا المعنى ولم يتجاوزه إلى تحقيق العبودية لله عَزَّوَجَلَّ وحده، فإنَّه ما فهِم الإسلام، ولا يكون قد أتى بلا إله إلا الله، فإنَّ هذا المعنى كان يعتقده أبو جهل وأبو لهب، كانوا يعتقدون أن الله هو القادر على الاختراع، يعني: هو الذي أوجد من العدم، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف:٨٧]، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥، إذًا: ليس هذا هو معنى (إله).

بعض النَّاس يقول: (إله) بمعنى: المستغني عمَّا سواه، المُفتقر إليه كل ما عداه، وبالتالي فيكون (لا إله إلا الله) تعني: لا مستغني عمَّا سواه، ولا مفتقِرًا إليه كلما عداه إلا الله، وهذا أيضًا قريبٌ من السابق، وليس هو معنى (إله)، وليس هذا الذي ذكروه هو معنى لا إله إلا الله،

ولو أنَّ النبي ﷺ قال للمشركين، قولوا: لا إله إلا الله، ومعناها: لا مستغنيًا عمَّا سواه إلى آخره، لقالوا: حُبًا وكرامة، لكنَّهم كانوا عربًا يفهمون لغة العرب، لمَّا قال لهم النبي ﷺ «**قولوا: لا إله إلا الله تُفلحوا**»، قالوا: أجعل الآلهة إلهًا لشيء عُجاب! إذًا: ليس هذا هو معنى لا إله إلا الله، (إله) بمعنى: معبود، إذًا (لا إله) يعني: لا معبود.

الأمر الثاني: هو خبر (لا) المُقدَّر.

في اللغة العربية (لا) التي هي بداية كلمة التوحيد، كلمة التوحيد مكوَّنة من أربعة أجزاء، أليس كذلك؟ (لا، إله، إلا، الله).

(لا) التي في البداية تُسمَّى (لا النافية للجنس العاملة عمل إنَّ)، هذه الـ (لا) يكثُر -وبعض العرب- يلتزم حذف الخبر إذا كان معلومًا، وهذا له نظائر في الكتاب والسنة: ﴿**قَالُوا لَا ضَيْرَ**﴾ [الشعراء:٥٠]، تقول: لا بأس، يعني: عليك، إذًا يكثر حذف الخبر، والخبر هاهنا محذوف؟ فما تقديره؟

قال بعض النَّاس: تقدير الخبر هنا: لا معبود موجودٌ إلا الله، ولا شك أن هذا غلط، لماذا؟ **لأنَّ هذا يلزم منه أحد أمرين**:

الأول: أن يكون كل شيء عُبِد فهو الله، ومعلومٌ أن الشمس عُبِدت والقمر عُبِد، والحيوانات عُبدت، والأصنام عُبدت، والأشجار عُبدت، فلو قلنا إن كل معبودٍ موجود هو الله، لكان هذا ذريعةً إلى القول بوحْدة الوجود، أو القول بالاتحاد، أو القول بالحُلول، ولا شك أن هذا من الكفر بالله تبارك وتعالى.

بعضُ النَّاس قال .. اللازم الثاني هو: أن يُنكر عبادة غير الله عَزَّوَجَلَّ، كأنَّ قائل هذا القول

يدَّعي أنَّه لم يُعبد شيء إلا الله، لا معبود موجود إلا الله، والواقع أن هناك معبودات غير الله وُجدت، بدليل أن المُشركين قد قالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ..﴾ [ص:٥] إذًا الآلهة موجودة، فكيف نقول إنه لا توجد آلهة؟

بعضُ النَّاس قالوا: إن تقدير الخبر هو: لنا، (لا معبود لنا إلا الله)، وهذا أيضًا تقديرٌ غير صواب، فإنَّه قد يُفهَم منه: أنَّه لا معبود لنا إلا الله، ويجوز أن يكون لغيرنا معبودٌ سواه، والواجبُ أن يكون الله عَزَّوَجَلَّ هو معبود جميع الإنس والجن، جميع الكائنات يجب أن تُسلِم لله وحده لا شريك له.

إذًا: هذا وذاك تقديران خاطئان.

والصواب الذي لا شك فيه هو: أن الخبر (بحق)، وإن شئت فقل: (حق)، يعني: لا معبود بحقٍ إلا الله، أو: لا معبود حقٌ إلا الله.

المعبود الحق هو الله وحده، وما سواه فإنَّه معبودٌ باطل.

وهذا المعنى قد عليه أدلةٌ كثيرة في كتاب الله، وفي سُنة رسوله ﷺ، بل هذا المعنى من أكثر ما يكون وضوحًا في النصوص: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ**﴾ [الحج:٦٢]، ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ**﴾ [لقمان:٣٠].

إذًا: (لا إله إلا الله) معناها الصواب: لا معبود بحقٍ إلا الله، أي: البَرَاءة من عبادة كل ما سِوى الله عَزَّوَجَلَّ، وإفراد الله تعالى بالعبادة.

يُوضِّحها تمام الإيضاح هذه الآية العظيمة التي أوردها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ**﴾ [الزخرف:٢٦-

٢٧])، فنَفهم مِن هذا: أن (لا إله إلا الله) مُشتملةٌ على قضيتين، وإن شئت فقل: مشتملةٌ على رُكنَين، من لم يَأتِ بهما اعتقادًا وقولًا وعملًا، فإنَّه ما أتى بلا إله إلا الله، لابد أن تنتبه لهذين الأمرين:

الأول: النفي.

والثاني: الإثبات.

النفي جاء في قولك: (لا إله)، والإثبات جاء في قولك: (إلا الله)، لابد من النفي والإثبات، لابد من التجريد والتفريد، لابد من التخلية والتحلية، لابد من اجتماع الأمرين، نفيٌ فحسْب ليس بتوحيد، وإثباتٌ فحسْب ليس بتوحيد، من قال: (لا إله)، ما أتى بالتوحيد؛ لأن هذا نفي، والنفي عدَم، وليس بشيء، من قال: (الله إله) هل دخل في الإسلام؟ لم يدخل في الإسلام؛ لأنَّ الإثبات وحده لا يمنع المشاركة.

متى يكون التوحيد توحيدًا؟ إذا حصل فيه اجتماع الأمرين: النفي والإثبات، تَبْرَأ من عبادة كل ما سِوى الله عَزَّوَجَلَّ، وتكفر بكل معبودٍ سوى الله عَزَّوَجَلَّ، وتُثبت العبادة لله سبحانه لا شريك له، ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ**﴾ [لقمان:٣٠].

تأمَّل معي في هذه النصوص: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ**﴾ [الإسراء:٢٣]، اشتملت هذه الآية على الجانبين، أين النفي؟ (أن لا تعبدوا)، أين الإثبات؟ (إلا إياه).

قال جل وعلا: ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**﴾ [البقرة:٢٥٦]، أين النفي؟ ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ**﴾، وأين الإثبات؟ ﴿**وَيُؤْمِنْ بِاللهِ**﴾.

قال جل وعلا: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف:٤٠]، أين النفي؟ ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا﴾، أين الإثبات؟ ﴿إِلَّا إِيَّاهُ﴾.

قال: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:٧٥-٧٧]، أين النفي؟ ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي﴾، وأين الإثبات؟ ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾.

وهكذا في أدلةٍ كثيرة تجد أنها قد جاءت مُفسِّرة لكلمة التوحيد غاية التفسير، لابد إذًا من أن تعتقد الأمرين، نفيٌ فحسب لا ينفع، وإثباتٌ فحسب أيضًا لا ينفع، بل لابد من نفيٍ وإثبات.

الأسئلة

السُؤَال: يقول: أنا أُؤْمِن وأنطق وأشهد أن لا إله إلا الله، ولكن تأتيني وساوس، أستعيذ بالله منها، فهل أنا آثم؟ لأنه أوقات يحصل الشك.

الجوَاب: هذه الوساوس تأتي لكثيرٍ من النَّاس، بل أَتَتْ لمن هم خيرٌ منك، ربما جاءت

بعض تلك الوساوس للصالحين، بل قد أتت لبعض أصحاب النبي ﷺ، وأبشِر بالخير، بُغضُك لها وكراهيتك إيَّاها دليلٌ على إيمانك، مَن كان يكره هذه الوساوس، ويجد في نفسه حرَجًا عظيمًا منها، فإنَّ هذا علامة الخير.

والواجب عليك يا رعاك الله أن تفعل ما جاءت الشريعة بالحث عليه، وقد ذكرنا هذا سابقًا ولا بأس بإعادته:

أولًا: يقول الإنسان: (آمنتُ بالله ورُسلِه).

ثانيًا: تقول: ﴿اللهُ أَحَدٌ (٢) اللهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١-٤].

ثالثا: تستعيذ بالله من الشيطان الرحيم.

رابعًا: تَتْفُل عن يسارك ثلاثًا.

خامسًا: تَنتهي، تُلزِم نفسك بالكَفّ عن الاسترسال في هذه الوساوس.

إن فعلتَ هذه الأمور الخمسة، فأبشر بالخير، سيذهب عنك هذا الأمر بتوفيق الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

السُؤَال: أيهما أصح أن يُقال: لا معبود بحقٍ إلا الله، أم لا معبود حق إلا الله؟

الجوَاب: كلاهما، إن قدَّرتها بكلمة مفردة أو قدَّرت بشبه جملة، كله صواب، وكله يحصل به المقصود.

السُؤَال: هذا يسأل عن الفرق بين الانقياد والقبول؟

الجواب: هذا سيأتي الكلام عنه مفصلًا إن شاء الله، غدًا نبدأ الكلام عن شروط لا إله إلا الله، وسنذكر هذين الشرطين: القبول، والانقياد، والفرق بينهما بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

السُّؤَال: بماذا يدخل المرء في أصل الإسلام؟

الجواب: لابد أن يجمع بين قول القلب وقول اللسان، وبين عمل القلب وعمل الجوارح، الإيمان إنَّما يحصل بهذه الأمور الأربعة، لابد من اجتماعها، لابد أن يحصل منه قول القلب الذي هو التصديق والإيقان بالله وبالرسول ﷺ، وبالإسلام، ولابد أيضًا من قول اللسان، يعني لا بد أن ينطق بلا إله إلا الله، عارفًا معناها، مستيقنًا بها، ولابد من عملٍ في القلب، لابد من قدْر من محبة الله، من خوفه، من رجائه، وما إلى هذه الأعمال، ولابد أيضًا من عملٍ بالجوارح، لابد أن تبعث جوارحه إلى طاعة الله عَزَّوَجَلَّ في الجملة، وسيأتي معنا البحث في قضية الصلاة إذا أتينا إلى ركن الصلاة، وأن الصواب أن الصلاة تركها كفرٌ أكبر، وبالتالي فإنه لابد أن يصلي، وعلى القول بعدم كفر تارك الصلاة -وهو قول لطائفةٍ من أهل العلم- فإنَّه لا بد أن يفعل شيئًا من الواجبات التي اختص بإيجابها محمد ﷺ.

السُّؤَال: بعض المسلمين يتشكك أو يُنكر بعض القواطع العقدية في الإسلام، كعذاب القبر أو عدم تكفير أهل الكتاب، وما إلى ذلك؟

الجوَاب: كما عَلمْنا لابد في الإسلام من الاستسلام لله جل وعلا، والاستسلام يعني: ترك المنازعة، لابد أن يترك الإنسان المنازعة لله عَزَّوَجَلَّ، في حُكمه، وفي قدَرِه وفي خبره، فمَن نازع الله تبارك وتعالى في حكمه، بمعنى: أنَّه أبى أن الانقياد لحكم الله عَزَّوَجَلَّ، ورأى أن حُكم

الله عَزَّوَجَلَّ مُنافٍ للحكمة، أو في القدر، ورأى أنَّه منافٍ للعدل، أو الخبر، رأى أنَّه منافٍ للعقل، فإنَّ هذا ما حصل منه الاستسلام، ومن أنكر ما ثبت في الشريعة بعد بلوغ الحجة له، فلا شك أنَّه ليس بمسلم، لكن الذي يحصل من هؤلاء الذين تَعنِيهم، هو أنَّه يحصل لهم شُبهة، يكون عندهم شُبهة، إمَّا من جهة ثبوت الدليل، أو من جهة دِلالة الدليل، ولا تنسى أنَّ كثيرًا من أهل الشرّ وأرباب البدع، يَبثّون الشُبه في المسلمين، والعامة تَتَلَقَّف وتتشكك بناءً على ما يَرِد عليها من هؤلاء، تسمع لهم، ترى لهم محاضرات أو مناظرات، تقرأ لهم شيئًا في شركة الإنترنت وما إلى ذلك، فيدخل التشكيك على كثيرٍ من العوام بسبب ذلك.

الذي ينبغي عليك -بارك الله فيك-: الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وبيان الحق، والسعي في اجْتثاث الشُّبه، هذا الذي ينبغي علينا جميعًا، فيُوضَّح بالدليل والبرهان، أنَّ هذه قضايا دلَّت عليها أدلة الكتاب والسنة، والتأويلات التي حُمِلت عليها تأويلاتٌ باطلة لا تصح، إذا بُيِّن هذا بأسلوبٍ حسن، وطريقة مقبولة، فإنَّه يُرجى إن شاء الله ممن شكَّ في هذه الأمور أن يرجع.

السُؤَال: هل نية الإحرام تجوز من المنزل أو الفندق، وفي هذه الحالة هل تُجدد النية عند الميقات؟

الجواب: مَن أحرم قبل الميقات، فإحرامه صحيح، على الصحيح من كلام أهل العلم، ولا حاجة إلى تجديد النية عند الميقات، لكنَّه خالف الأولى، خالف السنة، السنة أن يكون الإحرام من الميقات، «**هُنَّ لَهُنَّ، ولِمَن أتى عليهنَّ مِن غَير أَهْلِهِنَّ مِمَّن أراح الحجَّ والعمرةَ**»، والنبي ﷺ إنَّما أهَلَّ وأحرم ونوى في الميقات، وقال: «**خُذُوا عنِّي مَناسِكَكُم**»، لكن لك أن

تستعد وتتجهز، تغتسل وتلبس من الفندق؛ لأن هذا ربما يكون الأَرْفق في هذه الأوقات، نظرًا للزحام الذي ربما يكون في الميقات في دورات المياه، ولو أنَّك تجهزت في فندقك، أو في منزلك ثم إذا وصلت الميقات لبيت ونويت، فإنَّك تكون إن شاء قد أصبْت السنة.

السُؤَال: يسأل عن الأعمال الصالحة، كقراءة القرآن، والذكر، ونحو ذلك، في المسجد النبوي، أو المكي، هل تتضاعف كما في حالة الصلاة؟

الجواب: الدليل كما ذُكِر في درسٍ ماضٍ إنَّما جاء في الصلاة فحسب، وما سوى ذلك فإننا لا يمكن أن نثبت فيه المضاعفة إلا بدليل، نحن ما أثبتنا مضاعفة الصلاة إلا بدليلٍ عن النبي ﷺ، ومن ادَّعى مضاعفة غير ذلك فإنَّه مُطالَب بالدليل، لكن نقول: المسجد النبوي والمسجد الحرام أماكن وبقاع فاضلة، هُما أحب المساجد إلى الله تبارك وتعالى، هما أكثر المساجد فضلًا، وبالتالي فإنَّه يُرجى أن يكون هناك فضلٌ في الجُملة، لكن دون تَعيين أن هذا الفضل مُضاعف أو أن المُضاعف بكذا وكذا، لكن يُرجى إن شاء الله أن يكون ثَمَّة فضلٌ لطاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في هذا المسجد، والله تعالى أعلم.

السُؤَال: هل يجوز التعامل أو فتح حساب في بنكٍ رِبوي؟

الجَوَاب: الأصل هو أن على المسلم أن يجتنب التعامل مع هذه البنوك، فإنَّ تعاملك معها يعني تقويتها، بصورةٍ أو بأخرى، ومن يعرف أحوال البنوك فإنَّه يُدرك هذا بوضوح، المبلغ الذي تُودعه في البنك، فإنَّه يقوي هذا البنك الربوي، ولا شك أن الربا منكرٌ عظيم، وكبيرة من كبائر الذنوب، ومن فعل ذلك فلْيَأْذن بحربٍ من الله ورسوله، كما أخبر ربنا جل وعلا، وعليه: فلا يجوز وضع المال في بنكٍ ربوي، إلا عند الضرورة، **وذلك بثلاثة شروط**:

الشرط الأول: ألا يوجد بنك غير ربوي في البلد، فمتى ما وُجد بنكٌ غير ربوي فلا يجوز لك أن تُودِع مالك في بنكٍ ربوي.

الشرط الثاني: أن تكون تخشى من بقاء المال عندك على نفسك، أو على أهلك أو على المال، تخشى من أن يُسرق، أو تخشى من أن يحصل عليك اعتداء بسبب وجود هذا المال، لا سيما إذا كان مالًا كثيرًا.

الأمر الثالث: أن تُودِع هذا المال في حسابٍ جارٍ، وليس بحساب فوائد، لا يجوز لك أن تُودِع في حساب فوائد، ويوجد في هذا البنك حساب جارٍ، يعني بدون فوائد.

فإذا اجتمعت هذه الثلاثة الشروط، فإنَّه يُرجى إن شاء الله ألا يكون عليك حرج في هذا الأمر.

فإن قال قائل: لا يجوز في البنك حساب جارٍ، لابد أن تُودِع في حساب فوائد، فهل لي أن آخُذ الفائدة؟ ثم بعد ذلك أتصدق بها؟

الجواب: هو أنَّه لا يجوز لك أن تأخذ هذه الفائدة إن كان بإمكانك ذلك، وذلك لقول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ**﴾ [البقرة:٢٧٩]، أخْذُك لهذه الفائدة الربوية ظُلم، بنص كتاب الله، فلا يجوز لك ذلك، تأخذ مالك، وتقول هذا الفائدة لا أريدها.

فإن قال: البنك لا يمكن، ليس عندنا مجال لِأَن تترك هذا المال، لابد أن تأخذه؟

فإنَّنا نقول: هذه حالة ضرورة، تأخذ هذا المال، ثم بعد ذلك تدفعه إلى محتاج أو إلى شيءٍ فيه مصلحة من مصالح المسلمين، بنية التخلص منه، هذا الذي يظهر، والله تعالى

أعلم.

السُّؤَال: ما حُكم الذكر بتكرار اسم الجلالة (الله)، أو (لطيف لطيف)؟

الجواب: خيرُ الهدي هديُ محمد ﷺ، ولو كان هذا خيرًا لسَبَقَنا إليه النبي ﷺ، ولو كان هذا خيرًا لسبقنا أصحاب النبي ﷺ إليه، كل مَن عرَف سنة النبي ﷺ وسيرة أصحابه، فإنَّه يقطع بأنَّ هذا لم يكن من سُنته ولا من سُنَّتهِم، بل هو أمرٌ مُحدثٌ مُبتدع، وبالتالي فإن هذا الفعل بدعة، لا يجوز، هؤلاء الذين يذكرون الله على هذه الصفة: (الله الله الله)، ربما ينتقل الأمر إلى (حالله حالله)، وربما يصبح (هو هو)، فهذا كله ليس عليه دليل، بل هو افْتِئاتٌ على شريعة الله تبارك وتعالى، والواجب على الإنسان أن يقف عند حدود ما أمر الله وما شرع رسوله ﷺ، فهذا الأمر مُحدَث ومُبتدَع، ولا يجوز للإنسان أن يفعله، «وشر الأمور مُحدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»، هذا ليس كلامي، إنَّما هذا كلام رسول الله ﷺ.

والحمد لله رب العالمين

فقد كنا توقفنا في درس أمس، عند الأدلة على معنى «لا إله إلا الله»، وقلنا إن «لا إله إلا الله» هذه الكلمة العظيمة مكونة من جزئين، يُسميان عند أهل العلم بالركنين، ألا وهما: (النفي، والإثبات).

واستعرضنا بعضًا من الأدلة الذي دلَّت على هذا المعنى، قول الله جل وعلا: ﴿**فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ**﴾ [يونس:١٠٤]، هل دلّت على معنى «لا إله إلا الله»؟

أين النفي؟ ﴿**فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ**﴾، وأين الإثبات؟ ﴿**وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ**﴾.

في قول الله جل وعلا: ﴿**وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللهِ**﴾ [الزمر:١٧]، أين النفي والإثبات؟ ﴿**وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ نفي، والإثبات: ﴿**وَأَنَابُوا إِلَى اللهِ**﴾.

في قول الله جل وعلا: ﴿**اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾ [الأعراف:٦٥]، أين النفي والإثبات؟

﴿**اعْبُدُوا اللهَ**﴾ إثبات، ﴿**مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾ نفي.

أمَّا من سُنة النبي ﷺ، فعندنا الحديث العظيم الذي بيَّن أركان الإسلام، ألا وهو حديث ابن عمر رضي الله عنهما المخرَّج في الصحيحين: «**بُنِي الإسلامُ على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ..**»، إلى آخره، هذه الرواية معروفة.

جاءت رواية في صحيح مسلم، ألا وهي: «**بُنِي الإسلامُ على خمس: على أن يوحد الله ويُكفَر بما دونه**»، **إذًا** هي رواية صحيحة.

هذه الرواية تُفسِّر لنا معنى «لا إله إلا الله»، طيب أين النفي والإثبات؟

قوله: «على أن يُوَّحد الله» إثبات، والنفي: «ويُكفَر بما دونه».

أيضًا يدل على هذا قول النبي ﷺ لمَّا سأله عمرو بن عبسة رضي الله عنه: من أنت؟ قال: «**نبي**»، قال: وما نبي، قال: «**أرسلني الله**»، قال: بأيّ شيءٍ أرسلك؟ قال: «**بأن يُوحد الله، ولا يُشرك به**»، هذا أيضًا تفسيرٌ لـ لا إله إلا الله، يُوحد الله الإثبات، يقابله في لا إله إلا الله: (إلا الله)، و«لا يُشرك به» يقابل هذه الجملة في لا إله إلا الله: (لا إله).

إذًا: هذا هو معنى «**لا إله إلا الله**».

ولكن ينبغي عليك أن تعلم أن (لا إله إلا الله)، كلمةٌ لا تنفع صاحبها **إذا** نطق بها مجرَّدةً عن قُيودٍ ثقيلةٍ جاءت في النصوص، وإلا فلو كانت لا إله إلا الله تنفع بمجرد النطق بها، لنفعت المنافقين، أَلَم يكن المنافقون يقولون: لا إله إلا الله؟ كانوا يقولون: لا إله إلا الله، فهل نفعتْهم لا إله إلا الله؟ لم تنفعهم لا إله إلا الله، بل هم في الدَّرك الأسفل من النار، **والسبب**: أنهم ما أتوا بقُيودها وحقوقها، **إذًا** (لا إله إلا الله) لها قيودٌ وحقوق، وهي التي اصطلح العلماء على تسميتها بالشروط، يقولون: شروط لا إله إلا الله، وما وجه تسميتها شروطًا؟

وجه تسميتها بالشروط: هو أنها شروطٌ للانتفاع بها، ومعلومٌ أن الشرط عند الأصوليين: يلزم من عدمه العدم، ولا يلزم من وجوده من وجوده وجودٌ ولا عدمٌ لذاته.

إذًا: الشرط متا ما فُقِد فإنَّ هذا المشروط يصبح عدمًا، كالصلاة، الصلاة أقوال وأفعال، أرأيتم لو أنَّ إنسانًا صلى صلاةً خاشعة، قَنَت فيها لله عَزَّ وَجَلَّ، وأطال العبادة، وبكى فيها، أطال الركوع والسجود، وسبَّح الله عَزَّ وَجَلَّ طويلًا، ولكنَّه لم يكن متوضئًا، هل تنفعه هذه الصلاة؟ لا

تنفعه، الرَّجل صلى، والرجل كان خاشعًا، والرجل أمضى وقتًا طويلًا في هذه الصلاة، وتقولون إنها لا تنفعه! نَعَم لا تنفعه، ولا تبرأ ذِمّته بهذه الصلاة، لِمَ؟ لأنَّه فقَدَ شرط قبولها، شرطُ قبولها هو: الطهارة، وبالتالي فالله عَزَّوَجَلَّ لا يقبل صلاةً إلا بطهور.

كذلك لا إله إلا الله مثل الصلاة، لها شروط، من أتى بهذه الشروط، انتفع بلا إله إلا الله، وإذا لم يَأتِ بهذه الشروط أو ببعضها، أو بواحدٍ منها، ما انتفع بلا إله إلا الله.

اجتمع في جنازة زوجة الفرزدق، الفرزدق الشاعر الأموي المشهور، اجتمع في هذه الجنازة الحسنُ البصري والفرزدق، حتى قال الفرزدق: يقول النَّاس: اجتمع في هذه الجنازة خير النَّاس وشر النَّاس، فقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الذي هو سيدٌ من سادات التابعين، قال: «لستُ بخير النَّاس، ولستَ بشرِّهم»، ثم قال له: «ماذا أعددتَ لهذا اليوم؟»، فقال الفرزْدق: لا إله إلا الله مُنذ سبعين سنة، مُنذ سبعين سنة وأنا أُعِدّ لهذا اليوم يوم وفاتي، لا إله إلا الله، فقال الحسن رحمه الله: «نِعمَ العُدّة، ولكن للا إله إلا الله شروط، فإياك وقذْف المحصنة»، وفي رواية قال: «هذا العمود فأين الطُّنُب»، الطُّنُب: الحبل الذي تُشد به الخيمة، أنت أتيت بعمود الخيمة، لكن يبقى الحبال التي تُشد بها الخيمة.

وقال للحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعضُهم: يقولون إن من قال لا إله إلا الله، دخل الجنة، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَن قال: لا إله إلا الله، وأدَّى حقَّها وفرضها، دخل الجنة».

وقيل لوهب بن منبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ أُناسًا يقولون: إن لا إله إلا الله مفتاح الجنة، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نَعَم، هي مفتاح الجنة، ولكن كل مفتاحٍ له أسنان، فإن أتيت بمفتاحٍ له أسنان، فُتِح لك، وإلا لم يُفتح لك».

إذًا: لابد حتى تنتفع -يا رعاك الله- بلا إله إلا الله عند الله، أن تأتي بشروط لا إله إلا الله.

وقد توارد أهل العلم على أن لِلا إله إلا الله سبعة شروط، انتبه لها! فإن النَّاس يتفاوتون تفاوتًا عظيمًا في لا إله إلا الله، بحسب قيامهم بهذه الشروط، بعض النَّاس يقول لا إله إلا الله، ولا إله إلا الله في قلبه ضعيفة مريضة، وبعضهم يقول لا إله إلا الله، ولا إله إلا الله في قلبه قوية نشيطة، فإن لا إله إلا الله بالنسبة للإيمان كالروح بالنسبة للجسد، **إذا** كانت الروح قوية ونشيطة، وصحيحة، كان الجسد قويًا ونشيطًا وصحيحًا، **وإذا** كانت الروح ضعيفة، فإنَّ الجسد يكون ضعيفًا، أمَّا إذا ماتت الروح، فإنَّ الجسد يموت، **إذا** خرجت الروح من الجسد مات الجسد، كذلك لا إله إلا الله، بعض النَّاس ربما يقول: لا إله إلا الله، لكن لا إله إلا الله فيهم ميتة، لذا فإنَّهم لا ينتفعون بها، ولو ردَّدُوها عدد الأنفاس، ولو رفعوا بها صوتهم حتى أسمعوا جميعَ النَّاس، لا ينتفعون بها إلا باجتماع هذه الشروط السبعة.

وبشروطٍ سبعةٍ قد قُيِّدت ... وفي نصوص الشرع حقًّا ورَدَت
فإنَّه لم ينتفع قائلها ... بالنطق إلا حيث يستكملها

ما هي؟

العلمُ واليقينُ والقبولُ ... والانقيادُ فادْرِ ما أقولُ
والصدقُ والإخلاصُ والمحبةُ ... وفَّقك الله لِما أحبه

دَعُونا نأخذ هذه الشروط واحدةً واحدة، نتفقه في هذه الشروط، هذا الموضوع من أهمِّ الموضوعات التي ينبغي على المسلم أن يعتني بها.

جُمِعت هذه الشروط أيضًا في بيتٍ من النظم:

عِلْمٌ يقينٌ وإخلاصٌ مع ... محبةٍ وانقيادٍ والقبول لها

الشرط الأول: (العلم بمعنى لا إله إلا الله)، فلو نطق الإنسان بهذه الكلمة وهو لا يدري عن معناها، ولا يفهم منها شيئًا، فإنَّه لا ينتفع بلا إله إلا الله، وهذا شرطٌ بدَهِي، كيف يقوم بحق لا إله إلا الله، ويعمل بمقتضاها، ويجتنب نواقضها، وهو من لا يدري ما معنى لا إله إلا الله؟ إذًا هذا شرطٌ بَدَهِيٌ لا بد منه؛ أن يعلم معنى لا إله إلا الله، ﴿**فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وَأَنْ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**﴾ [هود:١٤]، يعني: واعلموا أن لا إله إلا الله، قال جل وعلا: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**﴾ [محمد:١٩]، قال جل وعلا: ﴿**إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [الزخرف:٨٦]، والحقُّ هاهُنا كما قال جماعةٌ كبيرةٌ من أهل التفسير: الحق هاهُنا هو لا إله إلا الله، فلا ينتفع بهذه الشهادة إلا من كان يعلم معناها.

لو تصوَّرنا إنسانًا أعجميًا لا يفهم لغة العرب، وقلنا له: رَدِّد معنا هذه الكلمة: لا إله، قال: لا إله، إلا الله، قال: إلا الله، وهو لا يفهم شيئًا من هذه الكلمة، هل دخل في الإسلام؟

ما دخل في الإسلام، لماذا؟ لأنَّه لم يعلم بمعناها، **إذًا** لابد أن يعلم بمعناها، مجرد النطق بها بلا فهمٍ لمعناها، فإنَّه لا يُعتبر شيئًا، ولا ينتفع به هذا الناطق بها.

الشرط الثاني: (اليقين بمعناها)، أن يكون الإنسان مستيقنًا بأنَّه لا إله إلا الله، يُقابل اليقين: (الشك والريب)، بمعنى: لو قال: لا إله إلا الله، وهو يعلم معناها، ولكن عنده شك وريب، اللهُ إله، ويمكن أن عيسى عليه السلام إلهًا، أنا لا أدري أشك، ربما مع الله إلهٌ آخر، أنا لا أجزم ولكن أشك، ربما يكون عيسى إله، ما رأيكم بهذا القائل؟ انتفع بلا إله إلا الله؟ ما انتفع بلا إله إلا الله، لابد أن يكون عنده يقينٌ راسخ بالمعنى الذي دلَّت عليه لا إله إلا الله، وهو النفي والإثبات، نفي الإلهية عمَّا سِوى الله، وإثباتها لله تعالى وحده، ويدل على هذا: قول الله

جل وعلا: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا**﴾ [الحجرات:١٥]، حصل عندهم إيمانٌ بيقين، حصل عندهم علمٌ بلا ريب، فإنَّ هذا هو الذي بلا إله إلا الله.

وأخبر النبي ﷺ، كما في «صحيح مسلم» أن: «**من قال: لا إله إلا الله مُستيقنًا بها قلبُه، دخل الجنة**»، إذًا اشترط النبي ﷺ لدخول الجنة، لمن قال: لا إله إلا الله، أن يكون قلبه مُستيقنًا بها.

الشرط الثالث: (الإخلاص)، وما معنى الإخلاص هنا؟ هل المقصود أن يعبد الله ولا يُشرك به؟ لا، هذا معنى هو لا إله إلا الله، ونحن نتحدث عن شروط لا إله إلا الله، **إذًا** نحن نبحث في إخلاصٍ خاص، وهو: أن يكون مُخلِصًا في نطقها، يقول لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه، لا يُريد شيئًا آخر.

أرأيتم لو أنَّ إنسانًا قال: لا إله إلا الله، وقصْده أن يُداهِن المسلمين لأجل أنَّه يريد مثلًا يتاجر مع المسلمين، فلا يطمئنون إليه إلا **إذا** كان مُسلمًا، قال: **إذًا** أنا أقول لا إله إلا الله، والقصد ليس هو أنَّه يدخل في الإسلام، وإنَّما القصد أنَّه يحصل على تجارة أو يحصل على دنيا، أو يحصل على زواج، وما شاكل ذلك، فما رأيكم دخل في الإسلام؟ لم يدخل في الإسلام، لابد أن يكون حال نطقه بلا إله إلا الله، يريد وجه الله تبارك وتعالى.

والدليل على هذا ما ثبت في «صحيح مسلم»، أن النبي ﷺ قال: «**فإنَّ الله حرَّمَ على النار مَن قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجهَ الله**»، إذًا لابد أن يكون الإنسان مُخلِصًا في قولها، أمَّا **إذا** كان يريد شيئًا من الدنيا، أو رياءً أو لأي غرضٍ من الأغراض، فإنَّه لا تنفعه لا إله إلا الله.

الأمر الرابع: (الصدق)، والمقصود بالصدق، أن يأتي بهذه الكلمة، وقد واطأ لسانُه قلْبَه،

لابد أن ينطق وهو صادق، **إذا** قال: لا إله إلا الله، تكون لا إله إلا الله بلسانه موافقةً لما في قلبه، بعكس حال أهل النفاق: ﴿**يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ**﴾ [آل عمران:١٦٧]، أمَّا أهل الإيمان فإنَّهم **إذا** نطقوا بلا إله إلا الله فإنَّهم يكونون صادقين، لسانُهم يوافق قلبهم.

إذًا: الصدق مُنافٍ للكذب، واليقين منافٍ للشك، والإخلاص منافٍ للشرك، حتى تفهم هذه الشروط افْهَم أضدادها، الإخلاص ينافي الشرك، إذًا الذي لم يخلص هذا مشرك، اليقينُ ينافيه الشك، لابد أن يكون مستيقنًا، والشك من حال أهل النفاق، كما قال جل وعلا عنهم: ﴿**وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ**﴾ [التوبة:٤٥].

ولا تنفعُ المرءَ الشهادةُ فاعْلَمَنْ **إذا** لم يكن مُستيقنًا ذا تَجَرُّد

لا تنفعه **إذا** لم يكن مستيقنًا ذا تجرد.

الأمر الرابع الذي قلنا هو: الصدق، الصدق ينافيه الكذب، وهذا أيضًا من حال أهل النفاق، فالمنافقون بين كاذب ومُرتاب، شاك، لا يجزم بعدم هذا المعنى في قلبه، وإنَّما يشك ويرتاب.

والصنف الآخر منهم يكذب، هو كاذب في قوله: لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله، قال جل وعلا: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون:١].

إذًا: الكذب من حال أهل النفاق، كما أن الشك من حال أهل النفاق، وقد يكون الواحد منهم جامعًا بين الكذب والرَّيب، تارةً يكون مُكذِّبًا، وتارةً يكون مُرتابًا.

الأمر الخامس: (المحبة)، والمقصود بالمحبة: أن يُحب المعنى الذي دلَّت عليه لا إله

إلا الله، يُحب هذه الكلمة ومعناها، يُحب أن يكون الله هو الإله فقط، ولا يُحب أن يكون غيره إلهًا، وهذه القضية هي لُبّ العبودية، وروحها، وعليها تأسيس المِلَّة كلها، فإنَّ حقيقة الألوهية ترجع إلى المحبة، فإنَّ الإله هو الذي تألَهُهُ القلوب، يعني: تحبه وتَذِلّ له.

إذًا: لابد أن يُحب ما دلّت عليه لا إله إلا الله، من النفي والإثبات، فلو كان مثلًا: لا يُحب أن يكون الله، هو يقولها ويستيقن بمعناها، لكن في قلبه شيءٌ من البغض لهذا المعنى، كان يُحب أن يكون ذاك الولي أو ذاك النبي إلهًا مع الله عَزَّوَجَلَّ، هو لا يعتقد ألوهيته، لكن لا يُحب أن يكون الله وحده هو الإله، فهل هذا نفعته لا إله إلا الله؟ لا تنفعه لا إله إلا الله.

ويكثر هذا -يا إخواني- في عبَّاد القبور، فلسان حالهم أو لسان مقالهم: يزعم أن غير الله عَزَّوَجَلَّ كان أولى وأحسن أن يكون إلهًا مع الله تبارك وتعالى، تدل أفعالهم وأقوالهم على هذا المعنى عند بعضهم -عافاني الله وإياكم من ذلك- وهذا ما انتفع بلا إله إلا الله، ورأسُ ذلك هو محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثمَّ محبة النبي ﷺ، رأس هذا المعنى الذي ذكرناه في هذا الشرط وأساسه، هو محبة الله ثم محبة النبي ﷺ، ولذا كانت محبتهما شرطًا في الإيمان، قال النبي ﷺ: «**لا يؤمنُ أحدُكم حتى أكونَ أَحَبَّ إليه من والده، وولده، والنَّاس أجمعين**»، إذًا لابد من أن يكون الإنسان مُحِبًا لله عَزَّوَجَلَّ، أعظم محبة على الإطلاق، ثم أن يُحب النبي ﷺ أعظم محبةٍ على الإطلاق إلا الله عَزَّوَجَلَّ، فمحبة الله في قلبه أعظم.

ومن فروع ذلك: أن يُحب أهل الإيمان، وأن يُبغض أهل الكفر.

وما الدين إلا الحب والبغض والولاء
كذاك البراء من كل غاوٍ ومعتدي

الدين من لوازمه الحب في الله والبغض في الله، **إذا** كنت تُحِب الله، **إذًا** أنت مُلزم بأن تُحِب من يُحبه الله، و**إذا** كنت تُحب الله فأنت مُلزمٌ بأن تُبغض من يُبغضه الله، الله عَزَّوَجَلَّ يُحب المؤمنين، **إذًا** لابد أن تُحب المؤمنين، والله عَزَّوَجَلَّ يُبغض الكافرين، **إذًا** عليك أن تُبغض الكافرين.

أيضًا من فروع هذا الشرط: أن تُحب ما جاء به النبي ﷺ، كل شيءٍ جاء في دين الله، ودلَّت عليه سُنة النبي ﷺ فإنَّك يجب عليك وجوبًا عينيًا أن تُحبه؛ لأنَّه من دين الله، وعليه فإن من الخطر العظيم أن يُبغض الإنسان شيئًا مما جاء به النبي ﷺ، ولو كان دقيقًا في نظره.

ما رأيكم في شخصٍ يُبغض السواك؟ يقول: هذا الشيء أنا أُبغضه، وهو يعلم أنَّه قد جاء به النبي محمدٌ ﷺ وحَثَّ عليه، وأمر به، وكان هو يستعمله، ما رأيكم؟ حقق هذا الشرط؟ ما حقق هذا الشرط، لذا: فإنَّ من نواقض الإسلام، أن يُبغض الإنسان شيئًا مما جاء به النبي ﷺ، ولو عمِلَ به.

تخيَّلوا معنى، **إذا** تصوَّرنا رجلين: رجلٌ يُحب سنة اللحية، إعفاء اللحية، ولكنَّه يحلقها ويقول إنَّها لكمال، وإنَّها لخير، وإنَّي أُحبها، وإنّي أتمنى أن أُعفِي لحيتي، ويتذرع، يقول الشيطان أو غير ذلك من الأسباب، ورجلٌ آخر: يُعفي لحيته، لكن يقول أنا أُبغض هذا المنظر، يُعفِي لحيته ولكن يُبغض هذه السنة، وآخر يحلق لحيته ولكن يُحب هذه السنة، ما الفرق بينهما؟

الذي حلق لحيته، ولكنَّه يُحبها ويُقدّرها، ويُعظّمها؛ لأنَّها سنة النبي ﷺ، مسلمٌ عاصٍ خالف سنة النبي ﷺ، بل خالف أمرًا واجبًا؛ لقول النبي ﷺ: «**اعْفُوا اللِّحى**»، والأمر يقتضي

الوجوب، والحديث في الصحيحين.

أمَّا الآخر ولو عمِلَ بهذا العمل، ولكن في قلبه بغضٌ، وربما يترجمه بشيءٍ من الاحتقار، فإنَّه -والعياذ بالله- لا حظ له في الإسلام.

لو قال: أنا أُبغِض الحجاب، لو قال: أنا أُبغِض الأذان، الأذان فيه إزعاج، أنا لا أُحبه، لو أنَّه احتقر رفع الثوب عن الإسبال، كما أمر النبي ﷺ بذلك، واحتقر هذه السنة وأبغضها، فإنَّه أيضًا لا حظ له في الإسلام.

فباتفاق العلماء أنَّ من أبغض شيئًا مما جاء به النبي ﷺ، ولو عمل به فقد كفر.

إذًا: المسألة في غاية الخطورة، فتنبه يا رعاك الله!

الشرط السادس: (القبول)، والمقصود بالقبول: أنَّه **إذا** كان يعلم معنى لا إله إلا الله، ويُحِب هذا المعنى، ويُصدق به، وقال: لا إله إلا الله مخلصًا، فإنَّ عليه أن يكون نُطقه بلا إله إلا الله بمثابة العهد، والميثاق على التزام أحكام الشرع التي جاء بها محمدٌ ﷺ.

بعض النَّاس -وهذا حصل في القديم وفي الحديث- يكون مُصدِّقًا ومستيقنًا أن النبي ﷺ صادق، وأنَّه رسولٌ من عند الله، وأنَّ الله وحده هو المعبود، ولكن لاستكبار أو لأَنَفة في نفسه، أو لسببٍ دنيوي، أو لغير ذلك، يمتنع من اتباع النبي ﷺ ومن الدخول في الإسلام، وربما يقول: لا إله إلا الله مُعجبًا بها، فهل تنفعه لا إله إلا الله؟ لا تنفعه لا إله إلا الله.

كثيرٌ من المستشرقين الذين درسوا الإسلام، من اليهود والنصارى، يعلمون أن هذا الدين حق، وأنَّ الله هو المعبود، وأن النبي ﷺ رسولٌ من عند الله، ولكن لسببٍ من الأسباب يمتنعون، وهذا أيضًا حاصلٌ في القديم، ألم يُخبر الله عَزَّ وَجَلَّ عن اليهود أنهم يعرفون النبي ﷺ

كما يعرفون أبناءهم؟ فهل نفعهم هذا التصديق؟ ما نفعهم.

أبو طالب عم النبي ﷺ، هل كان يعلم أن ابن أخيه ﷺ صادق في أنَّه رسول من عند الله؟ نعم، أليس هو القائل:

ولقد علمت بأن دين محمدٍ مِن خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبةٍ لوجدتني سمحًا بذاك مُبينًا

امتنع واستكبر عن اتباع النبي ﷺ خوف المذمة والعار، كيف يقول النَّاس: إنَّه غيَّر دين عبد المطلب، فامتنع من اتباع النبي ﷺ، فهل نفعه هذا التصديق؟ ما نفعه هذا التصديق.

إذًا: انتبه! ليس الإيمان مجرد تصديق، أو مجرد عِلم، أو مجرد معرفة، إنَّه شيءٌ وراء ذلك، إنَّه التزام ورضا، وقبول، وعهد على التزام أحكام الشريعة، يرضى بها ولا يُنازعها، ويعلم أنَّه لا يسعه الخروج عنها، أرأيت لو أنَّ إنسانًا قال: إنني لست مُلزمًا ولا مُخاطبًا بشيءٍ مما أنتم مخاطبون به، أو بعضهم، بعض النَّاس يقول: أنا الآن عبدتُ الله عبادة عظيمة حتى وصلت إلى درجة اليقين، فارتفعت عني التكاليف، فالصلاة أنتم تُؤمرون بها، أمَّا أنا لا تلزمني الصلاة، ما حكمه؟ ما نفعته لا إله إلا الله، هذا ليس له حظٌ في الإسلام.

من اعتقد أن أحدًا يسعه الخروج عن شريعة النبي ﷺ، فقد كفر، لا بد أن يعلم أنَّه مُلزم، ومُخاطب ومأمور، ومُذعِن، ولا يُنازع، ولا سعة له، ولا مجال له أن يخرج عن شريعة النبي ﷺ.

وينتقض هذا الشرط في حق رجلين:

الأول: هو الذي **إذا** جاءه خبر كذَّبه، مَن قال: إنَّ كلمة بل حرف من كتاب الله كذِب، اتَّهم اللهَ -عياذًا بالله- بالكذب، أو كذَّب النبي ﷺ في حديثٍ واحد، لو قال: أنا أؤمن بكل أحاديث

النبي ﷺ، وهي أُلوف مؤلفة، كلها أُصدق النبي ﷺ فيها، ولكن لا أُصدقه في حديثٍ واحد، فقط هذا الحديث لم يكن صادقًا فيه، وحاشاه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ما رأيكم؟

كافر، انتقض عنده شرط القبول، لا بد أن يُقابل الأخبار بالتصديق، ولابد أن يُقابل الأوامر بالقبول والالتزام، ويُضاد ذلك الاستكبار، يستكبر، ويعتقد أنَّه ليس مُلزمًا، ولا مُخاطبًا، وليس مأمورًا بهذا الأمر، يسعه أن يخرج عن الشريعة، التي جاء بها النبي ﷺ، ولو في أمرٍ واحد، فإنَّ هذا قد انتقض في حقِّه شرط القبول.

أضرب لك مثالًا: ما رأيكم في رَجلُين:

الأول: ما حج، مع قدرته، يقول: أنا مشغول بالدنيا وبالتجارة، وبالأولاد، ما عندي وقت، ولكن أعلم أني مقصِّر، وأنِّي يجب أن أحج، وأنِّي مُلزَم بالحج، وأنَّي إن لم أحج، فإنِّي عاصٍ، وربما **إذا** مت على هذا فالله عَزَّوَجَلَّ يُعاقبني، ولا يعفوا عني.

وشخصٌ آخر يقول: أنا لست مُخاطبًا أصلًا بالحج، أنا لست مُلزمًا بالحج، الحجّ عليك، أنا ما عليَّ حج، ما رأيكم في الرجلين؟

لاحِظ أن كليهما ما حجَّا، لكن الأول يُعتبر مسلم عاصٍ، والثاني كافر، لِمَ؟ لأنَّ انتقض في حقه شرط القبول، لابد أن يُقابل الأحكام بالقبول، لابد أن يُذعن، لابد أن يقبل، لابد أن يلتزم.

الشرط السابع والأخير: (الانقياد).

شخصٌ قال: لا إله إلا الله، عن علم ومحبة وصدق، والتزم بهذا الدين، أخبارًا وأحكامًا، فبقي عليه أن يقوم بالفعل بالإذعان والعمل، والدليل على هذا: قوله جل وعلا: ﴿**وَمَنْ يُسْلِمْ**

وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [لقمان:٢٢]، العروة الوثقى هي: لا إله إلا الله، كما فسَّرها العلماء، الذي أسلم وجهه، هذا أتى بلا إله إلا الله، لكن لابد من شيء آخر، وهو مُحسن، يعني انقاد بالفعل لأحكام الشريعة، انقاد بالإخلاص وترك التوحيد، والعمل بالشريعة في الجملة، انتبه! انقاد للإخلاص وترك الشرك، والعمل بالشريعة في الجملة، وبالتالي: فإن شرط الانقياد ينتقض في حق رَجلين، الأول: الذي قال: لا إله إلا الله، وأحبَّ وقبِلَ .. إلى آخره، ولكنَّه أشرك مع الله، دعا غير الله، ذبح لغير الله، نذر لغير الله، تعبَّد لغير الله بالطواف، ما حكمه؟ كافر، ما نفعتْه لا إله إلا الله، **والسبب** ما حصل منه الانقياد، لابد أن ينقاد بالتوحيد، نحن قد عَلمْنا تعريف الإسلام: الاستسلام لله بالتوحيد، فهذا ما حصل منه انقيادٌ للتوحيد، **إذًا** انتقض في حقه لا إله إلا الله.

الرّجل الثاني: هو الذي ما عمل لله عَزَّوَجَلَّ شيئًا البتَّة، قال: لا إله إلا الله، وجلس، تأتيه الأوامر تِلْو الأوامر، وهو ما يفعل شيئًا البتَّة، فهذا انتقض في حقه شرط الانقياد، الله جل وعلا يقول: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ﴾** [النساء:٦٤]، **إذًا** الدين لابد فيه من طاعة، لابد فيه من عمل، فمن لم يعمل، فإنَّه ما دَانَ لله عَزَّوَجَلَّ بدين، **إذًا** لابد من طاعة، ولابد من عمل.

وكاذبٌ من يقول: إن في قلبه إيمان ولكنَّه لا يعمل بجوارحه شيئًا، هذا كاذب قطعًا، **والدليل على هذا**: قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا وإن في الجسد مُضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله**»، **إذًا** الذي ما عمل شيئًا من الواجبات البتَّة، لا صلى ولا صام ولا حج، ولا زكَّى، ولا فعل شيئًا من الواجبات التي اختص بإيجابها محمدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنَّه ما أتى

بشرط الانقياد، هذا عند العلماء يُسمى «التوَلّي والإعراض»، ﴿**وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ**﴾ [النور:٤٧]، أَتَوا بالنطق يقولون: آمنا، أتو بالقول، لكنهم ما أتوا بالعمل، وبالتالي فإنَّه لا تنفعهم لا إله إلا الله.

إذًا: شرط الانقياد ينتقض في حق ر جلين:

الأول: المُشرك.

والثاني: المُتولِّي عن الطاعة.

وهنا سؤال يكثر، ما الفرق بين شرطي القبول والانقياد؟

أظنّ أنَّ في الشرح الماضي يتضح الفرق بين الشرطين؛ الفرق بينهما: أن القبول أصلٌ ثمرتُه الانقياد، العلاقة بينهما علاقة أصلٌ وفرع، القبول أصل، فرعه الانقياد، **إذا** التزم، وأذعن، فإنَّه يلزمه بعد ذلك أن يفعل بالفعل، أن يفعل بالجملة، و**إذا** كان يقصِّر في بعض الواجبات باستثناء الصلاة، فإنَّه مسلم، لكن حديثنا في من ترك تركًا كليًا، ترك الواجبات بالكلية، ما عمل لله عَزَّوَجَلَّ واجبًا بقلبه وجوارحه، فإنَّه ما ينفعه نطقه بلا إله إلا الله.

هذه الشروط السبعة هي شروط لا إله إلا الله، وهي التي كما قدَّمت يتفاوت النَّاس في انتفاعهم بلا إله إلا الله بحسب قيامهم بهذه الشروط، فالله الله بالعناية بها، وأن يَزِن الإنسان نفسه من حيث قيامه بهذه الشروط، فإنَّ الشأن فيها والله عظيم، نحن -يا إخواني- نتحدث عن أمرٍ عظيم، عن أصل الدين، عن حقيقة الإسلام والإيمان، عن الأمر الذي به نجاتك، ربما تكون مقصّرًا، وربما تكون جاهلًا، وربما تكون عاصيًا، ولكن أن يكون عندك تقصير في هذا الأمر العظيم وهو أصل الدين، فإنَّ الأمر و الله عاقبته وخيمة، هذه المسألة لا ينبغي أن

تتناولها بأطراف أصابعك، بل ينبغي عليك أن تعكف عليها بالفهم والدراسة والفقه، ومن ثَـمَّ بالعمل والتطبيق.

الأسئلة

السُّؤَال: هل يجوز صرف الزكاة في شراء دَيزل لقريةٍ أهلها فقراء، وفيها بعض الأغنياء، ويستفيد الجميع من توليد كهرباء القرية؟

الجَوَاب: الذي يظهر -والله أعلم- أن هذا التصرف غير صحيح، لا يصوغ لك أن تفعله، بل تُعطي المال إلى الفقير، ثم الفقير بعد ذلك يتصرف في هذا المال بحسب ما يُريد، فإنَّ هذا المال **إذا** دُفِع في الديزل، أولًا: لم يستلم الفقير المال، والمطلوب أن يُعطى مالًا في يده، والأمر الثاني: أنَّه ينتفع بهذا الديزل أُناس ليسوا من أهل الزكاة، فالبتالي هذا الأمر يُصرف من مصرف الصدقات التي هي تطوع، أمَّا الزكاة فإنَّها لا تُصرف في هذا الأمر.

السُّؤَال: ما هو دليل القبول؟ وما معناه؟

الجوَاب: بالنسبة لدليل القبول سُنةُ النبي ﷺ دليلٌ صريح على ذلك، وما جاء في الكتاب والسنة من شأن اليهود، وما جاء في السنة من شأن أبي طالب عَمّ النبي ﷺ، كله شاهدٌ على شرط القبول.

بالنسبة للمعنى: المطلوب -حفظك الله- أن يفهم المعنى لـلا إله إلا الله، وليس أن يسْرُد اللفظ الذي ينطق به أهل العلم، من فهِمَ المعنى في الجملة، فهم أنَّه يجب عليه أن يعبد الله، وأن لا يعبد غيره، وكل عبادة سوى الله عز وجل، فهي عبادة غير صحيحة، والإسلام هو الحق، وغيره من الأديان باطل، بأي لفظٍ نطَق أو فهم به هذا المعنى، فإنَّه يعتبر قد أتى بمعنى لا إله

إلا الله، يعني كثير من المسلمين لا يعرفون هذه المعاني المنضبطة التي يذكرها أهل العلم، مثل: لا معبود بحقٍ إلا الله، كثير من المسلمين لا يفهمون هذه الجملة، ولا يعرفونها أصلًا، لكنَّهم يأتون بالمعنى، يعتقدون المعنى، **إذًا** هذه الحدود ليست شرطًا، هذه الضوابط الذي نذكرها، ليست شرطًا، إنَّما هي تُذكر في حدود العلم، وبين طلاب العلم، أمَّا العامة فلا يُقال إن من أتى بالمعنى بغير هذا اللفظ، فإنَّه ما أتى بلا إله إلا الله، هذا لا يقوله أحد.

النصّ على أن للا إله إلا الله شروطًا، هذا قديم كما علمنا، نصَّ عليه العلماء من عهد التابعين، ولم يزالوا، لكن تحريرها وتقريبها في هذه الأمور السبعة التي دلَّت عليه الشريعة، أوّل من نص عليها بهذا الترتيب فيما أعلم، هو الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الذي هو حفيد إمام الدعوة، نصَّ عليها في كتابه «فتح المجيد»، وفي غيره أيضًا، وتلقَّى هذه الشروط العلماء عنه بالقبول، واستقرت عند علماء التوحيد، وفي مصنفات التوحيد، وهي شروطٌ صحيحة، وليس العبرة بمن الذي جمع، وأين جمع، العبرة بأن هذه الشروط صحيحة، ومُستفادة من الكتاب والسنة، وهذا القدر كافٍ في تلقي هذه الشروط.

السُؤَال: بعض النَّاس -هداهم الله- لا يُحبون الكلام عن التوحيد، ما حكم هؤلاء؟

الجوَاب: نقول هؤلاء مساكين، هذه علامة خذلان، من كانت فيه هذه الصفة، وهو أنَّه لا يُحب الكلام في التوحيد، التوحيد ما هو؟ أن يُذكر الله وحده، ألا يسرك أن يُذكَر الله وحده، وأن تُذكر حقوقه، وأن تُذكر أسماؤه، وأن تُذكر صفاته، ماذا في التوحيد إلا هذا الأمر، فإن كنت لا تُحب أن يُذكر الله وحده ولا أن تُذكَر أسماؤه ولا صفاته، فمعنى هذا أنَّك في نفسك خلل، وفي نفسك مرض، وتحتاج أن تُعالج نفسك، الله المُستعان.

السُّؤَال: ما معنى قول النبي ﷺ: «**حُفَّتِ الجنةُ بالمَكارِه**»؟

الجوَاب: موضوع المكارة ليس هو موضوع البغض والكره الذي تكلمنا عنه، «**حُفَّتِ الجنةُ بالمَكَارِه**»، المقصود بذلك: الأمور المؤلمة التي تُصيب الإنسان في استقامته على طاعة الله تبارك وتعالى، ولا شك أن القيام بأوامر الله عَزَّوَجَلَّ على الوجه الشرعي المطلوب، لا شك أنَّه يُصيب الإنسان فيه شيءٌ من الجُهد، لا بد أن يبذل شيئًا، وربما يترك كثيرًا من محابه، ومثل مكروه للنفوس التي لم تُذلَّل لله عَزَّوَجَلَّ بالطاعة، يعني ليس بالأمر الهيِّن على غير الخاشعين أن يذهب إلى المسجد خمس مرات في اليوم، وأن يترك الملاذ والملاهي والمحبوبات له، أن يقوم في الليلة الباردة من تحت الفراش الدَّفيء، ويتوضأ بماءٍ بارد، ويذهب إلى المسجد، هذا أمر لا شك أن فيه نوعٌ من المشقة والصعوبة، إلا على من لانَت نفسه للطاعة، فمثل هذه الأمور، لا شك أن فيها شيءٌ من الصعوبة والجهد، وهذا هو المقصود في حديث النبي ﷺ، والنَّاس يتفاوتون تفاوتًا عظيمًا في هذا المقام.

السُّؤَال: ما كفَّارة المحذورات والواجبات في العمرة، وما الفرق بينهما؟

الجوَاب: لعله يقصد كفَّارة فعل المحظور، وكفَّارة ترك الواجب، بينهما فرقٌ عند العلماء، المحظور: أن يرتكب الإنسان شيئًا من محظورات الإحرام، ومحظورات الإحرام الأحكام فيها تختلف، الكفَّارات فيها متفاوتة، فبعضها يلزم فيه شيءٌ عظيم، وبعضها يلزم فيه شيءٌ يسير، وبعضها لا يكون فيه شيء أصلًا، فلا ينبغي أن نُطلق الحكم حكمًا واحدًا في كل المحظورات، لكن ما يكثر السؤال عنه من لبس مخيط مثلًا، أو حلق الشعر عمدًا مع العلم، فإنَّ هذا فيه عند أهل العلم كفَّارة، وهي بالتخيير بين ثلاثة أمور: أن يذبح شاةً في مكة، أو

يُطعم ستة مساكين، كل مسكينٍ يُعطى نصف صاع في مكة أيضًا أو أن يصوم ثلاثة أيام، هذا لمن أتى شيئًا من هذه المحظورات، وما هو من جنسها.

أمَّا الواجب فإذا تركه الإنسان، كأن يترك الإحرام من الميقات، فإنَّه يلزمه عند أهل العلم ذبيحة في مكة، يعني شاة يذبحها في مكة، وتوزع على فقراء مكة.

والفرق بين الأمرين ظاهر في الحكم، فالمحظور الذي من جنس الحلق ولبس المخيط وما إلى ذلك، هذا الكفَّارة فيه على التخيير، أمَّا الواجب فإنَّ الكفارة فيه على قول جمهور أهل العلم، ليست إلا شيئًا واحدًا، وهو إهراق دمٍ في مكة.

السُؤَال: هذا يسأل عن حُكم ذكر الله في الحمام، يعني في دورات المياه؟

الجوَاب: هذا المكان ينبغي أن يُجلَّ الله عَزَّوَجَلَّ عن أن يُذكر، هذا مكان الخبث والخبائث، هذا مكان النجاسات واجتماع الشياطين، فلا ينبغي للإنسان أن يذكر الله تبارك وتعالى في هذا المكان.

السُؤَال: هل لابد من مَسّ أو لمس الحجر الأسود؟ يبدو أن السؤال عن الطواف.

الجوَاب: مَن تيسر له في كل شوط أن يستلم الحجر الأسود، فإنَّ هذا من السنة، وأمَّا إن لم يتيسر له ذلك، ولم يتيسر أن يستلمه بشيءٍ في يده، كعصا ونحوه، فإنَّه يُشير إليه ويُكبِّر إذا حاذاه، كما جاء في سُنة النبي ﷺ، والأمر -ولله الحمد- فيه سَعة، لا ينبغي على الإنسان أن يُكلِّف نفسه أو أن يشق على إخوانه المسلمين، حتى يصل إلى تطبيق السنة، وربما يقع في أمرٍ مكروه، أو ربما يقع في أمرٍ محرم، إنَّما يكتفي بالإشارة، لاسيما في أيام الزحام، كهذه الأيام، والحمد لله، الأمر في ذلك كافٍ.

السُؤَال: هل يمكن أن نقول: إن بعض شروط لا إله إلا الله معناها متداخل؟

الجوَاب: لا، لكن نقول: متقارب، أو بعضها بينه وبين البعض الآخر تلازم، ثَمَّة تلازم، ثَمَّة تقارب، لكن الفهم الدقيق لها يدلك على أنَّه ليس هناك تكرار أو تداخل في المعنى، إنَّما هناك قرب وتلازم.

السُؤَال: هل يجوز صرف الزكاة لقناة فضائية تدعو إلى السنة؟

الجوَاب: الواجب أن تُصرف الزكاة للمصارف التي أخبر الله جل وعلا بها فحسب، ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ**﴾ يعني: الزكوات ﴿**لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ**﴾ [التوبة:٦٠]، إلى آخره، والمجالات الدعوية ليست منها، فليس لك -يا رعاك الله- أن تدفع الزكاة إلى قناة فضائية، أو إلى مركز دعوي، وما شاكل ذلك، إنَّما تدفعها لأهلها الفقراء وغيرهم من الأصناف التي جاءت في هذه الآية.

والحمد لله رب العالمين

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَدِلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

وَمَعْنَى شَهَادَة أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ، وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ.

وَدَلِيلُ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

ودَلِيلُ الصِّيَامِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣].

ودَلِيلُ الْحَجِّ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧].



قَالَ الشَّارِح وفَّقَهُ اللّه:

فإنَّ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عطَف على بيان شهادة أن لا إله إلا الله بيانَ شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ.

الشهادةُ لِنبيّنا الكريم محمد ﷺ بالرسالة، هي الشهادة القَرينة لشهادة أن (لا إله إلا الله)، إذْ لا تنفع إحداهما إلا بالأخرى، فمن أتى بلا إله إلا الله، وأَبَى أن يأتي بـ(أنَّ محمدًا رسول الله)، فإنه لا تنفعه لا إله إلا الله، كما أن مَن أتى بشهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ، ولم يأتِ بشهادة أن لا إله إلا الله، فإنَّها لا تنفعه، إذًا لابد من الشهادتين، لابد أن يشهد الإنسان

الشهادتين، وإلا فإنَّه لا تنفعه إحداهما بانفراد.

ولو تأمَّلت هذا الأمر -وهو التلازم بين الشهادتين- فإنَّك تُدرك السبب الذي لأجله جاء التنصيص على شهادة أن لا إله إلا الله في كثيرٍ من النصوص، دون الشهادة بأن محمدًا رسول الله ﷺ، تجد في كثيرٍ من الأحاديث مثلًا، أنَّ «من قال: لا إله إلا إله دخل الجنة)، «من قال لا إله إلا الله كان له كذا و كذا»، دون أن يؤتى بشهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ، **والسببُ هو ما ذكرتُه لك**، وهو: أن الشهادتين متلازمتان، فمن جاء بلا إله إلا الله، فإنَّه لابد أن يأتي بأنَّ محمدًا رسول الله، وإلا فإنَّ إحدى الشهادتين لا تنفع، ويؤيد ويُبين هذا أكثر، أن لا إله إلا الله، ماذا تعني؟ لا معبود حقٌّ إلا الله، والعبادة كيف يمكن أن نعرفها من غير طريق النبي محمد ﷺ؟ فاتضح بهذا أن لا إله إلا الله تتضمن الشهادة بأنَّ محمدًا رسول الله، كما أن الشهادة بأنَّ محمدًا رسول الله تتضمن الشهادة بأنَّ لا إله إلا الله، فلا انفكاك بين الشهادتين، لا انفكاك بين الشهادة لله بالوَحْدانية، والشهادة لنَبيّه ﷺ بالرسالة.

ماذا تعني شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ؟

كلمة (الشهادة) سبق لنا معرفة معناها، وقلنا: إن قول القائل: أشهد، يعني: أنطق بما أعلَم وأتيقَّن مِن أن محمدًا ﷺ رسول الله.

شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ تعني: اعتقادَ أن محمد بن عبد الله القُرَشي الهاشمي ﷺ، رسولٌ من عند الله، وأنَّ رسالته عامةٌ للثقلَين -الجن والإنس-، وأنَّه خاتم الأنبياء والمرسلين.

ومقتضى هذا ولازمُه: (طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهى وَزَجَرَ،

وألا يُعْبَدَ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ).

إذًا: عندنا الإيمان بشهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ، هذا الاعتقاد الذي ذكرناه.

أولًا: أنَّه رسولٌ من عند الله عَزَّوَجَلَّ، الله أرسله، ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ**﴾ [آل عمران:١٤٤]، ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾ [الأعراف:١٥٨]، إذًا محمد ﷺ رسولٌ من عند الله، يجب على جميع النَّاس أن يعتقدوا هذا الاعتقاد، فمن شكَّ فيه، فإنَّه ما دخل في الإسلام، ومن شكَّ بعد دخوله في الإسلام، فقد ارتدَّ، **إذًا** لابد من اعتقادٍ جازم بأنَّ هذا النبي الكريم محمدًا ﷺ رسول الله، اللهُ عَزَّوَجَلَّ هو الذي بعثه، واصطفاه بالنبوة والرسالة.

ثانيًا: أن تعتقد أنَّ رسالته ﷺ رسالةٌ عامة لجميع الثقلين، الجن والإنس، قال جل وعلا: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾ [الأعراف:١٥٨]، فكُلّ النَّاس منذ بعثة النبي ﷺ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، يجب عليهم أن يؤمنوا بهذه النبوة، وبهذه الرسالة المحمدية، فهذا أمْرٌ قطعيٌ في الشرعية، معلومٌ بالضرورة، جميع البشر، وجميع الإنس قد بُعث إليهم هذا النبي ﷺ، قال ﷺ: «**أُعطيتُ خَمسًا لَم يُعطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي**»، قال ومنها: «**بُعِثْتُ إلى الأَحْمَرِ والأَسْوَدِ**».

والله جل وعلا أرسل نبيه محمدًا ﷺ كما نصَّ في كتابه للعالَمين نذيرًا، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «العالمون: الإنس والجن»، واللهُ جل وعلا أخبر أن جِنَّ نَصِيبِين الذين التقاهم النبي ﷺ، ودعاهم فآمنوا، أنَّهم لمَّا رجعوا إلى قومهم، قالوا: ﴿**يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ**﴾ [الأحقاف:٣١]، إذًا كان النبي ﷺ مبعوثًا أيضًا إلى الجنّ، فعلى جميع الجن أن يؤمنوا بنُبوّة هذا النبي الكريم ﷺ، ويتبعوه.

الأمر الثالث: يجب الاعتقاد الجازم بأن النبي ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا نبيَّ ولا رسولَ بعده، كما قال جل وعلا: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب:٤٠]، فالنبيُّ ﷺ آخر رسول، به خُتِمت النبوة والرسالة، وكل من جاء بعده وادَّعى النبوة أو الرسالة فإنَّه دجَّال كاذب.

وقد أخبر النبي ﷺ بأنَّ بعده سوف يظهر دَجَّالون كذَّابون ثلاثون، يدَّعون أنَّهم أنبياء الله تبارك وتعالى، فأخبرنا النبي ﷺ بذلك، حتى نحذر، وحتى نكون على بيِّنَةٍ من هذا الأمر.

هذا الاعتقاد لا ينفعك إلا إذا عملت بمُقتضاه، وعملت بلازمه، ومقتضاه ولازمه هو ما بيَّنه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

إذًا: هذا التعريف الذي أورده الشيخُ هو تعريفٌ باللازم، وبالمُقتضَى، فمُقتضَى هذا الاعتقاد بأنَّ محمدًا رسول الله ﷺ، هذه الأمور الأربعة: (**طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ، وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ**).

أمَّا (**طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ**)، فإنَّ على جميع العباد أن يعتقدوا الْتزام أوامر النبي ﷺ، وسُنته وشريعته، **بمعنى**: أن يعتقدوا أنَّهم مُلزمون ومُخاطَبون، وينبغي عليهم أن يتبعوا هذا النبي ﷺ تكليفًا، فمَن زعَمَ أنَّه يسعه الخروج عن سُنة النبي ﷺ، وأنَّه ليس مُكلَّفًا، ولا مُخاطِبًا، ولا مُلزِمًا باتباع النبي ﷺ، ولو في أمرٍ واحد، فإنه باتفاق المسلمين قد خرج عن الإسلام، بل يجب عليه أن يُذعِن ويلتزم، ويَقبَل ويعتقد أنَّه مخاطب، ومُكلَّف بما جاء في سنة النبي ﷺ، هذا أمْر.

الأمر الثاني: مَن عصى النبيَّ ﷺ في بعض الأوامر، واستجاب في بعض، فإنَّه يكون مُسلمًا عاصيًا، أمَّا مَن ترك الاستجابة للنبي ﷺ، والعمل بأوامره كلها، فإنَّه لا شك أنَّه ليس بمسلم؛

لأنَّ طاعة النبي ﷺ هي لازمةٌ لاعتقاد نُبوته ورسالته، وإلا فما فائدة هذا الاعتقاد، قال جل وعلا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ﴾ [النساء:٦٤]، إذًا مَن لم يُطع هذا النبي، فإنَّه لم يكن مؤمنًا به، من لم يُطعْه بالكلية، ولم يستجب البتَّة فإنَّه ليس له حظٌ في الإسلام، لكن من استجاب في بعض، وقصَّر وخالف مع اعتقاده أنَّه مُلزَم، ومُطالب ومُخاطب بما جاء في أومر النبي ﷺ، فإنَّ هذا مسلم عاصٍ.

والدليل على وجوب طاعة النبي ﷺ فيما أمر كثيرة؛ قال جل وعلا: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾ [الحشر:٧]، قال ﷺ: «**ما أَمَرتُكم به، فَأْتُوا مِنْه ما استطعتُم، وما نَهَيتُكُم عنه فَاجْتَنِبُوهُ**».

الأمر الثاني: تصديقه ﷺ فيما أخبر.

النبيُّ ﷺ أخبر في أحاديثه بأخبارٍ كثيرة، منها ما يتعلق بالواقع، ومنها ما يتعلق بالماضي، ومنها ما يتعلق بالمستقبل.

وحقيقةُ الشهادة له ﷺ بالرسالة تقتضي أن يكون الإنسان مُصدِّقًا له ﷺ في كل ما أخبر به، فإذا أخبر بما حصل في الماضي من أحوال الأمم السابقة، أو مما جرى في خلق السماوات والأرض، أو ما سيكون من أمور المعاد والجنة والنار وعَرَصَات القيامة، أو ما قبل ذلك من أشراط الساعة، وما يدور في فلك هذه الأمور، فإنَّه يجب على كل إنسانٍ أن يؤمن بذلك إيمانًا كالشمس، كأنَّه يرى الشمس، ومن كذَّب النبي ﷺ في حديثٍ واحد، بل من كذَّبه في كلمةٍ واحدة، بل من كذَّبه في حرفٍ واحد، فإنَّه كافرٌ باتفاق المُسلمين، كذلك مَن شك في صدق النبي ﷺ، ولم يجزم بصدقه، ولو في حديث، بل ولو في كلمة، بل ولو في حرف، فلا شك أنَّه

كافرٌ باتفاق المسلمين.

إذًا: هذه قضية ينبغي أن تكون منك على بال، وأن تستحضرها دائمًا في ذهنك، فكلُّ ما جاء عن النبي ﷺ وثبت عنه بالإسناد الصحيح، فيجب عليك أن تعتقده اعتقادًا جازمًا.

أخرج الشيخان: أنَّ النبي ﷺ قال مرةً لأصحابه: «**إنَّ رَجُلًا رَكِبَ بَقَرَةً، فالْتَفَتَتْ إليه، وقالتْ: إني لَم أُخلقْ لهذا، إنَّما خُلِقتُ للحراثة، فقال النَّاسُ: سبحانَ اللهِ، بقرةٌ تَتَكَلَّمُ!**»، فقال النبي ﷺ: «فإنِّي أؤمن به، وأبو بكرٍ وعمر»، وكان أبو بكر وعمر لَيسا في الحاضرين، لكن النبي ﷺ أخبر بأنَّهما يصدِّقان بهذا ولولم يكونا حاضرَين، بل لو لم يكونا قد سمِعا بهذا الحديث، وهذا دليلٌ على أن الإيمان يقتضي تصديق النبي ﷺ، ولو كان الأمر فيه نوعٌ من الغَرابة.

ثم قال النبي ﷺ: «**إنَّ ذئبًا عَدا على غنَمٍ، فأخَذ منها شاةً، فعَدا الراعي خَلْفَه، فاسْتَنقَذَها منه، فالْتَفَتَ إليه الذئبُ وقال: ومَن يَحمِيها مِنِّي يوم السَّبُع، يوم لا راعي لها غَيري؟ فقال النَّاسُ: سبحانَ الله**»، فقال النبي ﷺ: «**فإنِّي أُؤْمِن به، وأبو بكرٍ وعُمرُ**».

إذًا: النبي ﷺ أخبر -والحديث في الصحيحين- أن بقرةً بقدرة الله تكلمت، وأنَّ ذئبًا بقُدرة الله تكلم، ما الذي يجب علينا؟ يجب علينا التصديق الجازم بهذا الأمر، ومن كذَّب أو شكَّ بعد عِلمه بأن النبي ﷺ قال هذا، فإنَّ عليه أن يعلم أنَّ إيمانه قد ذهب، فيجب علينا أن نؤمن بكل ما أخبر به النبي ﷺ، كأنَّه رَأْيُ عَيْن، فالنبي ﷺ هو الصادق المصدوق، ﷺ.

الأمر الثالث -الذي هو من لوازم اعتقاد أن محمدًا رسول الله ﷺ-: (**وَاجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ**)، والكلامُ في مسائل المنهيات على وِزان الكلام في المأمورات، فمن لم يَجتنب

ما نهى عنه النبي ﷺ لعدم التزامه بذلك؛ لأنه يستكبر عنه، لأنه يرى أنَّه غير مخاطَب، ولا مُكلَّف، ولا يلزمه اتباع النبي ﷺ في شأن المنهيات، فلا شك في كُفره، كما سبق.

أمَّا من كان يستجيب للنبي ﷺ، ويعتقد أنَّه مُخاطب بكل ما جاء في حديث النبي ﷺ من المنهيات، ولكنَّه تغلبه نفسُه والشيطان، فيقع فيما نهى عنه النبي ﷺ، ولكن يعتقد أنَّه عاصٍ، ويعتقد أنَّه مخالفٌ للسنة، فإنَّ هذا سبيله سبيل بقية العصاة الذين وقعوا فيما نهى عنه النبي ﷺ، وهم مُتوَعَّدون بالعذاب، لكنَّهم من أهل الإسلام.

الأمر الرابع: (**وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ**) ﷺ، كل الطُرُق إلى الله جل وعلا مسدودة، إلا طريق محمد ﷺ، لا يمكن البتَّة أن يُوصَل إلى الله، وإلى رحمته وإلى جَنَّته إلا من طريق النبي محمدٍ ﷺ، فهما حاول الإنسان أن يجد طريقًا أخرى برياضة رُوحية، أو بتأمل وتفكر، أو بقواعد منطقية، أو بأصولٍ فلسفية، أو برُؤَى ومنامات، أو بكُشُوف وما دار في فلك هذا، فإنَّ ذلك كله لا يُوصل إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ولا ينفع الإنسان البتَّة عند الله، إنَّما ينفعه فقط أن يتّبع النبي ﷺ، فالله جل وعلا لا يُعبَد بالبدع، ولا يُعبَد بالمحدثات، ولا يُعبَد بالآراء، إنَّما يُعبَد بما جاء من طريق النبي محمدٍ ﷺ، فنحن ضُلَّال إلا إذا هدانا الله عَزَّوَجَلَّ باتباعه ﷺ، نحن جُهَّال إلا إذا أنار الله عَزَّوَجَلَّ بصائرنا بسُنته ﷺ، نحن لا نعرف شيئًا يوصل إلى الله تبارك وتعالى، الفِطَر تدل على الله عَزَّوَجَلَّ إجمالًا، لكن على وجه التفصيل؛ العبادات والمأمورات والمحبوبات لله عَزَّوَجَلَّ، لا يمكن أن يصل إليها الإنسان إلا من طريق النبوة، والنبي ﷺ هو الذي بُعث إلينا معشر أُمّته، وأُمّته هُم كل مَن كان يوم أن خرج النبي ﷺ على النَّاس، وقال: «**إنِّي رسول اللهِ إليكُم**»، وإلى انتهاء هذه الحياة، كل أولئك من أُمة الدعوة الذين تلزمهم وتشملهم دعوة النبي ﷺ، ثم

بعد ذلك ينقسم النَّاس إلى أهل سعادة، وإلى أهل شقاوة، من استجاب إلى النبي ﷺ، فإنَّه هو الحي، فإنَّه هو السعيد، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ [الأنفال:٢٤]، إذًا كل النَّاس موتى، موتى القلوب إلا من أحيا الله عَزَّوَجَلَّ قلبه بالاستجابة للنبي محمدٍ ﷺ.

إذًا: إذا عَلِمْت هذا –يا رعاك الله– فعليك أن تكون في هذه القضية حَذرًا ومُتنبهًا، لا تَخْطُ خطوة واحدة في طريق العبودية إلا وعندك دليلٌ وبُرهان من سُنة النبي ﷺ، وإلا فاعلم أنَّك تمشي في طريقٍ خاطئ –انتبه لهذه القضية، المسألة في غاية الأهمية– إياك أن تخطو خطوة واحدة في طريق العبودية، تعتقد أن هذا خير يُقرِّب إلى الله، يُكسب الحسنات، يوصل إلى الجنة، إلا وعندك برهان ودليل وخاتم النبوة على هذا الفعل، وإلا فأنت تسير في طريقٍ خاطئ، فأولًا لن تنال حسنة؛ لأنَّه لا يمكن أن تُكتسب الحسنة إلا من طريق النبي ﷺ.

ثم يا لَيت أن الأمر يقف عند هذا الحد، بل ثَمَّة عقوبة، وثَمَّة إثْم، وثَمَّة وعيدٌ بالعذاب، النبي ﷺ كان يخطب أصحابه، ويُكرر عليهم هذه الخطبة، حتى ترسخ في الأذهان: «**أمَّا بعد: فإنَّ أصْدَق الحديث كلامُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور مُحدثاتُها، وكل مُحدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار**»، إذًا القضية محسومة، القضية ليست محلًّا للاجتهاد، القضية مُنتهية، إمَّا أن تسلك طريق النبي ﷺ، أو أنت على خطر، قال جل وعلا: ﴿**فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ**﴾ [القصص:٥٠].

إذًا عندنا طريقان ليس لهما ثالث: إما أن تكون مُستجيبًا للنبي ﷺ، وإلا فأنت قطعًا

تستجيب للهوى، والهوى يَهوِي بصاحبه في الخطر، بلْ في غضب الله عَزَّوَجَلَّ وعذابه، فلا تفعل شيئًا من أنواع العبادة التي تُقرِّب إلى الله، إلا وقد علمت أن النبي ﷺ أخبر بذلك.

وما أحسن ما قال إمام دار الهجرة، إمام هذه المدينة الطيبة، ألا وهو الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال كلمة تستحق أن تُكتَب بماء العين، تستحق أن تُحفَظ، قال: «من ابتدع بدعةً يَراها حسنة»، قِفْ عند كلمة «يَراها حسنة»، فما أكثر ما نسمع في هذه الأزمنة من يقول: بدعة، ولكن حسنة، تقول: يا أخي هذه بدعة، هذا أمر مُحدَث، ما فعله النبي ﷺ، يقول: نعم، ولكنها بدعة حسنة، إذًا لا بأس، طيب اسمع فتوى الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في البدعة الحسنة، قال: «مَن ابتدع بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمدًا ﷺ خانَ الرسالة»، سبحان الله! لِمَ؟ قال: «فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾ [المائدة:٣]، فما لم يكن بالأمس دِينًا، لا يكون اليوم دِينًا»، ما أحسن هذه الكلمة، ما لم يكن بالأمس، متى الأمس؟ في عهد النبي ﷺ، ما لم يكن هذا الفعل يُتعبَّد لله عَزَّوَجَلَّ فيه، فإنَّه لا يمكن أن يكون اليوم دِينًا، فما لم يكن بالأمس دينًا، لا يكون اليوم دينًا.

الإمامُ سعيد بن المسيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، سيدٌ من سادات التابعين، وعابدٌ من كبار العُبَّاد، كان هنا في المدينة، ويومًا من الأيام بعد أذان الفجر رأى رجلًا صلى سُنة الفجر ثم زاد ركعتين وركعتين، أصبح يوالي الركعات، يصلي، فنَهاهُ سعيدٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال له: لا تفعل، الرجل ماذا يفعل؟ يصلي، وسعيد ماذا صنع؟ نهاه، قال: لا تفعل، فقال الرجل: يا أبا محمد، أَوَيُعذِّبني الله على الصلاة، يعني أنا أكذب الآن أو أغتاب، أو أسرق، أو ماذا أصنع، أنا أصلي، فهل الله عَزَّوَجَلَّ سيُعذّبني على أن أُصلي؟ سؤال له وَجاهة، لكن اسمع الجواب الأوجه، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«لا، ولكن يُعذِّبك على تَرْك السُّنة»، هنا الخطر، أن تعلم أن النبي ﷺ ما زاد على ركعتين بعد أذان الفجر، بل قد نهى عن الزيادة عن الركعتين، ثم تأتي أنت وتزيد، ماذا تريد؟ أتُريد أن تكون أَعبَد لله من رسول الله ﷺ؟ أتريد أن تكون أتقى لله من رسول الله ﷺ؟ لا يمكن أن يكون هذا.

إذًا: هنا الخطورة، أن يعلم الإنسان السنة فلا يقف عندها، بل يتجاوزها ويزيد، ويُحدث، وهنا يكون قد عرَّض نفسه للخطر، إذًا لا يمكن أن يُعبَد الله تبارك وتعالى إلا بما جاء عن رسول الله ﷺ، وإلا فإنَّ هذه العبادة باطلة، قال ﷺ: «**مَن عمِلَ عملًا ليس عليه أمْرُنا، فَهُو رَدٌّ**»، مردود، لا يمكن أن يكون مقبولًا، وليس عليه الختم النبوي، ليس عليه أثارة من العلم المُحمّدي، صلى الله على نبينا وسلم.

إذًا هذه القضية من الأهمية بمكان، وَوَاللهِ لو أنَّ هذه الأمة سلَكتْ سبيل ونهج وطريق النبي ﷺ في كل صغيرٍ وكبير، ووقفت عنده، ولم تتجاوزه إلى غيره، والله لكان الحال غير الحال، لأصبحت أحوالنا في أحسن حال؛ لأن كل خير في الدنيا والآخرة فهو مُعلَّق باتباع هذا النبي ﷺ، كل خير، ماذا يريد الإنسان؟ يريد الهداية، لا سبيل لها إلا من طريق هذا النبي ﷺ، ﴿**وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا**﴾ [النور:٥٤]، ﴿**وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ [الأعراف:١٥٨]، ماذا تريد؟ تريد الجنة؟ ليس لها طريق إلا من طريقه ﷺ، قال ﷺ: «**كُلُّ أُمّتي يدخلون الجنة، إلا مَن أَبَى**»، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله، قال: «**مَن أطاعني دخل الجنَّة، ومَن عصاني فقدْ أَبَى**»، ماذا تريد؟ تريد السعادة، تريد الخير؟ تريد أن تتجاوز عقبات هذه الحياة؟ أيضًا ذلك في اتباع السنة، ألم يقل النبي ﷺ: «**وجُعِلَ الذِّلَّة والصَّغارُ على مَن خالفَ أمْرِي**»، ذِلَّةٌ وصَغَارٌ، كثير

من النَّاس يجد أن حياته طريقها معكوسة، كلما سلك طريق وجده مُغلقًا في وجه، مشاكل في الأسرة، في العمل، في الحياة، راجع نفسك، ربما أُتيت من هذه الجهة، من جهة عدم التزامك باتباع النبي ﷺ، واقتصارك عليها، تذكر هذا الحديث دائمًا: «**وجُعِلَ الذِّلَّة والصَّغارُ على مَن خالفَ أمْرِي**».

إذًا: هذه الأمور الأربعة التي هي لوازم للشهادة لنبينا ﷺ بالرسالة.

ويبقى التنبيه على أن الشروط التي ذُكِرت في درس أمس لشهادة أن لا إله إلا الله، هي نفسها مُنسَحبةٌ على شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ.

نحن أخذنا شروط أن لا إله إلا الله، سبعة شروط، هذه الشروط هي شروطٌ في الحقيقة للشهادتين، الشروط الذي ذكرناها (العلم، واليقين، والقبول، والانقياد، والمحبة، والصدق، والإخلاص) هذه تنطبق أيضًا على شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ.

قوله: (**وَدَلِيلُ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾** [البينة:٥]).

أخبر الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدليل هذه الأمور الثلاثة، التي هي الأركان الثلاثة للإسلام، ألا وهي: (شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة)، قال دليلها: (**قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾**)، ولاحظ دِقَّة الشيخ وفقهه حينما قال: إن هذه الآية دليلٌ على تفسير التوحيد، دليلٌ على تفسير شهادة أن لا إله إلا الله، فمن يأتي ببيان ذلك؟ نحن قلنا شهادة أن لا إله إلا الله تدل على شيئين: على النفي، والإثبات، فأين النفي والإثبات في هذه الآية: (**﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾**)؟

الجواب: (لا إله) دلَّ على هذا الجزء قولُ الله جل وعلا: (﴿حُنَفَاءَ﴾)، و(إلا الله) دلَّ عليه قولُه جل وعلا: (﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾)، وكيف كانت كلمة (﴿حُنَفَاءَ﴾) دليلًا على النفي؟

مَرَّ بنا في درسٍ سابق، أن الحَنَف في اللغة: الميل، ويُقال لمن به مَيل في رِجله: أحنَف، ومنه سُمِّي الأحنف بن قيس.

ومعنى قول الله جل وعلا: (﴿حُنَفَاءَ﴾)، يعني: مائلين عن الشرك إلى التوحيد، والمَيل عن الشرك يقتضي البراءةَ من كل معبودٍ سوى الله، ومن عابديه، حنفاء، يعني: أنَّهم مائلون عن الشرك، وهذا يقتضي أنَّهم بُراء، حصل منهم براءة من كل معبودٍ سوى الله، ومن عَابِدِيه، وبذلك يكون في هذه الآية دليلٌ على تفسير شهادة أن لا إله إلا الله.

قوله: (﴿وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾) ووَصَف الله جل وعلا أن هذه الأمور الثلاثة، هي دِين القَيِّمة، وذلك لأنَّ هذه الأمور أعظم الأمور التي أمر الله تبارك وتعالى بها.

إذًا: الركن الثاني من أركان الإسلام **(إقام الصلاة)**، الصلاة أعظم الواجبات على الإطلاق بعد شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وهي الحدّ الفاصل بين المسلم والكافر، ولذا فإنَّ العلماء مُجمعون على أنَّ من جحد الصلاة وقال: إنَّها لا تجب عليَّ، ولا يلزمني أن أُصلِّي، فإنَّه كافرٌ بالله عَزَّوَجَلَّ، **والصحيح من كلام أهل العلم**: أنَّ مَن ترك الصلاة تكاسلًا فإنَّه كافرٌ بالله جل وعلا، وبهذا يتضح لك أن الصلاة لها شأنٌ ليس لغيرها من العبادات على الإطلاق، حتى إن الذي يتركها تكاسلًا وانشغالًا عنها مع اعتقاد وجوبها، فإنَّه ليس بمسلم على الصحيح من كلام أهل العلم، ودليل هذا: قول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ،

فيما خرَّج الإمام مسلم: «**بَينَ الرَّجل وبين الكُفر والشرك: تَرْكُ الصلاةِ**».

وقال ﷺ، كما عند الترمذي وأحمد وغيرهما، بإسنادٍ صحيح، قال: «**العَهدُ الذي بيننا وبينهم**» يعني: الكفار «**الصلاةُ، فمَن تَرَكَها فَقَدْ كَفَرَ**».

يقول عبدُ الله بن شقيق التابعي الجليل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان أصحاب محمدٍ ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كُفر إلا الصلاة».

يقول أيوب السِّختياني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما أورد هذا محمد بن نصر في كتابه العظيم «تعظيم قدْر الصلاة»، قال: «تَرْك الصلاة كفرٌ لا يُختلَف فيه».

ويقول إسحاق بن رَاهوَيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الإمام الجليل الذي كان يُقرَن بالإمام أحمد وبالإمام الشافعي، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تَرْك الصلاة كُفرٌ من لدُن عهد النبي ﷺ، وإلى يومنا هذا».

إذًا: ترْك الصلاة له شأنٌ عظيم، وصدق عمر رضي الله عنه حينما قال لمَّا طُعِن: «لا حظّ في الإسلام لمن ترك الصلاة».

إذًا تَنبَّه -يا أيها المسلم- قضية الصلاة ليست قضيةً سهلة، وليست قضية كما يقولون عادية، إنْ صلى الإنسان فالحمد لله، وإن لم يُصلِّ فلا بأس، لا والله، الأمر في ذلك ليس كذلك، بل من ترك الصلاة عامدًا متعمِّدًا، وهو مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فإنَّ هذا هو القول الصحيح، أنَّه يكون بترك الصلاة مرتدًا عن دين الله عَزَّوَجَلَّ، حتى إنَّه إذا مات فإنَّه لا يُعامل معاملة المسلم، بل يُعامل معاملة المرتدين، إذًا المسألة ليست سهلة، تفقَّد نفسك، تفقَّد مَن حولك، تفقَّد والديك، تفقَّد أبناءك، تفقَّد زوجك، تفقَّد إخوانك، تفقَّد أقرباءك، وناصِح وبيِّن، وأْمُر بالمعروف وانْهَ عن المنكر، لعلَّ الله

عَزَّوَجَلَّ أن يهدي على يديك من شاء من خلقه، هذا الركن الثاني.

الركن الثالث: (**إيتاء الزكاة**)، الزكاة قرينة الصلاة في كتاب الله، فكم في كتاب الله الإقران بين الزكاة والصلاة، ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ**﴾ [البقرة:٤٣].

والزكاة واجبةٌ بالإجماع، وهي رُكنٌ من أركان الإسلام، وتجب في أربعة أصناف من المال:

أولًا: تجب في النقدين -الذهب والفضة- وما يجري عليه حُكمها، وذلك هو الأوراق النقدية، الأوراق المالية -التي نُسمِّيها النقود، التي نُسمِّيها الفلوس-، هذه يجب فيها الزكاة.

ثانيًا: السَّائمة من بهيمة الأنعام: الإبل، والبقر، والغنم، ومعنى (سائمة): التي ترعى في المراعي، وليس التي تُعلِفها أنت، وتُطعمها أنت.

وأيضًا: عَرُوض التجارة، يعني: الأشياء التي تكون معرُوضةً للتجارة، أيًّا كانت، سواءً كانت مواد غذائية، أو كانت سيارات، أو كانت مواد بناء، أو أي شيءٍ من هذه الأمور المُباحة، التي يتاجر بها الإنسان، فلابد فيها أيضًا من أن تُزكَّى.

الأمر الرابع: الخارج من الأرض؛ الحبوب، والثمار، فإنَّها على تفصيلٍ فيها، يجب فيها إخراج الزكاة، ﴿**وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ**﴾ [الأنعام:١٤١].

وأمَّا الذي يُخرَج، فإنَّ ذلك فيه تفاصيل، وكلٌّ له حُكم بين النقدين، أو الخارج من الأرض، أو ما كان من السائمة من بهيمة الأنعام، كل شيءٍ من هذا له حُكمه.

لكن الذي يتعلق به حاجة أكثر النَّاس اليوم، هو ما يتعلق بزكاة النقدين، فيُقال إن زكاة النقدين -الذهب والفضة، والأموال- واجبةٌ إذا بلغت نصابًا، واستقر المُلك، وحال الحول،

وكان صاحب هذا المال حُرًّا، أمَّا المملوك فإنَّه لا يجب عليه الزكاة، لابد أن يكون قد ملَك هذا النِّصاب مدة سنة، حال الحول، ولا بد أن يبلغ هذا المال نِصابًا.

أمَّا الذهب فنِصابه في قول أكثر العلماء: خمسةٌ وثمانون غِرامًا، فإنَّها نِصاب، فمَن بلغ عنده الذهب هذا القدر فأكثر، يجب عليه أن يُزكي.

أمَّا نِصاب الفضة، فذهبت طائفة من أهل العلم إلى أنَّه خمسمائة وخمسة وتسعون غرامًا من الفضة، وبعضهم يقول: أربعمائة وستون غرامًا من الفضة.

وأمَّا بالنسبة للأموال النقدية فإنَّها تُقدَّر بالأقل من النصابين (الذهب، والفضة)، هذا هو الراجح في المسألة، والله أعلم، وهو الأحظ للفقير، أنَّك تسأل عن نصاب الذهب والفضة، ثم تأخذ بالأقل، فإذا كان المال الذي عندك يُساوي الأقل من النِّصابين، فيجب عليك أن تُزكِّي، وإذا كان المال الذي عندك أقل، فإنَّه لا يلزمك أن تُزكِّي.

كذلك بالنسبة للتجار الذين عندهم أشياء للتجارة، فإنَّ عليهم عند حولان الحول -وانتبهْ إلى هذه المسألة- لا يجوز لك أن تؤخِّر الزكاة عن موعدها، ولو ساعةً واحدة، بعض النَّاس يتساهل، ويؤخِّر الزكاة عن وقتها المحدد، لسببٍ أو لآخر، ولا يعلم أنَّه آثمٌ بكل دقيقة تأخير، متى ما حال الحولُ يجب فورًا أن يُخرَج، هذا حق الفقراء ويجب أن يُعطَوه، ويجوز أن تقدِّم الزكاة عن وقتها، تقديم الزكاة عن وقتها لا بأس به، لكن التأخير هو الإشكال، لا يجوز لك ذلك، فتُقوَّم هذه البضاعة عند حولان الحول، لا بقيمة شرائها، وإنَّما بالقيمة التي تُساويها في السوق الآن، ثم تُخرِج رُبع العُشر، في كل الأموال يجب عليك أن تُخرِج رُبع العُشر، يعني: اثنين ونصف بالمائة.

والطريقة السهلة لحساب الزكاة، هو أنك تقسم المال الذي تُريد إخراجه على أربعين، وبالتالي يخرج لك رُبع العُشر، اقسِم على أربعين، يتضح لك الزكاة، يعني لو كان عندك مبلغ هو عشرة آلاف مثلًا، فإنَّك تقسمه على أربعين، فإنَّه يخرج لك المطلوب، ففي كل مائة اثنين ونصف، في كل ألف خمسة وعشرين، في كل عشرة آلاف عليك أن تُخرِج مائتين وخمسين، وهكذا، هذا هو الركن الثالث من أركان الإسلام.

والركن الرابع: صيام رمضان، والدليل عليه (﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣]).

(كُتِبَ) يعني: أُضْحت هذه العبادة واجبة، وأدلة إيجاب الصيام كثيرة في الكتاب والسنة، ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة:١٨٥]، **ومرَّ معنا في حديث ابن عمر: «بُنِي الإسلامُ على خمس: ... صوم رمضان»**.

وهذه العبادة نحن نعيشها ولله الحمد في هذه الأيام، والأكثر أو الكل بحمد الله قد تفقَّهوا في أحكام هذه العبادة.

أما الركن الخامس والأخير، فهو حج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلًا، ودليله: قوله: (وَدَلِيلُ الْحَجِّ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧]).

حَجُّ بيت الله الحرام ركنٌ من أركان الإسلام، وواجبٌ على كل مسلم، وواجبٌ كفائي على جميع الأمة، يعني: يجب أن يكون في الأمة من يحج إلى بيت الله الحرام كل عام، أمَّا بالنسبة للأفراد، بالنظر إلى كل فردٍ فرد، فإنَّه يجب الحج في العُمر مرة، وما زاد على ذلك فإنَّه

تطوع.

والحج له أحكامه، وله مسائله الكثيرة، والكلام فيها يطول، ولعل في هذا القدر كفاية.

الأسئلة

السُؤَال: متى يكون دعاء الاستفتاح؟ هل في أثناء الصلاة أم بعدها؟ وهل يُشرع رفع اليدين فيه؟

الجوَاب: أمَّا رفع اليدين فإنَّها لا تُرفع في دعاء الاستفتاح لعدم الدليل من فعله ﷺ.

أمَّا متى يكون، فإنَّه يكون إذا دخلت مع الإمام وهو قائم، إذا دخلت معه وهو قائم القيام الأول، وليس القيام بعد الرفع من الركوع، لكن إذا دخلت معه في القيام الأول، فإنَّك تستفتح، وإذا كنت تُصلي منفردًا فإنَّك أول ما تفتتح الصلاة بعد التكبير تبدأ بدعاء الاستفتاح.

السُؤَال: ما رأيكم فيمن يعتقد أن إقامة المولد حبًا للنبي ﷺ؟

الجوَاب: أنا سأتفق معه، وسأشاركه في إقامة المولد، وسأتعاون أنا وإيَّاه على إقامة هذا المولد، بل سأجعله في منزلي، **ولكن بشرط**: أن يُثبت لي أن هناك آية في كتاب الله دلَّت على أن نَحتفي ونحتفل، ولو بأدنى درجة من درجات الدلالة، ولو بإشارة، أن نحتفل بيوم الثاني عشر من ر بيع، أو بليلة الثاني عشر من ربيع، سأكون أنا أول من يحتفل بالمولد، لو جاءني من النبي ﷺ حثّ، ولو يسير، ولو في حديثٍ واحد، بل ولو في حديثٍ ضعيف، لو جاءني عن النبي ﷺ حديث ولو ضعيف في الحث على إقامة المولد، والله لَأَفعَلنَّه، سأكون أول من يحتفل بالمولد، لو كنت أعتقد أن النبي ﷺ ما بلَّغ البلاغ المُبين، وأنَّه يمكن أن يكون شيءٌ يقرِّب إلى الله لم يُخبرنا النبي ﷺ، لو كنت أعتقد أن الدين مبني على اجتهادات، وليس مبني على اتباع، لو كنت أعتقد هذا، فسأكون أول من يحتفل بالمولد النبوي، سأكون أول من يحتفل بالمولد النبوي لو وجدتُ أثرًا واحدً ولو ضعيفًا عن أبي بكر أو عمر، أو عثمان أو علي، أو عن أبي عبيدة، أو عن بلال، أو عن صهيب، أو عن ابن مسعود، أو عن أي صحابيٍ من الصحابة أقام المولد، احتفل، دعا النَّاس، تدارس السيرة، قرأ القصائد المدحية للنبي ﷺ، فعل أيّ مظهر من مظاهر الاحتفال في ذلك اليوم أو ليلته، سأكون أول من يحتفل

بالمولد لو ظَفرتُ بهذا الأثر.

سأكون أول من يحتفل بالمولد لو وجدت أثرًا عن تابعي أو عن أحدٍ من أتباع التابعين، أو عن واحدٍ من الأئمة الأربعة الذين يتبعهم عامة المسلمين اليوم، عن أبي حنيفة، أو عن مالك، أو عن الشافعي، أو عن أحمد، أرشدوا الأمة، نبَّهوا الأمة، حثُّوا الأمة، على أن يقيموا المولد، ولو بكلمة واحدة، أو على الأقل هو أقاموه في أنفسهم، في بيوتهم، سأكون أول من يحتفل بالمولد لو ظفرت بشيءٍ من هذا.

لكن ما الحِيلة إذا كنت ما وجدت شيئًا من هذا؟ ما رأيكم؟ أحتفل أو لا أحتفل؟ ماذا يقول الدين وماذا يقول العقل؟ بعد كل هذا هل سأحتفل؟ هل سأحتفل والأمة كلها وأنا أجزم لك أن الأمة عاشت أكثر من ثلاثمائة سنة وما أُقيم فيها مولد واحد، ثلاثمائة سنة تعني هي غُرّة هذه الأمة، هي أفضل قرون هذه الأمة، بشهادة النبي ﷺ ليس بشهادتنا، أليس النبي ﷺ قد قال: «**خَيرُ النَّاس**»، وفي رواية: «**خَيرُ أُمَّتي قَرْني، ثم الذين يَلُونَهم، ثم الذين يَلُونَهم**»، مرت هذه القرون وما ثبت أن مولدًا واحدًا أُقيم في هذه الفترة، ثم بعد ذلك أُقيم، لو كنت أعتقد أنَّه يمكن أن نظفر نحن بخير، ما سبقنا إليه الصحابة والتابعون وأتباعهم، يعني السلف الصالح، سأكون أول من يحتفل بالمولد، لكن ما وجدنا، إذًا ماذا نصنع؟

أَلَيس الأولى والأهدى والأنفع والأحوط أن نسلك سبيل مَن قبلنا، نحن جميعًا نجزم أن الصحابة رضي الله عنهم أشد حبًا للنبي ﷺ منا، وهكذا التابعون، وهكذا أتباعهم، إذًا علينا أن نسلك سبيلهم، ونقتفي أثرهم، ونمشي على مِنوالهم، فلا يمكن أن نظفر بخير ما سبقونا إليه، ولذا ما أحسن ما قال ابن كثير في تفسيره، عند قول الله جل وعلا، حينما أخبر الله جل

وعلا عن المشركين أنَّهم قالوا: ﴿**لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ**﴾ [الأحقاف:١١]، المشركون يقولون: لو كان هذا خير ما سبقنا الصحابة وهم ضِعاف، ونحن السادة، لو خيرًا هذا الذي جاء به النبي ﷺ ما سبقونا إليه، يقول ابن كثير كلمة جميلة هنا، يقول: «قال أهل السنة والجماعة: إنَّ كل فِعل لم يفعله الصحابة لو كان خيرًا، لسبقونا إليه»، المشركون ماذا قالوا؟ ما سبقونا إليه، ونحن نقول: لو كان خيرًا، أيّ شيءٍ جديد مُحدَث، لو كان خيرًا لَسبقونا إليه، إذًا لو كان هذا الأمر فيه خير، ويُقرِّب إلى الله، وينفعنا، ويزيد حسناتنا، لسَبَقنا إليه أصحاب النبي ﷺ، والله أعلم.

السُّؤَال: هذا أول صلاة فجرٍ لي في المدينة، وقد سألت عن موعد صلاة الفجر، فقيل: الرابعة والربع، فأكلت وشربت ظنًا عدم طلوع الفجر، ثم تبيَّن لي بعد ذلك أنَّه قد أُقيمت صلاة الفجر؟

الجوَاب: الذي يظهر -والله أعلم- أنَّه لا حرج عليك، بما أنَّك قد أكلت وشربت، وأنت تظن أن الليل باقٍ، فالصحيح من كلام أهل العلم أن هذا الصوم صحيح، فأتِمَّ صومك ولا شيء عليك إن شاء الله.

السُّؤَال: هل يجوز صرف الزكاة للمَدِين، يعني الذي عليه ديون؟

الجوَاب: نعم يجوز بشرط: أن لا يكون يستطيع الوفاء، فإن كان يستطيع الوفاء، فإنَّه لا يجوز لك أن تُعطيه الزكاة، أمَّا لو كان ليس عنده ما يُوفّي به دينه، فإنَّه يجوز أن تُعطيه زكاة، ودلَّ على هذا قوله تعالى: ﴿**وَالْغَارِمِينَ**﴾ [التوبة:٦٠]، فالغارمون يدخل فيهم الذين عليهم ديون لا يستطيعون وفاءها، والله تعالى أعلم.

والحمد لله رب العالمين

قال المصنّف رَحِمَهُ اللهُ:

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ؛ وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ، وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَن تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة:١٧٧]، ودليل القدر قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].



قَالَ الشَّارِح وفَّقَهُ الله:

فهذا شروع من المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان في المرتبة الثانية من مراتب الدين، ألا وهي (الإيمان).

وقد مضى الكلام في المرتبة الأولى، ألا وهي (مرتبة الإسلام).

والإيمان هو سببُ النجاة عند الله تبارك وتعالى، وقد علّق الله جل وعلا النجاة، بل كل خير على تحقيق الإيمان، بل إن الله تبارك وتعالى قد علّق على الإيمان في كتابه أكثر من مائة خَصلة من خصال الخير، فالإيمان هو الغاية التي يسعى إلى تحقيقها كل من يريد النجاة عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والإيمان في الشرع هو حقيقةٌ مركبةٌ من ثلاثة أمور: من قولٍ باللسان، واعتقادٍ بالقلب، وعملٍ بالجوارح.

لابد في الإيمان من اجتماع هذه الأمور الثلاثة، لابد من قول، وهو الشهادتان، ولابد من

اعتقاد بالقلب، وهو كل ما أمر الله تبارك وتعالى باعتقاده، ويدخل فيه جميع الحسنات الباطنة التي يكون محلها القلب.

والأمر الثالث: الأعمال الصالحة بالجوارح، وهي كل ما شرع الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من الطاعات، التي تقوم بالظاهر، يعني: التي يفعها الإنسان ببدنه، فلا إيمان إلا باجتماع هذه الأمور الثلاثة: قول، واعتقاد، وعمل.

وهذا أساسٌ مُهِم من أُسس أهل السنة الجماعة، في باب الإيمان.

وأساسٌ ثانٍ: هو أن هذا الإيمان يزيد وينقص، فأهل السنة والجماعة يعتقدون أن الإيمان يزيد وينقص.

وقد جاء النص على زيادة الإيمان، في ستة مواضع في كتاب الله تبارك وتعالى، ومن ذلك قول الله جل وعلا: ﴿**وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا**﴾ [الأنفال:٢]، كما جاء ما يتعلق بزيادة الإيمان بألفاظٍ مقاربة، كقوله جل وعلا: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى**﴾ [محمد:١٧]، وغير ذلك من الأدلة التي تدل على أن الإيمان يزيد، وإذا كان يزيد فهو بالتأكيد ينقص، لأن كل ما يقبل الزيادة، فإنه يقبل النقصان، وقد قال ﷺ: «**ما رأيتُ من ناقصات عَقْل ودِين أَذْهَب لِلُبِّ الرَّجُل مِن إحداهُنَّ**»، يعني: النساء.

إذًا يعتقد أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص، وهذا لا يحتاج فيه إلى دليل أكثر مما يُحسه الانسان في نفسه، فإنه تارةً يحس بأن الإيمان يزيد، وتارةً يحس بأن إيمانه قد نقص، وهذه قضية لا تقبل الاشتباه بوجه من الوجوه.

ثَمَّة أساس ثالث عند أهل السنة في الإيمان، **وهو**: أن النَّاس متفاوتون في الايمان ليس

النَّاس على درجة واحدة، بل بينهم بَون شاسع في الايمان، وقد دل على تفاوت النَّاس في الإيمان، قوله ﷺ كما في «الصحيحين»: «**عُرِضَ عليَّ النَّاسُ وعليهم قُمُص**» قُمُص يعني: جمع قميص، يعني: هذا الثوب الذي تلبسه، «**فمِنها ما يبلُغ الثُّدِي**»، تخيل ثوب يبلغ من القصر إلى حد الثدي، «**ومنها ما هو دون ذلك**» أقصر من هذه الحال، قال: «**ورأيتُ عمر بن الخطاب وعليه ثوبٌ يَجُرُّه**»، يعني: يلبس ثوبا ماذا طويلًا، قالوا: فما أوَّلْتَ ذلك يا رسول الله؟ قال: «**الدِّين**». والدين والإيمان بمعنى واحد.

إذًا النَّاس متفاوتون تفاوتًا عظيمًا في إيمانهم، وهم في الجملة على ثلاث درجات، جمعها قول الله تبارك وتعالى: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ**﴾ [فاطر:٣٢]، هذه الدرجات الثلاث، هي أولًا درجة أصل الإيمان، وأصحابها هم الذين أتو بأصل الإيمان، لكنهم مقصرون، واقعون في معاصٍ، لم يتركوا كل ما نهى الله عنه، وتاركون لبعض الأوامر، ما فعلوا كل ما أوجب الله، فهؤلاء في أدنى الدرجات، وأُدخلوا فيهم الفسّاق، والعصاة، وهؤلاء من أهل الوعيد، مُتوَعَّدون بالوعيد عند الله تبارك وتعالى.

المرتبة الثانية: مرتبة الإيمان الواجب، وهؤلاء أَتوا بأصل الإيمان، وزادوا على هذا فعل كل ما أوجب الله، وتركوا كل ما نهى الله عنه، فهؤلاء من أهل الوعد، فرْق بين أهل الوعيد وأهل الوعد، أهل الوعيد مُتوعَّدون بعذاب الله عَزَّوَجَلَّ، وناره وغضبه، وأما أهل الوعد فإنهم من أهل السعادة، الذي وعدهم الله عَزَّوَجَلَّ بجنته ورحمته ونعيمه، والله لا يخلف الميعاد.

المرتبة الثالثة: مرتبة الإيمان المستحب، وأهلها زادوا على المرتبة الثانية فعل

المستحبات، وترك المكروهات، والمشتبهات، وفضول المباحات، وهؤلاء في أعلى الدرجات، هؤلاء من أرفع ما يكون، وهم أهل الوعد أيضًا، ودرجتهم أعلى من درجة المرتبة السابقة.

وقد جمع النبيُّ ﷺ في ما يرويه عن ربه جل وعلا أهل هاتين المرتبتين، فقال ﷺ فيما يرويه عن ربه جل وعلا: «**من عادى لي وليًا فقد آذنتُه بالحرب**»، ثم قال: «**وما تقرَّب عبدي إليَّ بشيء أحبّ إليَّ مما افترضتُه عليه**»، هؤلاء أهل درجة الإيمان الواجب، ثم قال: «**ولا يَزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتَّى أُحِبَّه**».

إذًا أهل المرتبة الثانية والثالثة هم أهل الوعد، وهم متفاوتون في ذلك، إذًا حذارِ أن تظن أن النَّاس كلهم سواسية كأسنان المشط في الإيمان، كلا، بل بينهم تفاوتٌ عظيم، حتى أهل كل مرتبة هم فيها متفاوتون، ولذا فهذا تقسيم تقسيمٌ إجمالي، فينبغي عليك أن تعرف أين انت، هل أنت من أهل الوعد، أم أنت من أهل الوعيد، ضَع نفسك في المحل اللائق، ثم بعد ذلك اعمل في ضوء ما تريد، هل تريد أن ترتقي إلى الدرجة الأعلى أو أنت راضٍ بما أنت عليه.

إذًا معرفتنا بهذه المراتب تشحذ الهِمم للجد والاجتهاد، والسعي في الرقي إلى درجات أعلى، فإن الإيمان درجات عظيمة متفاوتة، ينبغي على الإنسان أن يفني ساعات عمره، في العمل على الارتقاء في هذه الدرجات، فإن منزلتك بحسب الدرجة التي تصل اليها في هذه الحياة.

إذًا هذه هي الأُسس التي قام عليها معتقد أهل السنة والجماعة في الايمان.

أولًا: أن الإيمان قولٌ وعملٌ واعتقاد.

وثانيًا: أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وأما الأمر الثالث: فهو أن أهل الإيمان متفاوتون في إيمانهم.

هذا الإيمان شُعب، وأعمالٌ كثيرة، كما قال النبي ﷺ: «**الإيمانُ بِضْعٌ وستون شُعبة**»، هكذا أخرجه الإمام البخاري، أو «**الإيمانُ بِضْعٌ وسبعون شُعبة**»، هكذا أخرجه الإمام مسلم، أو «**الإيمانُ بضْع وستون أو بِضْع وسبعون**»، على الشك، كما عند الإمام مسلم أيضًا.

قوله: (**أَعْلاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**).

ولاحِظ أنَّ ما ذكر النبي ﷺ في هذا الحديث، يجمع الأمور الثلاثة التي مضت، ذكر القول، والاعتقاد، والعمل، ولكن ثَمَّة أمورٌ ستة، هي أركان الإيمان، فلا إيمان إلا باجتماعها، وهي التي ذكر الشيخ من الدليل عليها في قوله جل وعلا: (﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ**﴾ [البقرة:١٧٧]).

والأمر السادس هو القدر، (﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ [القمر:٤٩]).

وقد جمع النبي ﷺ هذه الأركان الستة، كما في حديث جبريل المشهور المخرج في

«صحيح مسلم»، وسيأتي إن شاء الله في الكلام عن مرتبة الإحسان، «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الاخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**».

نأخذ نُبذةً يسيرة عن كل ركن من هذه الأركان.

أولًا: (الإيمان بالله جل وعلا)، وقد مضى الحديث عنه في الأصل الأول، ألا وهو معرفة العبد ربه، وقلنا إن الإيمان بالله جل وعلا يقتضي الايمان بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

ثانيًا: (الإيمان بالملائكة)، الملائكة خلق من خلق الله جل وعلا، خلقهم الله سبحانه من نور، وجَبَلَهم على طاعته، فهم دائبون في طاعة الله جل وعلا، ﴿**لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم:٦].

وهؤلاء الملائكة الكرام عبادٌ مأمورون، يدبر الله عَزَّوَجَلَّ بهم شؤون هذا الكون، وكلفهم الله تبارك تعالى بأعمال جليلة عظيمة، منها ما يتعلق بإنزال غيث القلوب، وهو الوحي، ومنها ما يتعلق بغيث الأرض، وهو المطر، ومنها ما يتعلق بشأن الجبال، ومنها ما يتعلق بحفظ بني آدم، ومنها ما يتعلق بكتابة أعمالهم، ومنها ما يتعلق بقبض أرواحهم، إلى غير ذلك من الأعمال الجليلة الكثيرة، التي دل عليها الكتاب والسنة.

إيمانُنا بالملائكة يقتضي أمورًا:

أولاً: نؤمن بوجودهم، فهم عبادٌ مخلوقون موجودون، وهم خلقٌ حقيقي، لهم صفات، فلهم أَيادٍ يفعلون بها، ويحبون، ويتكلمون، ويسمعون، وليسوا كما يقول طائفةٌ من العقلانيين الضالين: إنهم مجرد قوى لا حقيقة لها، هذا لاشك أنه باطل، بل تكذيب للكتاب والسنة، الملائكة مخلوقون، وإن كان أصْل خلقهم من نور، لكن هم كائنات، ولها تصرفات،

ولها أعمال، ولهم أعضاء يفعلون بها، منها ،نهم لهم أيدٍ،﴿وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام:٩٣]. كما أنهم يحبون، والله جل وعلا إذا أحب عبدًا نادى جبريل إني أُحب فلانًا فأحبّه، فينادي جبريل في أهل السماء، إن الله يحب فلانًا فأحبوه، إلى غير ذلك مما جاء في النصوص في شأنهم، إذًا نحن نعتقد بوجودهم.

ثانيًا: (أن نؤمن بما علمنا من أسمائهم)، جاء في الكتاب والسنة طائفةٌ من أسماء هؤلاء الملائكة، ومنهم: جبريل، ومنهم ميكائيل، ومنهم إسرافيل، ومنهم ما لك خازن النار، ومنهم المنكر والنكير؛ وهما الملكان الموكلان بمحاسبة العبد وسؤاله في قبره، أيضًا الحَفَظة، الذين يكتبون على ابن آدم اعماله، عزرائيل.

يشتهر عند بعض النَّاس أن ملك الموت اسمه (عزرائيل)، ولكن هذه التسمية غير صحيحة، ولم تثبت لا في الكتاب ولا في السنة، إنما الاسم الصحيح هو ما جاء في القرآن، ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾ [السجدة:١١]، إذًا اسمه: ملك الموت.

كذلك يشتهر أن (رضوان) خازن الجنة، لكن هذا لم يصح عن النبي صلى الله وسلم.

إذًا: نؤمن بما عَلِمْنا من أسماء الملائكة.

ثالثًا: (نؤمن بما عَلِمْنا من صفاتهم)، وقد ذكرت لك بعضًا منها، ومن ذلك: أنهم أولوا أجنحة مثنى وثُلاث ورُباع، يزيد في الخلق ما يشاء، ولذا رأى النبي ﷺ جبريلَ وله ستمائة جناح سَدّ بها الأفق، ومع ذلك يعطيهم الله عز وجل القدرة على أن يتشكلوا في صور مخصوصة، فهذا جبريل عليه السلام مع كونه على هذه الخلقة العظيمة، كونه سد الأفق في نظر النبي ﷺ، ومع ذلك فإنه أتى في صورة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، إذًا نؤمن بما

علمنا من صفات الملائكة رضي الله عنهم.

رابعًا: (نؤمن بما عَلمْنا من أعمالهم)، وقد علمت طرفًا أيضًا من هذه الأعمال، فمن ذلك أن جبريل عليه السلام موكلٌ بالوحي، وهو أجلّ الملائكة وأشرفهم، وأرفعهم قدرًا عند الله جل وعلا، وميكائيل موكلٌ بالقطر، يعني: المطر، وإسرافيل موكلٌ بنفخ الروح، كما انعقَد على هذا الإجماع، وهؤلاء الملائكة الثلاثة هم أشرف الملائكة، وجاء تسميتهم في كتاب الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وجاء في سنة النبي ﷺ.

كذلك من أعمال الملائكة: أنهم يكتبون أعمال ابن آدم، وذلك أن كل إنسان موكلٌ به ملكان، أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، وأين يكونان بالضبط؟ بعضهم يقول: على الكتفين، وبعضهم يقول: على العَنفَقَة، وبعضهم يقول: على الأضراس، وكل هذا لا دليل عليه، نحن نؤمن أنهما عن اليمين وعن الشمال، لكن أين بالضبط؟ الله تعالى أعلم، يكتبان على الإنسان كل شيء.

كذلك المُعقِّبات التي تحفظ ابن آدم، ﴿**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**﴾ [الرعد:١١].

كذلك المَلك الذي وكله الله عَزَّوَجَلَّ بالجبال، وغير ذلك من أعمال الملائكة. والملائكة خلقٌ كُثر، وأخبر النبي ﷺ كما في «الصحيحين»: أن البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون اليه آخر ما عليهم»، وتخيّل هذا العدد العظيم في كل يوم يدخل البيت المعمور، هذا العدد من الملائكة، ثم لا يعودون اليه البتّة، فهذا يدلك على أنهم كثر، ﴿**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ**﴾ [المدثر:٣١]، هذه القضية هي الركن الثاني من أركان الإيمان.

الركن الثالث: الإيمان بالكتب.

والكتب يُراد بها كلام الله عَزَّوَجَلَّ الذي أنزله على أنبيائه ورسله، وذلك أن الله تبارك وتعالى أنـزل كتابًا مع كـل نبـي، ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ**﴾ [الحديد:٢٥]، فالله جل وعلا من رحمته بعباده أنزل كتبًا تحوي كلامه تبارك وتعالى، فيه بيان عُبوديته جل وعلا، وحقوقه على عباده، وفيه بيان نعوته سبحانه وأسمائه، وما يجب على العباد تجاه ربهم ومعبودهم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وإيماننا بالكتب يقتضي أمورًا:

أولًا: أن نؤمن بأن الكتب هي من كلام الله تبارك وتعالى، تكلم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بها حقيقةً.

ثانيًا: نؤمن بما علمنا من أسماء هذه الكتب، والذي علمناه في الكتاب والسنة: (التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، وصحف إبراهيم، وصحف موسى على الخلاف)، هل هي صحفٌ مستقلة غير التوراة، أو هي التوراة؟

كذلك يجب علينا أن نؤمن بما جاء في هذه الكتب، من أخبارٍ صحّت في هذه الكتب، ومن ذلك؛ ما أخبرنا الله جل وعلا به في القرآن، ﴿**أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى** (٣٦) **وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى** (٣٧) **أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى** (٣٨) **وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى** (٣٩) **وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى**﴾ [النجم:٣٦-٤٠].

ولكن تَنبَّه في شأن الكتب إلى أمرين مهمين:

الأمر الأول: أن هذه الكُتب قد دخلها التحريف والتبديل، وبالتالي؛ فإنما يوجد الآن عند

أهل الكتاب، لا يُوثق بأنه كلام الله تبارك وتعالى، الذي أنزله على موسى، أو أنزله على عيسى عليهما الصلاة والسلام، فإن التحريف قد وقع، نعم لا يُنكر أن هناك قدرًا من هذا الموجود، هو من كلام الله جل وعلا، لكن لا نستطيع تمييز الصحيح من غيره.

الأمر الثاني: أن هذه الكتب قد نُسخت، نسخت بالقرآن الكريم، وبالتالي؛ فإن العمل يجب أن يكون بالقرآن فحسب، ولا يجوز أن يُعمل بغير القرآن، فالقرآن ناسخٌ مهيمنٌ على جميع الكتب التي تقدمت، إذًا هذا من الأمر المهم الذي ينبغي أن يتنبه له الإنسان.

والذي ينبغي على الإنسان؛ أن يحرص على عدم قراءة شيءٍ من هذه الكتب، وماذا يريد؟ فإن القرآن فيه الغَنى، وفيه الكفاية، ولا يحتاج الإنسان بعد ذلك إلى أن يقرأ غيره من الكتب، إنما أهل العلم قد يحتاجون إلى الاطلاع على شيءٍ من هذه الكتب، لتحقيق مصلحةٍ شرعيةٍ أو دعوية، أما غيرهم، فإنه لا ينبغي لهم أن يقرؤُوا شيئًا من هذه الكتب، وقد غضب النبي ﷺ، لمّا رأى عمر رضي الله عنه وهو يقرأُ صحفًا من التوراة التي أُنزلت على موسى عليه السلام، إذًا هذا أمرٌ ينبغي أن نتنبه له.

الركن الرابع: (الإيمان بالرسل)، والرسل هم عباد الله الأخيار المُصطفَين، الذين أرسلهم الله تبارك وتعالى إلى النَّاس، ليكنوا واسطةً بين الله جل وعلا، وهم -يعني: والنَّاس- في تبليغ دين الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

وإيمانُنا بالأنبياء والرسل، يقتضي أمورًا:

أولاً: أن نعتقد أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والرسل، هم أفضل البشر على الإطلاق، ولا يمكن أن يدانيهم في الخيرية والفضل غيرهم البتّة.

ثانيًا: أن ما اصطفاهم الله تبارك وتعالى به، من النبوة والرسالة شيءٌ مختصٌ بهم، فلا يمكن أن يُنال بأي وسيلة كانت، فبعض الضالين كان يظن ويتوهم أنه يمكن أن يصل إلى مرتبة النبوة من طريق الرياضة الروحية، والتأمل، الخلوة، وما شاكل ذلك، وهذا كله ضلال وانحراف، فالنبوة والرسالة اصطفاءٌ من الله جل وعلا واختصاص، لا يمكن الوصول إلى ذلك، إلا بأن يُنبِئ الله عَزَّوَجَلَّ عبدًا أو يرسله، وذلك قد انقضى وانتهى بختْم الأنبياء والمرسلين، وذلك ببعثة نبينا محمدٍ ﷺ.

أيضًا: يجب أن نعتقد أن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بشر من جملة البشر، وليسوا مخلوقاتٍ مختلفة، بل هم بشر، ويجوز عليهم ما يجوز على البشر، من الأمور الخلقية الجبليّة، هم بشر وإن كانوا صفوة البشر، هم بشر وإن كانوا خير البشر.

وأشرف صفاتهم وأعظمها: عبوديتهم لله تبارك وتعالى، ولذا أثنى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عليهم بالعبودية، في أشرف المقامات، ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى**﴾ [الإسراء:١]، إلى غير ذلك من هذه النصوص.

ومِن إيماننا أيضًا بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام: أن نؤمن بما عَلمْنا من أسمائهم، والذي علِمناه في الكتاب والسنة من أسماءهم قليل، والأكثر لم نعلمه، لأن الله جل وعلا إنما قص على نبيه ﷺ بعضًا منهم، ﴿**وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ**﴾ [النساء:١٦٤]، فنؤمن بأسماء من علمنا أسماءه، كإبراهيم ونوح وموسى وعيسى، وأشرفهم وخيرهم نبينا محمدٌ ﷺ، وهؤلاء هم أولي العزم من الرسل، ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾

[الشورى:١٣]، ولذا فنحنُ نؤمن أيضًا أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام متفاوتون في الفضل، فالرسل أفضل من الأنبياء، وأفضل الرسل هم: أولو العزم من الرسل، وهم الخمسة الذين ذكرت لك، وأفضل أولو العزم: الخليلان، (محمدٌ وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام)، وأفضل الخَلِيلَين: نبينا محمدٌ ﷺ، إذًا هو سيد ولد آدم، وسيد الأنبياء والمرسلين، وإمامهم ﷺ.

أيضًا: مما يجب علينا الإيمان به في هذا الباب: أن نؤمن بما علمنا من صفاتهم وأعمالهم، وجليل ما هم عليه من النعوت، إذا ثبت ذلك في القرآن والسنة، وقد جاء من هذا طائفةٌ من أخبارهم في القرآن والسنة، فيجب الإيمان بذلك كله.

الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر.

والإيمان باليوم الآخر: هو الإيمان بما يكون من الحياة بعد الموت، فإن من المعلوم بالاضطرار من دين الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام جميعًا، أن بعد هذه الحياة حياةٌ أخرى، حياةٌ يكون فيها حسابٌ وجزاء على ما كان من النَّاس في هذه الدنيا.

والإيمان باليوم الآخر يقتضي الإيمان بثلاثة أمور رئيسة، ويدخل تحت كل واحدٍ منها فروع ومسائل كثيرة.

أولًا: الإيمان بالحياة البرزخية.

وثانيًا: الإيمان بمواقف القيامة.

وثالثًا: الإيمان بالجنة والنار.

تفصيل ذلك: أن الحياة البرزخية هي الحياة التي ينتقل إليها الإنسان بعد مغادرته هذه

الدنيا، وهذه الحياة التي نَعيشُها، فإنه ينتقل إلى حياة برزخية.

سُميت (بَرْزَخِيَّة): مِن البَرْزَخ، والبرزخ: هو الحائلُ بين الشيئين، فهذه مرحلة ليست من الدنيا، وليست أيضًا من القيامة، بل هي قبل ذلك، ولكنها حياةٌ غيبية بالنسبة لنا، الله تعالى أعلم بها.

وتَنبَّه يا رعاك الله إلى قاعدةٍ مهمة، فهْمُها يَحُلُّ كثيرًا من المشكلات، التي قد ترد عليك نتيجة عدم فهم بعض النصوص، **فإن الروح لها تعلقات مختلفة بالبدن:**

التعلق الأول: تعلق الروح بالبدن، حال كون الإنسان جنينًا في بطن أمه، فإنه إذا مضى أربعون ثم أربعون ثم أربعون، كما ثبت في «الصحيحين» من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ، إذا مضت هذه المدة، وهي مائة وعشرون يومًا، فإن الله عز وجل يرسلُ ملكًا ينفخ في هذا الجنين الروح، إذًا هذا هو التعلق الأول.

التعلق الثاني: تعلق الروح بالبدن بعد خروجه من بطن أمه، وهذا تعلقٌ أكمل من الأول، وهو تعلق التكليف، الذي يتعلق به التكليف.

التعلق الثالث: تعلق الروح بالبدن حال كون الإنسان نائمًا، فإن الروح في هذه الحال مُتصلة بالبدن من وجه، ومنفصلة من وجهٍ آخر.

التعلق الرابع: تعلق الروح بالبدن حال كون الإنسان في قبره، يعني: في الحياة البرزخية، فالروح تُعاد إلى الجسد، إذا وضع الإنسان في قبره، ويكون حيًا، ولكنها حياةٌ أخرى، ليست هي هذه الحياة التي نعيشها، بل هذه حياةٌ غيبية، الله أعلم بكيفيتها.

التعليق الخامس: تعلق الروح بالبدن إذا نُفخ في الصور، وقام النَّاس وبُعثوا من قبورهم

لِرَب العالمين، لحسابهم وجزائهم، وهذا أكمل التعلقات؛ لأنه يتعلق به حياةٌ دائمة سرمدية لا نهاية لها، إما في نعيم، وإما في عذاب.

أَعودُ فأقول: الحياة البرزخية تبدأُ مُنذ قبض الروح، والمُمهِّد لقبض الروح مرحلةُ الاحتضار، وهي لحظاتٌ عَصِيبة، حتى إن أشرف الخلق ﷺ، لما وصل إلى هذه اللحظات أصابه شيءٌ عظيم، حتى إنه كان يضع يده عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الماء، ثم يمسح وجهه ويقول: «**لا إله إلا الله، إنَّ للموت لسكرات**»، السَّكْرة: هي الشدة، فله شدة، -نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يخفف عنَّا-، ثم إذا قبضت الروح ...، وقبْض الروح النَّاس فيه يتفاوتون، هذه الشدة تسبق قبض الروح، أما لحظة قبض الروح فإنها بالنسبة للمؤمن لحظة سهلة هَيّنة، فإن الروح تُقبض بسهولة، وقد جاء تشبيهُها في حديث النبي ﷺ، في حديث البراء الطويل، قال: «**فتَخرُج تَسِيل كما تَسِيل القطْرة من فِي السِّقاء**».

وأما الكافر -عافاني الله وإياكم من حاله- فإن روحه تُنزع نزعًا شديدًا، وهذا أول عذابٍ يناله في الآخرة، وما بعده أشد.

ثم يتعلقُ بالحياة البرزخية موقفان عظيمان: الأول: الفتنة، فتنة القبر، والثاني: عَقيب الفتنة أَلَا وهو عذاب القبر أو نعيمه.

أمَّا فتنة القبر: فإنها سؤال الملكين الميت عن ثلاث أسئلة: عن ربه، ودينه، ونبيه محمدٍ ﷺ؟

أمَّا الجواب فإن من عاش على هذه الحقيقة، مؤمنًا بها، ومعتقدًا إياها، مؤمنًا بالله، وبدِين الإسلام، ويتبع النبي ﷺ، فإنه سيجيب بالسداد، وأما غيره، فإنه سيقول: هاه هاه لا أدري،

سمعتُ النَّاس يقولون شيئًا فقلتُه، ثم بعد ذلك يكون النعيمُ أو العذاب.

والقـــبرَ فـــاذكُرْه ومـــا وراءَه　　　فمِنْـــه مـــا لأحـــدٍ بَـــراءَة

وإنَّـــه لَلْفَيصـــل الـــذي بـــه　　　يَنكشِـــفُ الحـــالُ فـــلا يَشْـــتَبِهِ

والقـــبرُ روضـــةٌ مـــن الجِنـــانِ　　　أو حفـــرةٌ مـــن حفـــر النِّيـــران

إن يَكُـن خيـرًا فالـذي مـن بعـده　　　أَكْـــرَمُ عنـــد ربنـــا لعبـــده

وإن يَكُـن شـرًا فمـا بعـد أَشَـدّ　　　ويـلٌ لِعَبـدٍ عـن سـبيل الله صُـدّ

النَّاس بعد هذه الفتنة إما في نعيم، وإما في عذاب، **وهذا العذاب يتعلّقُ بطائفتين:**

الأولى: الكفار، قال جل وعلا: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ [غافر:٤٦].

وأما العصاة، فإن النصوص قد دلّت على أن للمعاصي أثرًا في اقتضاء العذاب في القبر، بل جاء التنصيص على طائفةٍ من هذه المعاصي.

ومن ذلك: عدم الاستبراء من البول -وهذه مسألة مهمة ينبغي التنبه لها- بل صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ عامة عذاب القبر مِن البَولِ**».

والنَّاس في هذه المسألة طرفان ووسط: من النَّاس من يتساهل، فلا يبالي بقضية الاستبراء والتنزّه من البول والغائط، فيقوم قبل أن ينتهي، ولا يبالي ما وقع على جسده أو على ثوبه، وهذا مُتوعَّد بهذا العذاب ومن النَّاس من يتشدد في هذه المسألة حتى يقع في شيءٍ من الغلو والتنطّع، بل الوسوسة، وكلا طرفي قصد الأمور ذميمُ، **والوسط**: أن على الإنسان أن يتنزه، وأن يستبرئ، وأن يتنظف، ولكن لا يبالغ حتى يصل إلى هذا الغلو والتنطّع.

أيضًا من أسباب عذاب القبر التي تَقتضيه: النميمة، وهو ذاك الرجل وتلك المرأة،

صاحب وصاحبة النفس الخبيثة التي لا تستريح إلا إذا أوقعت بين النَّاس العداوة، تنقل الكلام من هنا إلى هنا، فهذا أيضًا مُتوعَّد بعذاب القبر.

أيضًا: رأى النبي ﷺ كما في «صحيح البخاري» من حديث سمرة رضي الله عنه، في رؤيا النبي ﷺ الطويلة، ورؤيا الأنبياء وحي، من ذلك رأى النبي ﷺ من يُعذب، بأن يُشْدَخ رأسه، قال: «**فرجلٌ آتاهُ الله القرآن، فلم يَقُم فيه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار**»، وفي رواية: «**وينام عن الصلاة المكتوبة**»، فاحذر يا صاحب القرآن، وتنبه يا أيها المصلي.

ومن ذلك أيضًا: ما رأى النبي ﷺ، ممن يشق شِدْقه -الشِّدْق: جانب الفَم-، رآه يُعذب بهذا العذاب، وذكر سبب ذلك، وهو أنه كذابٌ، يكذب الكذبة حتى تبلغ الآفاق، وهو ما نُسميه باللسان المعاصر (الإشاعات)، فتنبهوا يا أصحاب الأجهزة ويا أصحاب الواتس أب من نشر إشاعات لم تتحققوا من صحتها.

أيضًا رأى الذين يُعذبون في مثل التنور، وهم الزناة، عافاني الله وإياكم من ذلك.

أيضًا اسبال الثوب مع المخيلة، ففي حديث أبي هريرة في الصحيح، أن النبي ﷺ قال: «**بينما رجلٌ يلبس جُبَةً أسفل ثوبه تعجبه نفسه، إذْ خُسف به، فهو يَتَجَلْجَل في الأرض إلى يوم القيامة**»، وبه تعلم أن من العصاة من يستمر عذابهم -نسأل الله العافية والسلامة- إلى يوم القيامة.

ومن أعظم الأسباب التي تَقِي برحمة الله وتوفيقه من عذاب القبر: **تحقيقُ التوحيد والإيمان**، وجميع الأعمال الصالحة لها أثر في الوقاية من عذاب القبر، لكن بعضها لها خصوصية، **ومن ذلك**: قراءة سورة تبارك كل ليلة، فإنها المانعة، تمنع برحمة الله عَزَّوَجَلَّ من

عذاب القبر.

كذلك الذي يموت شهيدًا في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، فإنه يُوقَى من عذاب القبر.

ومباحث البرزخ وما يتعلق بها كثيرة، لكن علينا أن نؤمن أن العذاب والنعيم في القبر، واقع على الروح، ويتصل بالبدن أيضًا، هذه المرحلة البرزخية تنتهي في موقفٍ معين، ألا وهو النفخ في الصور، فإذا نُفخ في الصور انتهت الحياة البرزخية، وقامتِ القيامة، والنفخُ في الصور موقفٌ عظيمٌ، يُكلِّف الله عَزَّوَجَلَّ به الملَك الموكل بنفخ الصور، وهو إسرافيل عليه السلام.

والصُّور: قَرْنٌ ينفخ فيه، آلة تشبه هذه من حيث الأصل، تشبه هذه الآلة التي يزمر بها، ولكن لا شك أن الصُّور الذي جاء في النصوص شيءٌ أعظم من ذلك بكثير، الشاهد أنه إذا نُفخ في الصور، قام النَّاس من قبورهم لرب العالمين، وصفتهم في ذلك أخبر بها النبي ﷺ، يُبعث النَّاس حفاةً عراةً غرلًا، حُفاة: بلا نِعال، عُراة: بلا ثياب، غُرلًا: جمع أَغْرَل، يعني: الذي لم يُختَن، تعود تلك الجلدة التي قُطعت مِن الإنسان لمَّا اختُتِن، كما أخبر جل وعلا، يتحقق قوله سبحانه: ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ**﴾ [الأنبياء:١٠٤]، يقوم النَّاس على هذه الهيئة، ثم إن الله عَزَّوَجَلَّ يَكسُوهم، وأوّل مَن يُكسى: إبراهيم عليه السلام، كما ثبت في «الصحيح»، عن النبي ﷺ، ثم نبينا محمدٌ ﷺ، كما ثبت عن علي رضي الله عنه.

وأحوالُ النَّاس في بعثهم متفاوتة، ويُبعث الإنسان على ما مات عليه، حتى إن الشهيد يُبعث ودمه ينزف، اللون لون الدم، والريح ريح المسك، كذلك الذي يموت في إحرامه، فإنه يُبعث يوم القيامة ملبيًا.

ثم إن النَّاس إذا بُعثوا وقاموا من قبورهم، حُشروا إلى أرض المحشر، جُمعوا في تلك الأرض العظيمة، التي أخبر الله تبارك وتعالى: ﴿**يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ**﴾ [إبراهيم:٤٨]، وصفةُ هذه الأرض بينها النبي ﷺ في قوله: «**يُحشرُ النَّاس على أرضٍ بيضاء عَفْراء كقُرْصَة النَّقِي، ليس فيها مَعْلَمٌ لأحد**»، «بيضاء عفراء» يعني: بياضها ليس بياضًا ناصعًا، بل فيه شيءٌ من اللون القاتِم أيضًا، فهو بياض ليس بناصع، «**كقُرْصَة النَّقِي**»، القرصة يعني: الخُبزة، والنقي يعني: الدقيق النقي، والمقصود أنها أرضٌ مستوية، ليس فيها نُتوءات، وليس فيها حُفر.

قال: «**ليس فيها مَعْلَمٌ لأحد**»، ليس هناك أي علامات يُستدل بها، كما هو واقع النَّاس في هذه الدنيا، يستدلون بالأودية وبالجبال، وبعلامات مصنوعة، لكن يوم القيامة هذه الأرض ليس فيها مَعلمٌ لأحد، يجتمع النَّاس في هذه الأرض، وتحصل الكروب العظيمة، التي جاءت في الكتاب والسنة، حتى إن الشمس لتدنو من العباد دُنوًا عظيمًا، حتى تكون منهم على قدْر ميل، والله أعلم، هل هو ميل المسافة، كيلو ونصف تقريبًا، أو هو ميل المكحلة الذي يُكتحل بهِ.

المقصود: أن دُنُوّ الشمس من النَّاس، دُنُوٌ عظيم، حتى إنهم يَعرَقون، ويتفاوتون بحسب أعمالهم في العرق، منهم من يبلغ عرقُه كعبيه، ومنهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم من يبلغ حِقويه، ومنهم من يبلغ ثَديَيه، ومنهم من يُلْجمه العلق إِلْجامًا، ﴿**وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا**﴾ [الأحقاف:١٩].

ويشتدّ الكرب بالنَّاس جدًا، إلا مَن أراد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى بهم الخير، ومن أولئك السبعة

الأصناف الذين يظلهم الله عَزَّوَجَلَّ في ظله، يوم لا ظل إلا ظله، فهنيئًا لهم.

ثم إذا طال الكرب بهم، فإن النَّاس تستغيث بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ولاحِظ أن هذه الاستغاثة استغاثةٌ بحيٍ حاضرٍ قادر، فيبدءُون بآدم عليه السلام؛ لأنه أبو البشر، وأول الأنبياء، ثم بنوح، ثم بإبراهيم، ثم بموسى، ثم بعيسى، وكل يعتذر، وكلٌ يقول: نفسي نفسي، وكلٌ يذكر ذنبًا، إلا عيسى عليه السلام فلا يذكر ذنبًا، وكلهم يقول: «إنَّ الله قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله»، حتى تصل النوبة إلى نبينا الكريم محمدٍ ﷺ، فيقول: «**أنا لها**»، فيذهبُ، فيسجد تحت العرش، ويفتح الله عَزَّوَجَلَّ عليه بمَحامِد لم يكن يحسنها في حياته ﷺ، حتى يقول الله تبارك وتعالى: «**يا مُحمَّدُ ارْفَعْ رَأسَك، وسَلْ تُعطَ، واشفعْ تُشفّعْ**»، فيقول النبي ﷺ: «**أُمَّتي أمتي**...» الحديث.

الشاهد: أنه إذا حصلت الشفاعةُ العظمى -وهي المقام المحمود، الذي يحمده ﷺ عليه جميع الخلائق- فإن الله تبارك وتعالى يجيء لفصل القضاء، ويكون الحساب، الحسابُ موقفٌ من مواقف القيامة، **والمقصود به**: توقيف الله عَزَّوَجَلَّ العباد على أعمالهم، وتقريرهم بها، وتذكيرهم بما نسوه منها، والله جل وعلا سيخلو مع كل واحدٍ منّا، وسيقرره بذنوبه، وسيقول له: عملت كذا، يوم كذا وكذا، عملت كذا، يوم كذا وكذا، والعبد يقول: أعرف ربي، أعرف ربي، فإن أراد الله عَزَّوَجَلَّ بعبده خيرًا يقول: سترتُها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم.

وهذا موقفٌ عظيم، فيه الحياء من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى من هذا الموقف الذي يُذكَّر فيه الإنسان بسَوءاته وغدراته وفجراته.

ويقضي الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى في ذلك الموقف العظيم بين العباد، يقضي بينهم في المظالم،

وأول ما يُقضى فيه بين العباد في الدماء، وعلينا أن نعلم أن أول الأعمال التي يُسأل عنها: الصلاة، وأول ما يُقضى فيه بين العباد: الدماء، ثم يتلو ذلك ما يتعلق بالمظالم التي تكون بين العباد بعد الدماء.

ونتيجةُ هذه المحاكمة بين العباد، ليس فيها أموال تُدفع من طرف إلى آخر ليرضى به، إنما يكون الاقتصاص بالحسنات والسيئات، فيأخذ المظلوم من حسنات الظالم، وإذا فَنِيت فإنه يؤخذ من سيئات المظلوم، فتوضع على سيئات الظالم.

فَحَذارِ من مظالم العباد، احرِص ما استطعت على أن تلقى الله تبارك وتعالى وليس لإنسان عليك مَظلمة، لا قريب ولا بعيد، احرِص ما استطعت على ذلك، فإن هذا أقرب إلى النجاة.

ثم بعد موقف الحساب، يكون موقف الوزن، وموقف الوزن؛ حدٌّ فاصل بين أهل السعادة والشقاوة، والوزن في ضوئه يتحدد مصير الإنسان، ﴿**فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ**﴾ [القارعة:٦-٩].

والنَّاس في هذا الموقف العظيم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام، كل أعمالك سوف توزن، ما قدمته في حياتك من حسنات وسيئات، وما استمر أيضًا بعد موتك، من حسناتك وسيئاتك، وانتبهْ فإن الحسنات والسيئات قد تستمر بعد الموت، إذا كنت عملت عملًا صالحًا واستمر، كالذي يوقف وقفًا، كالذي يتصدق بصدقة وتبقى، الذي يربي أبناءَه على الخير، الذي يربيهم على الصلاة، فإن كل هذه الحسنات تستمر بعد موت الإنسان، والعكس صحيح، ما عمله الإنسان من سيئات، ولها ذُيول، تستمر بعد الموت، يكون الإنسان في قبره ليس مستفيدًا

شيئًا، لا يَلْتذّ بهذه السيئة، التي قدَّمها في الدنيا، ولكن سياته مستمرة، كتاب السيئات يُسجل فيه، وهو في قبره، ما شاء الله عَزَّوَجَلَّ من الزمان.

كذاك الذي يغادر الحياة، وقد ترك شيئًا مما يُعصى الله عَزَّوَجَلَّ به، في بيته من آلات اللَّهو مثلًا، أو من الأمور التي يوقفها في حياته، أو يتسبب في حصولها، وهي مما يُعصى الله تبارك وتعالى به، تخيَّل أيّ معصية تقع بسببك، فإنه يُسجل عليك مثل سيئة من عملها بالفعل، إذًا يا سعادة من تنتهي سيئاته بانتهاء حياته، واللهِ إنه لَسَعيد، الذي تنتهي سيئاته بموته، ولا تستمر بعد ذلك.

إذًا عندنا الأعمال التي عملتها، سواءً انتهت بموتك، أو استمرت بعد موتك، وعندنا أيضًا نتيجة المُقاصّة، بين العباد في المظالم من الحسنات والسيئات، هذه تدخل في الوزن أيضًا، وعندنا أمرٌ ثالث؛ وهو ما يهدى إلى الميت من حسنات، وقد تكلمنا في درسٍ سابق، أن الذي دلت عليه النصوص -وهو الراجح، والله تعالى أعلم- أنه يجوز ويشرع إهداء الصدقة، والنسك الحج، والعمرة، وقضاءُ الصوم الواجب، فإن هذا يصلُ ثوابه إلى الميت، فهذا أيضًا مما يدخل في الموازنة.

والمقصود: أن نتيجة الوزن تنقسم إلى ثلاث أحوال:

الحالة الأولى: أن تثقل كفة الحسنات، فمن ثقلت حسناته وزادت على سيئاته، ولو بواحدة، فإنه إلى الجنة مباشرة، نسأل الله من فضله، تصديقًا لقوله جل وعلا: ﴿**فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ** (٦) **فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ**﴾ [القارعة:٦-٧]، من زادت حسناته على سيئاته ولو بواحدة، دخل الجنة، إذًا أكثر يا رعاك الله من الحسنات ما تدري، رب حسنة تفعلها تكون

هي المرجحة لكفة الحسنات على السيئات.

الحالة الثانية: ترجح كفة السيئات على الحسنات، فمن ترجحت سيئاته على حسناته ولو بواحدة، فإنه من أهل الوَرْطة الكبيرة، ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ**﴾ [القارعة:٨]، يعني: خفَّت موازين حسناته، وبالتالي ثقَلُت موازين سيئاته، ﴿**فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ**﴾ [القارعة:٩-١١]، فاستَقِلّ ما استطعت من السيئات، فربما تفعل سيئة تكون هي المرجحة، وتُورِدك هذا المورِد العظيم.

الحالة الثالثة: أن تتساوى الكفتان، رجلٌ عنده حسنات، يقابلها سيئات بمقدارها، سواءً بسواء، والصواب في هؤلاء، وهو الذي عليه فتوى الصحابة رضي الله عنهم، أن يكونون من أهل الأعراف، الأعراف: مُرتفعٌ بين الجنة والنار، فيقفون على الأعراف، ما شاء الله أن يوقفوا، ثم بعد ذلك يكون مصيرهم إلى الجنة، لأن رحمة الله سبقت غضبه، كما قال جل وعلا في سورة الأعراف: ﴿**ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ**﴾ [الأعراف:٤٩].

مِن مواقف القيامة أيضًا التي علينا أن نؤمن بها: الحوض، وهو وجهٌ من أوجه إكرام النبي ﷺ، الله جل وعلا يكرم نبيه الكريم ﷺ، بأن يعطيه الحوض.

والحوض: هو مجمع الماء العظيم الذي يضعه الله تبارك وتعالى يوم القيامة، ويشرب منه المتبعون للنبي ﷺ.

واعلَم يا رعاك الله، أن للنبي ﷺ حوضَين عظيمَين، حوضًا في الدنيا، وحوضًا في القيامة، مَن شرب من حوض الدنيا، شرب من حوض القيامة، ومن لم يشرب من الحوض الدنيوي لم يشرب من الحوض الأخروي، الحوض الدنيوي هو سنة النبي ﷺ، وبالتالي فالنَّاس

متفاوتون، منهم من يُقِلّ، ومنهم من يُكثِر.

المقصود: أن هذا الحوض عظيم، وصفه النبي ﷺ كما في «الصحيح»، أن طوله شهر، وعِرضه شهر، وزواياه سواء.

صفات هذا الحوض: أن ماءه أبيض من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب من المسك، وكِنزانه وأباريقه كعدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا، وجاء عند مسند أحمد: «**ولم يسود وجهه أبدا**»، ويزاد عن هذا الحوض الذين ارتدوا عن الدين من هذه الأمة، وأيضًا الذين أحدثوا، والذين ابتدعوا، والذين غيروا في شريعة النبي ﷺ، فحذارِ حذارِ من البدع.

أيضًا من مواقف القيامة: موقف إيتاء الصحف، والله جل وعلا أخبر في كتابه في نصوص كثيرة، في آيات كثيرة، عن هذا الموقف العظيم، ﴿**وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا**﴾ [الإسراء:١٣]، مفتوحًا، لا تكلف نفسك فتحه، ستجده أمامك مفتوحا، ﴿**اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا**﴾ [الإسراء:١٤]، ﴿**وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ**﴾ [التكوير:١٠]، والنَّاس في تلقيهم لهذه الكتب مختلفون، ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ**﴾ [الحاقة:١٩-٢١].

وأمَّا الذي أدْبَر، وكفَر بالله عَزَّوَجَلَّ، فإنه يتلقى كتابه بشماله، وأيضًا من وراء ظهره.

أيضًا من مواقف القيامة -وهو موقف عظيم-: **الصراط**، وهو جسرٌ منصوبٌ على جهنم جاء في «صحيح مسلم»: أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «بلَغَنِي أن الصراط أدقُّ من الشَّعر، وأحدُّ من السف».

وهذا الصراط، أخبر النبي ﷺ/ أن عليه خطاطيف، وكَلاليب، وحَسَك، تأخذ من أُمرتْ به، فتُلقيه في النار، أو تجرحه.

والنَّاس في مرورهم على الصراط أحوالهم متفاوتة، يتفاوت حالهم من جهتين: من جهة النُّور والظلمة، ومن جهة السرعة والبُطْء.

أما النور والظلمة فإنهم قبل الصراط يكونون في ظلمة دامسة، ظلمة عظيمة، ثم يُعطون أنوارهم بحسب أعمالهم، أخبر النبي ﷺ، أن منهم من يُعطى نوره كالجبل بين يديه، ومنهم من يُعطى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يكون نوره عند إبهام قدمه، يضيء تارة، ويطفأ تارة، سبحان الله العظيم، شتان بين الأول والأخير، إذا أضيء تقدم، وإذا أُطفئ وقف، وهذا دليلٌ على ضعف الإيمان الذي أوصله إلى هذه المرحلة.

الأمر الثاني: تفاوتهم بحسب السرعة والبطء، فمنهم من يمضى على الصراط، كلمح البصر، هو أسرع ما يمكن أن يعرفه النَّاس في أحوالهم، ومنهم من يمضى على الصراط كالبرق، ومنهم من يمضي على الصراط كالريح، ومنهم من يمضي كأجاويد الخيل، ومنهم من يمضي كأجاويد الركاب، يعني: الإبل، ومنهم من يعدو عدوًا، يجري، ومنهم من يمشي، ومنهم من يَحبُو، وآخرهم يُسحب سحبًا.

الذين يَمرُّون على هذا الصراط صنفان: المُظهِرون للإسلام والمبطنون للإسلام، والمظهرون للإسلام المبطنون للكفر، يعني: المؤمنون والمنافقون.

ماذا عن الكفار المظهرين للكفر؟ هؤلاء يؤخذ بهم قبل ذلك إلى النار فيُلقون فيها، ولا يبقى في هذا الموقف قبل الصراط إلا الذين أظهروا الإسلام.

أحوال النَّاس، أو نتيجة المرور على الصراط، تنقسم إلى ثلاث أحوال:

الحالة الأولى: ناجٍ مُسلَّم، ناجٍ من الوقوع في النار، وسلِم من هذه الخطاطيف وهذه الكلاليب، وهؤلاء هم أهل السعادة.

الحالة الثانية: دونهم، وهو ناجٍ مخدوش، يعني: مُكْلَم، يعني: مجروح، وجاء في رواية: «**مَخْدُوجٌ به**»، مخدوج يعني: أُنقِص منه، كأن هذه الكلاليب أخذَت شيئًا من لحمه، ولكنه ينجو، ينجو وقد جُرح.

الحالة الثالثة: هو المكردَس في النار،أخذته هذه الكلاليب، وألقتْه في النار، وهؤلاء صنفان: المنافقون، والعصاة الذين ما شاء الله عَزَّوَجَلَّ رحمتهم والعفو عنهم.

ثم بعد هذا الموقف، الذي نجوا يوقفون على جسرٍ آخر، هو القنطرة، كما ثبت في حديث أبي سعيدٍ الخدري عن النبي ﷺ، فيما خرّج الإمام البخاري: «**إنَّ النَّاس إذا خلصوا، أُوقِفوا على قَنطرةٍ بين الجنة والنار، فيقتصّ لبعضهم من بعض مَظالِم كانت بينهم**» يعني: في الدنيا، وهذا اقتصاص أخص من الاقتصاص الأول، الذي يكون في موقف الحساب، وكأنه -والله تعالى أعلم- لكل واحدٍ على الآخر مظلمة، يعني: هذا ظلم هذا، وهذا ظلم هذا، قال: «**حَتَّى إذا عُذِّبوا ونُقُّوا أُذِن لهم بدخول الجنة**»، كأنه -والله تعالى أعلم- يُراد من هذا الاقتصاص تصفية القلوب، وإصلاح الصدور، حتى إذا دخلوا الجنة، لا يكون هناك شيءٌ من الغل، ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ**﴾ [الأعراف:٤٣]، ثم بعد ذلك، إذا وصلوا إلى الجنة وجدوا أبوابها مغلقة، فالجنة ممنوعةٌ على أهلها، حتى يشفع النبي محمدٌ ﷺ، فإذا شفع النبي ﷺ، فإنه يأذن الله تبارك وتعالى بدخول الجنة، وأول من يدخلها هو النبي محمدٌ ﷺ، وأول

من يدخلها من أمته، أبو بكر رضي الله عنه، وأول الأممِ دخولًا الجنة، هم أمة محمدٍ ﷺ، هذا الأمر الثاني الذي يتعلق به الإيمان باليوم الآخر.

أما الأمر الثالث فهو: الجنة والنار، وماذا يقال في هذا الأمر العظيم، هما دارا الخلد.

لكن تنبه إلى أمرين مهمين: أهل السنة والجماعة يعتقدون أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، وليس أنهما يُخلقان يوم القيامة.

والأمر الثاني: أن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن الجنة والنار باقيتان، لا تفنيان أبدًا، ولا يفنى أهلهما، كل زمن تقدره في ذهنك لبقاء الجنة والنار، فإنه الواقع أنه ستبقى الجنة والنار وأهلهما، وما زاد على ذلك إلى ما لا نهاية، فأهل الجنة خالدون فيها أبدًا، وأهل النار خالدون فيها أبدًا، والله تبارك وتعالى، إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، يناديهم فيَشْرَئِبُّون، فيُؤتى بالموت في صورة كبش، فيُذبح بين الجنة والنار، ويقال: يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت، ويا أهل النار خلودٌ فلا موت.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

الأسئلة

السؤال: هل الملائكة لهم القدرة على الاختيار، أم هم مجبورون؟

الجواب: لا، هم مجبولون، يسَّر الله عَزَّ وَجَلَّ لهم الطاعة، لكن ليسوا مجبورين، فلوا كانوا مجبورين فما وجه مدحهم أن يمدحهم الله عَزَّ وَجَلَّ بالطاعة، في قوله: ﴿**لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم:٦]، هذا تيسير، وهذا جَبْل، وهذا عِصمة من الله تبارك وتعالى،

لكن ليس إجبارًا.

إسرافيل عليه السلام هو الذي ينفخ في الصور، وهذا مُجمعٌ عليه، ونقل الاجماع على هذا جمعٌ من أهل العلم، كالحَليمي، والقرطبي، وغيرهما، وجاء هذا في أحاديث فيها بعض الكلام، لكنها معضودة، أو تعتضد بالاجماع.

قراءة سورة تبارك، كما جاء في الأحاديث يكون في الليل، كل ليلة تقرأها، احرص على ذلك، ثلاثون آية، لا تأخذ منك إلا حدود ثلاث دقائق أو أربع دقائق أو أقل حتى، وهي سبب من أسباب الوقاية من عذاب القبر، فلا تفتك هذه الغنيمة العظيمة.

السؤال: ما هو الصنف الأول من أصناف الإيمان؟

الجواب: لعلّه يريد المرتبة الأولى من مراتب الإيمان، قلنا: هي مرتبة أصل الإيمان، الذين معهم أصل الإيمان، عندهم الحد الذي خرجوا به من الكفر، ودخلوا الإسلام، لكنهم عصاة، ما فعوا ما أمر الله عَزَّوَجَلَّ به جميعًا، ولا تركوا مناهي الله عَزَّوَجَلَّ جميعًا.

السؤال: ما هي الأمور الثلاثة التي يتضمنها الإيمان باليوم الآخر؟

الجواب: أنا قلتُ على سبيل التقريب والتفهيم، هناك ثلاثة أمور رئيسة في مباحث اليوم الآخر:

أولًا: الحياة البرزخية.

ثانيًا: مواقف القيامة.

ثالثًا: الجنة والنار.

السؤال: هل يُشترط في كل وضوء أن يُستنجى أم لا يشترط دخول الحمام، إذا هناك

رِيح؟

الجواب: الاستنجاء واجب عند قضاء الحاجة، أما إذا لم يكن للإنسان حاجة في الخلاء، يعني: ليس هناك شيءٌ من الخارج، يعني: البول أو الغائط، فإنه لا حاجة أن يستنجي الإنسان، وإنما يتوضأ إذا لم يكن متوضئًا.

أمَّا الريح فإنه لا يُستنجى له، الريح التي تخرج من الإنسان، فإنه لا يُستنجى لها، لكن يجب أن يتوضأ إذا خرجت منه.

السؤال: ما المقصود بقوله تعالى: ﴿**يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا**﴾ [يس:٥٢]؟

الجواب: الصحيح في هذه الآية أن المقصود: هو أن أهل القبور جميعًا يرقدون رقدة، ينامون نومة، وذلك بين النفختين، وبين النفختين نفخة الصعق ونفخة البعث **أربعون**، والله تعالى أعلم ما هي هذه الأربعون، هل هي أربعون سنة أو يوم أو شهر، الله تعالى أعلم، المقصود: أنها أربعون، تفصل بين النفختين، فيها يُفتّر العذاب عن المعذبين، وينامون جميعًا نومةً، حتى إذا نُفخت النفخة الثانية فإن النَّاس تقوم، ولذلك هؤلاء الكفار يقولون: مَن بعثنا من مرقدنا؟ فيُجابُون -إما من الملائكة، أو من المؤمنين، على خِلاف بين المفسرين- ﴿**هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ**﴾ [يس:٥٢].

فهذا هو الصحيح في تفسير هذه الآية، وهو قد جاء عن أُبي بن كعب رضي الله عنه، ومثل هذا إذا جاء عن الصحابة، فإن لهم حكم الرفع.

السؤال: في أيّ وقت من الليل تُقرأ سورة الملك؟

الجواب: في أيّ وقت من الليل؛ لعموم ما جاء في الأحاديث والآثار.

السؤال: ما الدليل على تعلق العذاب في القبر بالروح والبدن؟

الجواب: الدليل على ذلك، أنه جاء في النصوص ذِكر شيء يتعلق بالجسد، كقوله ﷺ، لمَّا ذكر الرجل الذي لا يجيب على سؤالات الملائكة، قال: «**فيُضرَبُ بمِرْزَبةٍ على رَأْسِه**»، أو قال: «**بَيْنَ عَينَيهِ**»، كما جاء أنه تختلف أضلاعه، يُضيق عليه في قبره حتى تختلف أضلاعه، وهذا كله من صفات الأجساد.

إذًا الأصل في وقوع النعيم والعذاب: هو أن يكون على الروح، ثم يتصل بعد ذلك على البدن، إذا شاء الله تبارك وتعالى. والله تعالى أعلم.

والحمد لله رب العالمين

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللهُ:

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ؛ وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ، وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَن تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة:١٧٧]، ودليل القدر قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].



قَالَ الشَّارِح وفَّقَهُ الله:

فقد مضى في درس أمس بيانُ أركان الإيمان الخمسة، وبقي السادس، ألا وهو الإيمان بالقدر.

والإيمان بالقدر شأنه عظيم، فإن القدر أمرٌ عظيم، بل هو بحرٌ لا ساحل له، والشرع فيه سفينة النجاة، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها فهو من المغرقين.

الإيمان بالقدر أهم مسائله:

أولاً: أن تعتقد أن كل ما يقع في هذا الكون، فإنه راجعٌ إلى علم الله، وكتابته، ومشيئته، وخَلقه، هذه الأمور الأربعة، تسمى عند أهل العلم: مراتب القدر، وقد أجمع عليها الرسل وأتباعهم، وأطلع عليها السلف الصالح قاطبة.

والمراد: أن يعتقد الإنسان أولًا أن كل شيءٍ يقع في هذا الكون، فإن الله تبارك وتعالى قد علمه بعلمه القديم الأزلي، فالمسلمون يعتقدون أن الله جل وعلا بكل شيءٍ عليم، وعلمه

وسع كل شيء، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧]، عَلم جل وعلا ما كان، وما هو كائن، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، من المُمكنات والممتنعات، إذًا لا يمكن أن يقع شيء البتَّة إلا وقد علمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قبل أن يقع.

ثانيًا: أن نؤمن بأن الله كتب في اللوح المحفوظ، كل ما سيقع في هذا الكون، الله جل وعلا كتب مقادير كل شيء، كما قال النبي ﷺ فيما خرجه الإمام مسلم: «**إنَّ الله كتبَ مقاديرَ كل شيء قبل خلق السموات والأرض بخمسين أَلْف سَنة، وعَرشُه على الماء**»، فكل شيء يقع في هذا الكون فهو مكتوبٌ في اللوح المحفوظ، وهو محفوظٌ من الزيادة والنقصان، لا يدرأ عليه تبديلٌ ولا تغيير.

ثالثًا: أن نعتقد أن كل شيءٍ يقع في هذ الكون، فإن الله جل وعلا هو الذي شاءَه، المشيئة هي المُوجبة للأشياء على الحقيقة، فإنما تقع الأشياء عَقِيب مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن،

ما شِئتَ كان وإن لم أَشأْ وما شئتُ إن لم تَشأْ لم يكُن

فالشيء الذي شائه الله جل وعلا، فإنه واقعٌ ولابد، ولا يُدافَع الله ﷻ في كونه وملكوته، فإذا شاء جل وعلا حصول أمر، فإنه يقع قطعًا، قال جل وعلا: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير:٢٨-٢٩].

واعلَم -يا رعاك الله- أن الله سبحانه يحب ما لا يشاء، ويشاء ما لا يحب، ما يقع في هذا الكون مما لا يُحبه الله جل وعلا من المعاصي والكفر والظلم، ووجود إبليس، وما إلى ذلك، فهو واقعٌ بمشيئة الله سبحانه، فإنه جل وعلا لا يُعصى إلا بمشيئته، ولا يمكن أن يقع

شيءٌ البتة، إلا بمشيئة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وينبغي أن تعلم أن لله تبارك وتعالى حكمةً بالغة في مشيئة ما يكره، فالله جل وعلا يشاء ما يكره، لأنه يفضي إلى ما يحب، الله جل وعلا يشاء ما يكره، لأنه يفضي إلى ما يحب، إذًا صارت هذه الأمور المكروهة لله جل وعلا، مرادةً لغيرها لا لذاتها، الله لا يحبها، بل يبغضها، لكنها شاءها لأنه يترتب على وجودها ما يحب.

لمَّا شاء جل وعلا حصول المعصية، وهي مبغوضةٌ له من العبد، فإنه يترتب على وجودها ما يحب، فتحصل التوبة مثلًا، والتوبة محبوبةٌ لله، ﴿**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾ [البقرة:٢٢٢]، إذًا تنبه إلى هذه المسألة المهمة، فبعض الناس يقول: كيف يشاء الله ما لا يحب؟ فيُقال: يشاء ما لا يحب، لأنه يفضي إلى ما يحب، وباب الحكمة بابٌ عظيم، ربما يظهر لنا شيءٌ يسير من الحكمة، لكن كثير من ذلك مخزون عنَّا علمه، وأنَّى لِلْعبد الضعيف الفقير الناقص أن يحيط علمًا بحكمة العظيم الكبير الواسع سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، حسْبُنا أن نعلم قطعًا، وأن نستيقن قطعًا أن الله تبارك وتعالى له حكمةٌ بالغة في كل ما يخلق، وفي كل ما يقدر، وفي كل ما يشاء، وفي كل ما يشرع، فإن ظهرت لنا الحكمة من ذلك فالحمد لله، وإلا فنقطع أن لِما يشاؤه الله جل وعلا حكمة، وإن كنا لا نعلم تفاصيلها، كما أنه جل وعلا قد يُحب ما لا يقع، يعني: يحبُ ما لا يشاء، وهذا أيضًا راجعٌ إلى حكمة الله تبارك وتعالى، الله جل وعلا يحبُ الإيمان، يُحبه من جميع الناس، ولكنه شاء تبارك وتعالى أن لا يؤمن كثيرٌ من الناس، وذلك أيضًا لحكمةٍ له جل وعلا.

إذًا تنبه إلى هذه القاعدة المهمة، (قد يشاء الله ما لا يُحب، وقد يُحبُ ما لا يشاء)، وكل

ذلك متعلقٌ بحكمته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فهو أحكم الحاكمين.

رابعًا: أن تعتقد أن الله تبارك وتعالى خلق كل شيء، ليس ثَمة موجود إلا شيئان: خالقٌ ومخلوق، واللهُ جل وعلا هو الخالق وحده، وكل ما سواه فهو مخلوق، ﴿**اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ [الزمر:٦٢]، ﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ [الفرقان:٢]، إذًا كل شيءٍ فهو مخلوق، أعيانًا، أو صفاتٍ، أو أفعالًا، حتى فِعْلك أنت الذي تفعله من قيام وقعود، وذهابٍ ومجيء، وصلاةٍ وصيام، كل ذلك مخلوقٌ لله تبارك وتعالى، فالله سبحانه خلق كل شيء،

أو لَيسَ قد قام الدليلُ ... بأنَّ أفعالَ العبادِ خَليقةُ الرحمنِ

مِن ألْف وَجْهٍ أو قريب الألْف ... يُحصِيها الذي يُعنَى بهذا الشَّانِ

فكل شيء خلقه الله تبارك وتعالى، فالله ﷻ خلق أفعال العباد، وإن كانت كسبًا لهم -إذًا تنبَّه إلى هذه المسألة المهمة- أفعال العبادِ، فعل وكسبٌ لهم، وهي خلْق من الله تبارك وتعالى، فالله ﷻ هو المُقيم، والعبد هو القائم، الله ﷻ هو الذي جعل العبد مصليًا، والعبد هو الذي صلى، وتأمل في قول الله جل وعلا: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**﴾ [الأنبياء:٧٣]، فهم يهدون، الفعل قائمٌ بهم، والله هو الذي جعلهم كذلك.

إذًا أفعال العباد يُنظر لها من جهتين: من جهة كسبها، وفعلها، هي فعل للعبد، ولذا هو محاسبٌ عليها، ﴿**هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [النمل:٩٠]، وهي من جهةٍ أخرى خلق لله تبارك وتعالى، خلقها الله كما خلق كل شيءٍ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

ولك أن تفهم هذه المسألة بشيءٍ يُقرّبه إلى ذهنك، ألا وهو: أن تعلم أن الله سبحانه لحكمته يخلق الأشياء تارةً بلا واسطة، ويخلق تارةً بواسطة، فخلق آدم عليه السلام بلا

واسطة، وخلق حواء بواسطة؛ وهي آدم، خلقنا نحن بواسطة الوالدين، وهَلُمّ جرّا، ومن ذلك أفعال العباد، خلقها الله تبارك وتعالى بواسطتنا نحن.

الأمر الثاني -الذي ينبغي أن نتنبه له بعد هذه القاعدة الأصلية المهمة-: وهي أن كل ما في الكون راجعٌ إلى علم الله، وكتابته، ومشيئته، وخلقه، يعني: إلى مراتب القدر، وهذه القاعد أهمّ قواعد القدر، وأنت إذا فهمت هذا الأمر، اتضح لك باب القدر جليًا بتوفيق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، احفظ هذه المراتب الأربعة:

عِلْم كتابةُ مَولانا مَشيئتُه   وخَلْقُه وهو إيجادٌ وتَكْوِينُ

قاعدةٌ ثانية مهمة في باب القدر، هي: أن الهداية والإضلال بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهوي يهدي من يشاء نعمة منه وفضلًا، ويضل من يشاء حكمة من وعدلًا.

الهداية والإضلال إنما هي من الله تبارك وتعالى، فالعباد ما اهتدوا إلى لأن الله هداهم.

واللهِ لولا اللهُ ما اهتدينا   ولا تَصدَّقنا ولا صَلَّينا

ولو شاء الله أن لا نهتدي فلن نهتدي.

كذلك الإضلال، الله جل وعلا يضل من يشاء، فهو الذي يضل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما أنه هو الذي يهدي، ولكن هدايته سبحانه راجعة إلى تفضّل منه جل وعلا، تأمل في قول الله سبحانه: ﴿**وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ**﴾ [الحجرات:٧]، هذه هي الهداية، الله هو الذي فعل هذا، هو الذي حبب الإيمان، وهو الذي كرّه الكفر والفسوق، ثم قال: ﴿**فَضْلًا مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً**﴾ [الحجرات:٨]، القضية محض فضلٍ من الله جل وعلا، لم تهتدِ لنسبك، لم تهتدِ لاجتهادك، لم تهتدِ لذكائك، إنما هو فضل محْض من الله

جل وعلا، ﴿فَضْلًا مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً﴾، وهذا الفضل راجع إلى عِلم الله وحكمته، ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات:٨]، تأمَّل ختْم الآية بهاذين الاسمين العظيمين، ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، إذًا الله عَليم بالمحل المناسب لفضله جل وعلا، فاقتضتْ حكمته أن يضع الفضل في محله.

أمَّا الإضلال فإنه راجع إلى عَدْل وحكمة منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالله قد أنزل الكتب، وأرسل الرسل، ومكَّن من الهداية، فأعطى الأسماع والأبصار والأفئدة، ولم يَحُل بين الإنسان وبين العلم بالحق، ثم إذا أَبَى العبد وانصرف عن الحق، فإنه يستحق أن يُعاقَب بأن يصرف الله تعالى قلبه.

تأمل في قول الله جل وعلا: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ [فصلت:١٧]، الهداية هنا هي هداية الدلالة والإرشاد، الله ﷻ بصّرهم بالحق، وبين لهم الهدى، ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾، لكن ما الذي حصل منهم، استجابوا، أقبلوا على الحق؟ كلا، انصرفوا، ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾[فصلت:١٧]، إذًا استحقوا أن يضلهم الله تبارك وتعالى عقوبة على إعراضهم، ﴿وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ [النساء:٨٨].

إذًا: إذا أضل الله جل وعلا من أضل، فإن هذا راجع إلى عدله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأن الإضلال عقوبة، ووضْع العقوبة في محلها عدل أو ظُلم؟ عَدْل، والعدل محمود أو مذموم؟ محمود، إذًا هذا راجع إلى عدل من الله تبارك وتعالى.

فتَنَبَّه إلى هذه المسألة المهمة، وهي: أن الله ﷻ إذا أضل، فإنما أضل لأن هذا الإضلال عقوبة واقعة على من هو مستحق لذلك، كما قال سبحانه: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ هذا هو الإضلال، ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام:١١٠]، لمَّا

جاء الحق، ووصلتهم الدعوة، كان يجب عليهم أن يقبلوا، وأن يُذعِنوا، وأن يَنصاعوا إلى الحق، لكنهم أَبَوا، فاقْتَضَت حكمة الله جل وعلا، أن يضلهم، وأن يصرف قلبهم، ﴿**ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ**﴾ [التوبة:١٢٧]، إذًا الله جل وعلا إن أظل، فاعلم يقينًا أن هذا ليس ظلمًا منه، بل الظلم قد حرمه سبحانه على نفسه: «**يا عبادي إني حرمتُ الظلم على نفسي، وجعلتُه بينكم محرما**»، ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**﴾ [الليل:٥-١٠]، إذًا الهداية نعمةٌ من الله وفضل، والإضلال حكمةٌ من الله وعدل.

هذا باختصار ما يتعلق بموضوع القدر.

والنصيحة لك -يا رعاك الله- أن تُوغِل في هذا الموضوع برفق، وأن لا تزد على حدود ما ورد، فإن البحث في باب القدر، التعمّق والإيغال فيه قد يوصل إلى مَعاطِب، القدر كما قال السلف: «سِرّ الله فلا نكشفه»، ولذا جاء في بعض الأحاديث عن النبي ﷺ: الأمر بالكَفّ عن الخوض في موضوع القدر، «**وإذا ذُكِر القدرُ فأمْسِكُوا**»، يعني: أمسكوا عمَّا زاد عن حدود ما جاء في النصوص، أما ما جاء في النصوص فلابد من التفقه فيه، أما ما فوق ذلك فقِفْ، واحذَرْ، إيَّاك من هذه الأسئلة التي قد توقع في القلب شبهات ومشكلات، اقطعِ الذريعة إلى الشر، السؤال عن حكمة الله ﷻ في الهداية والإضلال، في الإعطاء والمنع، هذه أسئلة من فوق مقدور العباد، أن يصلوا إلى العلم بها، هذا أمرٌ عظيم فوق طاقة العباد أن يصلوا إليه.

وأصلُ ضلالِ الخلْق مِن كل فرقةٍ   هو الخوضُ في فِعْل الإله بعلَّة
فإنهمُ لم يفهموا حِكمةً لَه   فصاروا على نوعٍ من الجاهلية

إذًا احذر من سؤال (لِمَ) في باب القدر، كما عليك أن تحذر بـ(كيف) في مسائل الغيب، احفظ هذه القاعدة: (سؤالان ممنوعان في بابين: «كيف» في باب الغيب، و«لِمَ» في باب القدر).

(كيف في باب الغيب)، أن تسأل: كيف صفة الله ﷻ؟ كيف استوى على العرش؟ كيف ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة؟ كيف يضحك؟ وكيف يغضب، وكيف وجهه، وكيف يده تبارك وتعالى؟ (كيف) في هذا الباب البحث فيه ممنوع، كما أن السؤال بـ(لِمَ) أيضًا ممنوع، ليس لك أن تخوض فيه، بل هذا مما اختص الله تبارك وتعالى بعلمه، فقِف حيث جاءت النصوص، واعلَم يقينًا أن الله تبارك وتعالى عدلٌ لا يظلم، وأن له حكمة بالغة تبارك وتعالى.

قوله: (**الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ -رُكْنٌ وَاحِدٌ-، وَهُوَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**).

ختَم الشيخ الكلام عن مراتب الدين الثلاث: (الإسلام، والإيمان، والإحسان) بذكر هذا الأمر الثالث، ألا وهو (الإحسان).

الإحسان ركنٌ واحد، بيَّنه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بقوله المستفاد من حديث النبي ﷺ: (**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**).

المراد بالإحسان: هو كمال الإخلاص والمراقبة، وإتقان الطاعة.

إذًا حقيقة الإحسان: أن تتقن وتحسن المرتبتين السابقتين، ألا وهما الإسلام؛ وهو الدين الظاهر، والإيمان؛ وهو الدين الباطن، فمتى ما وصل الإنسان إلى هذه المرحلة، بحيث حقق لله ﷻ كمال العبودية، ظاهرًا وباطنًا، فإنه يكون قد وصل إلى مرتبة الإحسان، وهذه المرتبة

عُليا، لا يصل إليها إلى الأفراد، الكلام فيها سهل، ولكن أن يحققها الإنسان بالعمل هذا أمرٌ ليس باليسير، بل يحتاج إلى جدٍ واجتهادٍ ونشاط، والموفق مَن وفقه الله تبارك وتعالى، فالإحسان أعَمّ من حيث معناه، وأخصُّ من حيث أهله.

(الإحسان أعمُّ من حيث معناه)؛ فإنه يشمل المرتبتين السابقتين، ويَزيد بكمال الإخلاص والمراقبة لله تبارك وتعالى، **(وهو أخصّ من حيث أهله)**، فإنه لا يصل إلى هذه المرتبة إلا قِلَّة ممن حققوا مرتبة الإسلام ومرتبة الإيمان قبل ذلك.

إذًا هذه المراتبُ الثلاث يمكن أن تتصورها بأنها دوائر، بعضها أخص من بعض، فالدائرة الكبرى هي دائرة الإسلام، والدائرة الأخص؛ دائرة الإيمان، ﴿**قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ [الحجرات:١٤]، إذًا أول ما يدخلُ الإنسان في الدين، يصل إلى مرحلة الإسلام، الاستسلام الظاهر، بفعل أركان الإسلام، وقد يكون الإنسان محققًا للإيمان الباطن، وقد لا يكون، ربما يكون منافقًا، يظهر الإسلام ويبطن الكفر، ثم يرتقي إلى تحقيق الإيمان الباطن، وهي مرتبة الإيمان، ﴿**وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾، ثم يرتقي بعد ذلك بالمجاهدة والجد في الطاعة إلى المرتبة الثالثة، وهي مرتبة الإحسان.

إذًا الإحسان أعَمّ من حيث معناه، وما يدخل فيه من الأعمال، وأخص من حيث أهله، فلا يرتقي إلى هذه المرتبة إلا الصَّفْوة الكُمَّل من عباد الله المتقين.

الإحسانُ على رفعته وكماله، هو أيضًا على مرتبتين، دل عليهما الحديث، وهو ما عرّف به الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **ألا وهُما:**

المرتبة الأولى: أن تعبد الله كأنك تراه، هذه مرتبة التطلّع.

والمرتبة الثانية: فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وهي مرتبة الاطّلاع.

المرتبة الأولى لاشك أنها أشرف وأعلى، والذين وصلوا إليها من المحسنين أرفع درجة، وهي مرتبةٌ تعني أن الإنسان يعبد الله ﷻ على كمال المحبة والشوق، كأنه يرى الله تبارك وتعالى، لمّا وقع في قلبه عظيم الإيمان بالله، والمحبة له، والتعلق به، وقصده بكل حال، حتى إنه صار بقلبه وجوارحه لا يقصد إلى الله تبارك وتعالى، أضحى كأنه يعبد الله ﷻ وهو يراه، هو لا يمكن أن يراه في الدنيا، في «صحيح مسلم»، قال ﷺ: «**تَعلَّموا أنكُم لن تَرَوا ربكم حتى تَمُوتُوا**»، «تعلّموا» فعل أمر، علينا أن نتعلم هذا الأمر، في الدنيا لا يمكن أن نرى الله تبارك وتعالى، «**تَعلَّموا أنكُم لن تَرَوا ربكم حتى تَمُوتُوا**»، لكن الذي يحصل لأهل هذه المرتبة: هو أنهم يستحضرون بقلوبهم عظمة الله تبارك وتعالى، وما وقَر في نفوسهم من الإيمان بنُعُوته وصفات جلاله وجماله جل وعلا، فأصبحوا كأنهم يرونه جل وعلا بعظمته وكبريائه، عالٍ على خلقه، مُستوٍ على عرشه، يسمع ويبصر ويدبر ويتكلم تبارك وتعالى، إذًا مَن عبد الله جل وعلا على هذه الهيئة والصفة، فلاشك أنه سيأتي بعبادةٍ من نوعٍ آخر، لا يتصورها مَن كان لم يشم لهذه المرتبة رائحة، فهذا يعبد الله على مرتبة الشوق والتطلع، فإن لم يصل إلى هذه المرحلة، فلا أقل من أن يعبد الله ﷻ وهو يعتقد أن الله يراه، في كل حركة، وفي كل سَكَنة، وفي كل دقيقٍ وجليل، وفي كل خطوة يخطوها، فإنه يستحضر أن الله تبارك وتعالى مطلعٌ عليه، وبالتالي تثمر له مرتبة المراقبة، أن يحسِن ويتقِن ويخشى ويتقي الله تبارك وتعالى.

لو تأملت -يا رعاك الله- في حال الإنسان الذي يراقبه إنسان جليلٌ في عينه، كأستاذه، أو شخص مرموق في قبيلته يطالعه أو يضع له مراقبة، كاميرات مراقبة، هو دائمًا تحت عين هذا الذي يحترمه ويُقدره، بالله كيف سيكون في تصرفاته؟ سيُراعي أدَقّ التفاصيل، حتى ربما في حركات يده، وفي كلمات لسانه، سيبدأ يتعامل بدقة، لأنه يعلم أنه مراقب، فهو يستحي أن يظهر في صورةٍ غير لائقة، أمام هذا الذي يستحي منه، فلِمَ لا يستحي الإنسان من الله العظيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ! وهو يراك في كل حال، ولا يمكن أن تخفى عليه خافية، بل هو سبحانه يطلع على خفايا قلبك، الأسرار والخلجات التي تكون في فؤادك، فإن الله تبارك وتعالى مطّلع عليها.

إذًا مَن عبد الله سبحانه على هذه الحال، فلاشك أن سيُحسن طاعته لله تبارك وتعالى، ونسأل الله أن يعفو عنَّا، وأن يسامح في أن نتكلم في شيءٍ ما عرفناه، ولا شمَمْنا له رائحة.

قوله: (**وَالدَّلِيلُ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾** [النحل:١٢٨])، فاستدل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على مرتبة الإحسان بقوله تعالى: (**﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾**).

ووجه الدِلالة: في قوله: (**﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾**)، فمن وصل إلى مرتبة الإحسان، فإنه يكون مُحسنًا، وينال هذا الفضل العظيم، وهو أن يكون الله جل وعلا معه، وتنبه إلى أن هذه المعيّة، معيةٌ خاصة، تقتضي من الله جل وعلا حفظًا وتأييدًا ونُصرة، وهي قدْرٌ زائد على المعيّة العامة التي تكون من الله تبارك وتعالى لكل الناس، فالله مع الناس كلهم، بمَعِيَّته العامة التي تقتضي علمه واطلاعه وإحاطته وسمعه وبصره، فالله مع جميع الناس بهذا العلم، وبهذا

الاطلاع، وبهذه الإحاطة، وهو مع خواص عباده بمعيةٍ زائدةٍ على السابقة، كما قال جل وعلا عن نبيه محمدٍ ﷺ:

﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة:٤٠]، وقال لِنَبيَّيه ورسولَيه موسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه:٤٦]، فهذه المعيّة يا سعادة مَن نالها، من كان الله تبارك وتعالى هو الذي يؤيده، وهو الذي يرعاه، وهو الذي ينصره، فأيّ شيءٍ يخاف، وأي شيءٍ يخشى، إذا كان ملك الملوك تبارك وتعالى معك، ويَعدُك بنصره وتأييده وحفظه، فإن الإنسان بعد ذلك لا يخشى شيئًا البتَّة.

إذًا المقصود: أن هذه الآية دلّت على مرتبة الإحسان وثمرتها.

قوله: (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الشعراء:٢١٧-٢٢٠]).

هذه الآية، وجه الشاهد فيها قوله: (﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾) فعلى أيّ المرتبتين من مرتبتي الإحسان دلّت؟ على المرتبة الثانية، (فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ).

قوله: (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس:٦١]).

قوله: (﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾)، هذه الآية في دِلالتها كَسابقتها، دالة على المرتبة الثانية من مرتبتَي الإحسان، ألا وهي مرتبة الاطلاع، (فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ).

قوله: (وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ، عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ؟ فَقَالَ: رَسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا لَهُ، يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ.

قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا عُمَرُ! أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلِ؟ قُلْتُ اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»).

هذا حديثٌ عظيم، يشتمل على الدين كله، هو حديث جبريل المشهور، الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وهذا الحديث فهْمُه من الأمور المهمة لكل مسلم أراد أن يفهم الإسلام؛ لأنه بيّن بصورة واضحة، مراتب الدين الثلاث.

ذكَر عمر رضي الله عنه: أنهم بينما كانوا عند رسول الله ﷺ، إذْ طلَع عليهم رجلٌ، ليس عليه أمارات سفر، ولا يعرفه الحاضرون، «شديد بياض الثياب، شديد سواد الشَّعر»، وهذه ليست هيئة مَن جاء مسافرًا، والسفر في ذاك الزمان تظهر آثاره بوضوح، وفي المقابل لا يعرفه أحدٌ من الحاضرين، الكل يجهل مَن هذا الجائي، ونحن قد علمنا في درس أمس: أن الله تعالى أعطى الملائكة مع عظيم خِلْقتهم قدرةٌ على أن يتصوروا في صورة البشر، فهذا جبريل عليه السلام جاء إلى النبي ﷺ وعنده أصحابه في صورة رجل، ولكنه مجهولٌ بالنسبة لهم، تَخطَّى الناس حتى جلس بين يدي النبي ﷺ بأدَبٍ ووقار، حتى إنه أَسْنَد رُكْبَتَيه إلى رُكبتَي النبي ﷺ، ووضع يديه على فَخِذَيه، أَوَضَع يده على فخذ نفسه؟ أو وضَع يده على فخذ النبي ﷺ؟ قولان عند أهل العلم، والأقرب: أنه وضَع يدَيه على فخِذَي النبي ﷺ، كالمُؤنِّس له، ثم بدأ في سؤاله، قال: (**يَا مُحَمَّدُ! أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ؟**)، لا شك أن أصحاب النبي ﷺ ما كانوا ينادونه بهذا الدعاء، ينادونه باسمه، بل كانوا ينادونه يا رسول الله، يا نبي الله، وهذا تأديب من الله ﷻ لأصحاب نبيه ﷺ، إنما الأعراب والذين كانوا يأتون من الآفاق، ربما نادوا النبي ﷺ بهذا النداء، وجبريل عليه السلام ناداه بهذا.

سأله أولًا عن الإسلام، فقال النبي ﷺ في تعريف الإسلام، أركانه الخمسة: (**أَنْ تَشْهَدَ أَلَّا**

إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ)، وإذا بالرجل يقول: (**صَدَقْتَ**)، وهذا عجيب، «فعَجِبْنا له، يسألُه ويُصدِّقُه»، العادة: أن الذي يسأل، يشكر المسؤول، أو يدعو له، ويقول: جزاك الله خيرًا، أمَّا هذا يقول: (**صَدَقْتَ**)، فكأن عنده علمًا بما سأل عنه، وقد وافق ما أُجيب به عِلمه.

ثم سأله ثانيًا عن الإيمان، ففسره النبي ﷺ بأركانه الستة، وقد مضت، ثم سأله عن الإحسان، فأجابه النبي ﷺ بما مر معنا، (**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**).

ثم سأله عن الساعة، عن موعدها، فقال: (**مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**)، يعني: إذا كنت أنت لا تعلم متى الساعة، فأنا كذلك لا أعلم متى الساعة، وبهذا نعلم أن النبي ﷺ لم يكن يعلم الغيب، ويُخطئ خطأً عظيمًا، بل قد أعظم الفرية على الله مَن زعَم أن النبي ﷺ يعلم الغيب، إنما يعلم ﷺ ما أعلَمَه الله إياه فحسْب، أمَّا علم الغيب هكذا بإطلاق، فإنه ليس لأحد إلا لله تبارك وتعالى.

قال: (**فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟**)، أمارات الساعة، يعني: علاماتها، يعني: أشراطها، ﴿**فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا**﴾ [محمد:١٨].

ومِن رحمة الله ﷻ وحكمته: أنه لمّا أخفى عن العباد موعد الساعة -يعني: موعد القيامة- قدَّم لها بمقدماتٍ تنبه إليها، وهي علاماتها، فيتنبه الناس، ويستيقظوا من غفلتهم، وأنَّ ثَمَّة ساعة، وأن الساعة قريبة، كما أن في تقديم الساعة بأماراتها، فائدةً أخرى، ألا وهي: زيادة الإيمان والإيقان، فإنه كل ما ظهرت علامة من علامات الساعة قد أخبر بها النبي ﷺ، ازداد أهل الإيمان إيمانًا وثباتًا، وقالوا: صدَق رسول الله ﷺ.

علاماتُ الساعة كثيرة، منها علاماتٌ مضَتْ وانقضتْ، ومنها علاماتٌ واقعة، ومنها علاماتٌ ستَقَع.

ممَّا مضى وانقضى: بعثة النبي ﷺ، فهي علامةٌ من علامات الساعة، قال ﷺ كما في «الصحيح»: «**بُعِثْتُ أنا والساعة كَهَاتين**»، وأشار بالسبابة والوسطى، بل قال ﷺ: «**بُعثت أنا والساعة كهاتين إن كادَتْ لتَسْبِقُنِي**»، وهذا كِنايةٌ عن أنها قريبةٌ جدًا من مَبعث النبي ﷺ، والنظر هاهُنا إلى القرب هو قربٌ نِسبي، فبالنسبة لِما مضى من زمن هذه الدنيا، فإن الذي مِن مبعث النبي ﷺ إلى قيام الساعة قليل.

وثَمَّة علاماتٌ وقعَت ولا تزال، من ذلك: ما أخبر عنه ﷺ من كثرة الهَرْج، وهو القتْل، وهذا لا أظن أنه يحتاج إلى توضيح أكثر من المحسوس المشاهد في هذا العالَم اليوم.

كذلك أخبر النبي ﷺ من علاماتها: انشار الزنا، كما أخبر أن من علاماتها: كثرة الزلازل، كما أنه أخبر من علاماتها: انتشار القلم، كما أنه أخبر من علاماتها: فُشُوّ الجهل، وهذا من عجيب ما يكون، أن يفشوا القلم، أن يكثر التعلّم، وهذا واقعٌ اليوم، كثيرٌ من الناس بل أكثر الناس يتعلمون، يقرءُون ويكتبون ويدرسون، ولكن الجهل بدين الله ﷻ فاشٍ مع ذلك، ولا سيّما الجل بأصل الدين، والله المستعان!

وثَمَّة علامات قادمة لم تقع، ولكنها يقينًا ستقع.

أعظم العلامات هي العلامات العشر الكبرى، وقد دَرَج أهل العلم على تقسيم علامات الساعة إلى علاماتٍ كبرى، وإلى علاماتٍ صغرى، العلامات الكبرى هي العشر التي جاءت عنه ﷺ في حديثٍ واحد، وما عداها فعلامات صغرى، هذه العشر أخبر بها النبي ﷺ كما في

«صحيح مسلم»، من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري، حينما خرج النبي ﷺ على أصحابه وإذا بهم يتذاكرون، فقال: «**عن أيِّ شيءٍ تَذاكَرُون؟**» قالوا: عنِ الساعة، فقال: «**إنَّها لن تكون الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات**»، وذكَر ﷺ: «**الدّخان، والدجال، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى عليه السلام، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وثلاثة خسوف: خسفًا في المشرق، وخسفًا بالمغرب، وخسفًا بجزيرة العرب**»، قال: «**وآخر ذلك نارٌ تخرج من قَعْر عَدَن**»، عدن هذه المدينة التي في اليمن، «**تَحشُر الناسَ إلى مَحْشَرِهِم**».

هذه العلامات هي علامات الساعة الكبرى، **وميزتها** أنها علامات متقاربة، كما قال ﷺ: «**الآيات**» يعني: هذه العلامات، «**كَخَرَزات في سِلْك، إن يُقطع السِّلْك فإنها تكون إحداها إثْر الأخرى**»، يعني: إذا بدأت أُولى العلامات فإن الأخرى في إثرها سِراعًا، وأول العلامات الكبرى هو: خروج الدجال، ثم نزول عيسى عليه السلام لِيَقتُله، ثم خروج يأجوج ومأجوج، أمَّا آخر العلامات فكما جاء في الحديث: النار التي تخرج من قعر عدن، تحشر من يبقى في هذه الأرض في تلك الأيام التي هي آخر أيام الدنيا، تحشرهم إلى أرض المحشر.

المقصود: أنَّ جبريل عليه السلام سأل عن علاماتها، فقال النبي ﷺ علامتين: **الأولى** قال: «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَها**»، وفي رواية «**رَبَّها**».

واختلف أهل العلم في معنى هذا الجزء من الحديث إلى سبعة أقوال، **من أشهر تلك الأقوال**: أنه تكثر الفتوحات، فيكثر السَّبْي، يعني: اتخاذ الإماء، فَيَستولِد السَّيد -والرَّب هنا بمعنى: السيد-، يَستَولِد هذه الأَمَة فتُنجِب، ثم يبيعها، ثم تنتقل بالشراء بعد مدة إلى ابنها الذي يصبح سَيّدها، وهو لا يَدري، فهذا يتحقق معه قوله: «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَها**»، أو «**رَبَّها**».

ومعنى آخر استَظْهَرَه الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «فتح الباري»، ورأى أنه أوجه الأقوال، وهو: أن (الرَّب) هاهنا بمعنى: المربي، وقد مرَّ بنا معاني (الرب) في غيرما مناسبة، من معان الرب: المُربِّي، من التربية، وهو ملاحظة الإنسان ومتابعته وقتًا بعد وقت حتى يصل إلى غايته.

والمقصود بذلك كما ذكر الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن تلك الأيام ينتشر فيها العقوق، حتى إن الابن لَيقوم على أُمّه بالضرب والإهانة، حتى كأنها أَمَة لَه، «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَها**»، يصبح هو الذي يُربّيها، يضربها ويأمرها وينهاها ويُهينها، حتى كأنها أَمَة بين يدَيه، وهذا -مع الأسف الشديد- ربما كان واقعًا من بعض الناس، يتعامل مع والديه تعاملًا مَشِينًا قبيحًا، بل ربما تناول بالسَّب والديه، بل ربما تناول بالضرب والديه، بل ربما تناول بالقتل والديه، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وها نحنُ نسمع من وقت لآخر في وسائل الإعلام شيئًا من هذه الأحوال المخزية، والله المستعان!

أمّا العلامة الثانية فقال: (**وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**)، **والمقصود بهذه العلامة**: أنَ الأعراب أهل البادية، سكان الخيام يتركون ما هم عليه، ويهبطون إلى المُدن، فيستقرّون فيها، ويتطاولون أيضًا بالبُنيان، يبنون القصور والعمائر، ويتطاولون فيها ويتنافسون على إطالتها وتحسينها، وهذا أمرٌ واقع أيضًا مشاهد، وقد تحققت نُبُوءَة النبي ﷺ في هذا الحديث كما نرى.

إذًا: هاتان علامتان أخبر بهما النبي ﷺ من علامات الساعة.

ثم إن جبريل عليه السلام مضى، ومكث أصحاب النبي ﷺ مَليًا، ثم قال ﷺ لِعُمرَ:

أتدري من الرجل؟ (**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**)، أو (**أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ**).

وبهذا نستفيد: أن هذه المراتب الثلاث هي مراتب الدين، فالدين كله في حقيقته راجع إلى هذه المراتب الثلاث، والله تعالى أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

الأسئلة

السؤال: نرجو ذِكر مشيئة الله فيما يحب ويكره؟

الجواب: السؤال على كل حال غير واضح، لكن نُعيد ما ذكرته آنفًا، مِن أن الله تبارك وتعالى لحكمته البالغة، قد يشاء ما يحب، وقد يشاء ما لا يحب، لأنه يفضي إلى ما يحب، وثَمَّة أمور لو تأملها الإنسان فيما يقضيه تبارك وتعالى من المعاصي والذنوب، أو حتى ما يقع من القضاء والقدر المؤلم، فإن لله تبارك وتعالى في تضاعيف ذلك حكمًا بالغة له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإذا أردت أن تفهم هذا الموضوع كما ينبغي، فإني أُحِيلك إلى موضع مهم فصَّل فيه صاحبه هذا الكلام على أحسن ما يكون، وضرَب له أمثلة عظيمة، وهو في الحقيقة كلامٌ عِلمي وإيمانيٌ معًا، ذلِكُم هو ما سطَّره الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في كتابه «مفتاح دار السعادة»، فقد عقَد ما يقرب من خمسين صفحة تقريبًا، في الكلام عن هذه الجزئية، وهي (كيف يُقدِّر الله ﷻ ما لا يحب من المعاصي والكفر؟) وذكر نحوًا من ثلاثين فائدة وحكمة يمكن أن تُلتَمَس لهذه المشيئة، فلعلك تراجع ذلك حتى يتضح لك المقام، والله أعلم.

السؤال: هذا يسأل عن مسألة تتعلق بعلو الله ﷻ، وأن أحدهم أنكر عليه السؤال بـ(أين الله)؟

الجواب: هذا الذي أنكر هذا السؤال هو في الحقيقة ينكر سؤالًا وجَّهه النبي ﷺ لا نحن، فالنبيُّ ﷺ في «صحيح مسلم»، وصحيح مسلم أصحّ كتب الحديث على الإطلاق بعد «صحيح البخاري»، كما فيه أحاديث صحيحة، بل بلغَت الدرجة العليا من الصحة، في هذا الكتاب النبيُّ ﷺ سأل جاريةً هذا السؤال، قال: «**أين الله؟**» قالتْ: في السماء، قال: «**من أنا؟**» قالت: أنت رسول الله، فقال: «**اعْتِقْها فإنها مؤمنة**»، فالنبي ﷺ حكم بالإيمان لهذه الجارية لاعتقادها أن الله تعالى في السماء.

لكن افهَم -يا رعاك الله- أن السماء في هذا الحديث يُراد بها أحد أمرين: العلو المطلق، بمعنى: أن الله فوق كل شيء، وكل شيء تحته سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، ولا يمكن البتَّة أن يكون شيء مُحايثًا لله ﷻ أو يكون فوقه، تعالى الله عن ذلك، بل الله العَلِيّ الأعلى جل وعلا، هو فوق كل شيء، وكل شيء تحته سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

أو أن يكون المراد بالسماء: السماء المبنية، يعني: السماوات السبع، فيكون قوله «**فِي السَّمَاءِ**» يعني: على السماء، وهذا سائغ في اللغة، فإن (فِي) تأتي بمعنى: على، ويدل على هذا: قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ**﴾ [طه:٧١]، يعني: على جذوع النخل، ويدل على هذا قوله ﷺ: «**الرَّاحمونَ يَرحُمُهم الرَّحمنُ، ارْحَمُوا مَن في الأرضِ يَرْحمكم مَن في السَّماء**»، ما معنى «**مَن في الأرض**»؟ المقصود: أن نرحم الموتى الذين في القبور؟ أو نرحم من على الأرض؟ أن نرحم من على الأرض، كما فَهمتَ الجزء الأول افهَمِ الجزء الثاني، فإنه

قوله: «مَن في السماءِ»، يعني: مَن على السماء، يعني: فوق السماء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

إذًا هذه عقيدة لا يجوز بحال أن تشك فيها يا رعاك الله، ودليلها والله لو كان آية واحدة أو حديثًا واحدًا، لوجب عليك أن تعتقده: ﴿أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾ [الملك:١٦]، فكيف والأدلة على هذه القضية ليست عشرة، وليست مائة، بل ألف، بل ألفا دليل.

يا قومنا والله إن لقولِنا ... أَلْفًا يَدُلُّ عليه بل أَلْفَانِ
عقلًا ونقلًا مَعْ صَريح الفِطْرة الأولى ... وذَوق حلاوة القرآن
كُلٌ يَدُلُّ بأنَّه سبحانه فوق السماء ... مُبايِنُ الأكوانِ
أَتَرَون أنَّا تارِكُوا ذا كُلِّه ... لِجَعَاجِع التَّعطيل والهَذَيَانِ

إذًا هذه قضية قطعية لاشك فيها، ولو لم يكن إلا الفطرة التي أودعها الله ﷻ في النفوس، فإنه إذا استشعر الإنسان حاجته إلى الله ﷻ، فإنه لا يجد أن قلبه يلتفت البتة، إلا إلى جهة العلو، ولذا لما كان أبو المعالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الجُويني يقرر كلامًا يدل على نفيه علوَّ الله ﷻ، ... فسأله أحدُ الحاضرين -واسمه: الهَمَذَاني- وقال: يا أستاذ، دَعْنا من هذا، وأخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في نفوسنا: ما قال عارف قط يا الله، إلا وجد أن قلبه يلْتفت إلى الأعلى، فهل تجد عندك لهذه الضرورة من حل؟ وبكى، وبكى الناس بِبُكائه، فما كان من أبي المعالي إلا أن ضرب بكله على السرير الذي يجلس عليه، وقال: الحَيرة الحَيرة، والدَّهشة الدَّهشة، ثم قال بعد ذلك: «حيَّرني الهَمَذَاني»، وصدق.

ومرة من المرات جاء رجل إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، ممن كان ينفي علو الله، ويعتقد أن الله في كل مكان، جاءه مرة في حاجةٍ له، وشيخ الإسلام داعية حَكيم، أجلَسَه وتشاغل عنه،

انصرف إلى بعض أشغاله وأهملَه، فكأن الأمر طال على هذا الرجل، فما كان منه إلا أن قال: (يا الله الصبر)، رفَع رأسه وبصره إلى السماء، الرجلُ ضاق ذرعًا، فلَجَأَ إلى الله ﷻ في العلو، فالْتَفَت إليه شيخ الإسلام، وقال: أنت مُحقِّق، يعني: أنت رجل عالم، لِمَ رفعت رأسك وبصرك إلى السماء وليس فوق عندك شيء؟! يقول: فقال الرجل: أستغفر الله، يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثم بَيَّنتُ له ما عليه الكتاب والسنة وعقيدة المسلمين، فرجع عن هذا القول.

بلْ أَحكي لكم -يا أخواني- أمرًا رأيتُه، وعاصرتُه بعَيني، وذكرتُه لبعض الإخوان فيما مضى.

لقيت مرةً في إحدى المناطق الرائية في إحدى الدول، قومًا وَثنيّين، ما علموا بكلمة (إسلام) قط، ما بلغتْهم دعوة الإسلام، فسألتهم وقلت لهم: أنتم إذا تأخر عليكم المطر -هم كانوا رُعاة- إذا تأخر عليكم المطر ماذا تصنعون؟ فوالله يا إخوان قالوا هكذا: نرفع أيدينا إلى الإله وندعوه، هكذا قالوا، مَن الذي عَلَّمهم ذلك، إنها الفطرة التي فطر الله الناس عليها، كل الناس مفطورون على أن الله تبارك وتعالى في العُلُوّ.

السؤال: لماذا خاطب جبريلُ الرسولَ ﷺ باسمه ولم يخاطبه بالرسول؟

الجواب: لعل ذلك -والله أعلم- لأنه جاء في هيئة رجل غريب حتى يكون في صورة هذا الشخص السائل، كحال الأعراب الذين يأتون يسألون النبي ﷺ.

السؤال: طلَب قريبٌ لي الرقية على ابنه، فهل لي أن أرقيه بالأذكار المشروعة من الكتاب والسنة؟

الجواب: نعم، ولك في هذا ثوابٌ عند الله جل وعلا، وقد سُئل النبي ﷺ عن هذه

المسألة، فقال: «**مَن استطاعَ أن ينفع أخاه فلْيَفعَلْ**»، فإذا طلبك أحد أن ترقيه أو ترقي ابنه أو بعض أهله، فإنه يُشرع ويستحب في حقك أن تجيب إلى ذلك.

السؤال: هذا يسأل عن لبس الخاتم؟

الجواب: الذي يظهر -والله أعلم- أن لبس الخاتم أمرٌ مباح، إذا كان من الفضة، أما من الذهب فإنه محرم، وبالتالي فإن لبس الخاتم أمرًا محرمًا أو مكروهًا، كما أنه ليس من السنة، إنما النبي ﷺ استعمل الخاتم لأجل الحاجة، وهو أن يختم، كان خاتمه قد نُقِش عليه كلمة (محمد رسول الله) ﷺ، فكان يختم بهذا الخاتم الكتب التي يرسلها إلى الملوك والحكام لأجل دعوتهم إلى الإسلام، فلم يَكُن هذا منْه ﷺ إلا لهذه الحاجة، والله أعلم.

السؤال: يسأل عن مسألة تتعلق بالطلاق؟

الجواب: ومسائل الطلاق المرجع فيها إلى المفتي العام لمن كان من أهل هذه البلاد، أو يرجع إلى المحكمة للقُضاة.

السؤال: ما وجه توقف الإمام مالك في القول بزيادة الإيمان؟

الجواب: الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان قولًا أولًا له، ثم رجع عنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وثبت عنه القول بما قال به جميع أهل السنة من أن الإيمان يزيد وينقص، فهو قولٌ أضحى قولًا لا تصح نِسْبته إليه إلا على سبيل البيان، بأنه قول قاله ثم رجع عنه.

السؤال: عن حديث النبي ﷺ: «**ما بَيْن بَيتي ومِنبَرِي رَوضةٌ من رياضِ الجنَّة**»، هل يقصد الجنة: جنة الخُلْد؟

الجواب: نعم، هذا الموضع الذي تراه سيكون يوم القيامة في الجنة، تصديقًا لخبر النبي

ﷺ.

السؤال: هل يصلي الإنسان فيها؟

الجواب: الذي يظهر -والله تعالى أعلم- نعم، وثبت في «صحيح البخاري» من حديث سلمة بن الأكوع: أنه صلى في موضع في الروضة، ثم أخبر أن النبي ﷺ كان يصلي ثَمَّة.

وأنا أظن أن النبي ﷺ ما أخبرنا بهذا الحديث إلا حثًّا لنا على الطاعة في هذا المكان، هذا الذي يظهر والله تعالى أعلم.

السؤال: هل قراءة القرآن مرات بسرعة أفضل، أم قراءته مرة واحدة في رمضان بتدبرٍ أفضل؟

الجواب: لاشك أن قراءة القرآن بالتدبر أفضل من قراءات بلا تدبر، لأن تدبر القرآن هو الغاية من إنزاله، قال جل وعلا: ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ**﴾[ص:٢٩]، فإذا سنَحَت لك فرصة أن تكون تاليًا كتابَ الله في رمضان بتدبر وتأمل وتَمعّن في المعان، ولو استصْحبتَ معك تفسيرًا، كالتفسير الميسر مثلًا، وكنت تقف عند كل كلمة لا تفهم معناها وتقرأ، أظن أنا أنك ستخرج من رمضان بخيرٍ عظيمٍ، لو لم تخرج من قراءتك أو من أعمالك إلا بأنك قرأت كتاب الله جل وعلا في هذا الشهر الفضيل، وفهمت كثيرًا مما دلَّ عليه، ومما رمى إليه من المعاني، فأظن أنك خرجت بخير كثير، هذه وصيتي لك، احرِص على أن تقرأ بتدبّر وتأمل، وإن قرأت قراءةً عَجْلَى فأنت على خير، لكن القراءة بتدبر لاشك أنها أفضل، ولا مقارنة.

والحمد لله رب العالمين

قال المصنّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ - عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلَامِ-.

وَلَهُ مِنَ العُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً - مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولًا -.



قَالَ الشَّارِح وفَّقهُ اللّه:

انتهى الشيخ رحمه الله من الكلام عن الأصلين -الأول والثاني-، وهما: وهما معرفة العبد ربه، ومعرفة العبد دينه، وآنَ أن يُبيّن الشيخ الأصل الثالث، ألا وهو: **معرفة العبد نبيه محمدًا ﷺ**.

لا شك أن من أعظم نعم الله عَزَّوَجَلَّ على هذه الأمة هو: بعثة النبي محمدٍ ﷺ إليها، ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾[آل عمران:١٦٤].

بلْ إن أعظم النعم على الإطلاق، التي أنعم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بها على بني آدم، هي: بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام، إذْ إن الخير كل الخير، والهدى كل الهدى، هو في رسالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإن القلوب كلها ميتة، وإن النفوس كلها مظلمة، إلا ما أشرق عليه شمس النبوة، فحاجة الناس إلى الرسل، أعظم من كل حاجة على الإطلاق، أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب بل إلى النفس، فإن ببعثة الرسل حياة قلوبهم.

وإذا كان ذلك كذلك، فيبغي أن تعلم أن معتقد أهل السنة والجماعة في قضية بعثة الرسل

متوسطة بين طرفَي انحراف، فهم يعتقدون أن النبوة اصطفاء من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأنه لا يمكن البتَّة أن يوصل إلى هذه الرتبة العظيمة المُنيفة إلا باصطفاء من الله سبحانه، ومع ذلك فأهل السنة يعتقدون أن الله تعالى إنما يبعث من أنبيائه ورسله منهم أمثل الناس، وأفضل الناس، وأحسن الناس، إذًا معتقد أهل السنة في هذه المسألة متركب من هذين الأمرين: النبوة اصطفاء، بخلاف قول من قال إنه يمكن الوصول إلى رتبة الأنبياء برياضة روحية، ومجاهدة نفسية، وخلوة وما إلى ذلك.

أيضًا: أنَّ الله جل وعلا إنما يختار الأنبياء على علم منه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ**﴾ [الحج:٧٥]، ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾ [الأنعام:١٢٤]، الله إنما يصطفي من الأنبياء والمرسلين من هو جَديرٌ بهذه الرتبة، بخلاف قول من قال من أهل البدع: (إنه يمكن ويجوز أن يرسل الله سبحانه من كان فاسقًا فاجرًا مجرمًا، والقضية محض مشيئة) لا شك أن هذا القول قولٌ باطل، بل الله جل وعلا إنما يبعث من المرسلين من هو أفضل قومه قبل البعثة، ولاشك أنه سيكون قدره عظيمًا، بل أعظم بما لا مقارنة بعد البعثة، إذًا هذا قولٌ متوسط بين طرفَي الانحراف في هذه المسألة.

مسألة بعثة نبينا محمدٍ ﷺ، ومعرفته، والإيمان به، قضيةٌ في غاية الأهمية، ولابد علينا -يا أيها الإخوان- أن نحرص على فَهمها جيدًا، وعلى فِقهها فقهًا حسنًا، فهذا الزمن الذي نعيشه، زمنٌ تنتشر فيه الشبهات، فثَمَّة شبهاتٌ كثيرة تغتال وتجتال ضعيفي الإيمان أو ضعيفي العلم، وتُشكّكهم في الأصول، وتَبُثُّ بينهم الشُّبَه، وما أقرب وصولها إلى الناس، لا سيّما الناشئة، شبابنا وفتياتنا، ناشئتنا، أبناؤنا وبناتنا، هم في الحقيقة تحت مرمى سهام المُشكِّكِين،

والشبكة العالمية، ومواقع التواصل مليئة بالتشكيك، التشكيك في الدين، التشكيك في الإيمان برب العالمين، والتشكيك أيضًا في نبوة سيد المرسلين ﷺ، وأمام هذا السيل الجارف من الشّبه ينبغي بل يتعين على كل مسلمٍ أن يكون متحصنًا بمعرفة دلائل نبوته ﷺ، وشواهد صحة رسالته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فإن هذا من الأمور المهمة، وأهل العلم يقررون أن أدلة نبوة النبي ﷺ أدلةٌ كثيرة، ويمكن أن تُقسَّم لكثرتها إلى مجموعات.

أولًا: دليل الدلائل والبراهين الحسية، وهي التي اشتهر تسميتها بالمعجزات، فإن هذه دليلٌ صريح، يُذعِن العقل له أن هذا النبي ﷺ رسولٌ من عند الله، كون رجلٍ يذكر عن نفسه أنه رسولٌ من عند الله، ثم يجري الله سبحانه على يديه آياتٍ عظيمة، يعجز البشر عن مثلها تمامًا، كونه يخبرهم أن مِن دلائل نبوته: أن القمر ينشق ويحصل، ويشير النبي ﷺ إليه، وقد أصبح فِلْقَتَين، أصبح قطعتين، ويرون الجبل بين هاتين القطعتين، ثم يرجع مرةً أخرى ويَلْتِئِم، هل يمكن أن يكون هذا من غير نبي مرسلٍ من الملك القدير الذي بيده ملكوت كل شيء؟ لا يمكن.

كون هذا النبي ﷺ تسبح الأطعمة بين يديه، ويسلم الحجر عليه، ويفور الماء من بين أصابعه، وتنقاد الشجرة إليه ﷺ ثم ترجع، ويَحِنّ الجذع إليه ﷺ، إلى غير ذلك من هذه المعجزات الكثيرة، كلها دلائل وبراهين قطعية على نبوة هذا النبي ﷺ.

ثانيًا: دليل القرآن العظيم، وهو من أعظم الأدلة على نبوة النبي ﷺ، ﴿**أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ**﴾ [العنكبوت:٥١]، والله إنه لكافٍ، قرآنٌ عظيمٌ، لا تنقضي عجائبه، عجز البشر جميعًا بل والجن معهم على أن يأتوا بمثله، بل على أن يأتوا ببعضه، بل

على أن يأتوا بسورة من مثله، والله إنهم لعاجزون، فهو قد بلغ القِمَّة في كل شيء، بلغ القِمة في فصاحته وبلاغته، وبلغ القِمة في دلالته وإرشاده إلى أحسن ما يكون من الحكم والأحكام ومعالي الأخلاق، بلغ القِمة في إخباره بالمغيَّبات، بلغ القِمة في كل شيء، مهما قلّبت كتاب الله وجدته كتابًا معجزًا، يقف الجميع أمامه وهم حاسرين، لا يستطيعون إلا أن يسلموا بأنه كلام الله العظيم، إذًا الذي جاء به لابد أن يكون رسولًا من عند الله.

ثالثًا: دليل الأحوال، حال النبي ﷺ، وأخلاقه وخلاله؛ شاهدٌ قطعي على أنه رسول من عند الله، وهذا ما أَرشَد إليه ربنا جل وعلا في قوله عنه ﷺ: ﴿**فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ**﴾ [يونس:١٦]، إذًا أنتم تعرفون أخلاقه، وتعرفون مدخله، وتعرفون مخرجه، وتعرفون سيرته وتاريخه، أَبَعْد هذا يخفى عليكم الفرق بين النبي الصادق والدجال الكاذب؟ أنتم تدركون قطعًا أنه ﷺ كان قبل النبوة كان الغاية في الأخلاق، حتى إنه سمي بالأمين ﷺ، لم يكن يكذب في حديثٍ مع الناس، أَفَيَكذب في خبر رب الناس؟ لا يمكن أن يكون هذا، نبينا ﷺ يُذعِن كل من قرأ تاريخه وسيرته، أنه قد بلغ الكمال الإنساني من جميع وجوهه، وهذا دليلٌ وبرهانٌ أيضًا على صدق نبوته ورسالته ﷺ.

رابعًا: دليل مضمون الرسالة، الرسالة نفسها شاهدٌ على أنها من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعلى أن الذي جاء بها هو نبي من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ألم تر إلى أن هذا الدين العظيم دين الإسلام، دينٌ عامٌ شاملٌ وافٍ كافٍ، يغني عن غيره ولا يغني عنه غيره، دينٌ جامعٌ للمصالح، دافعٌ للمفاسد، كل صغير أو كبيرٍ فيه شاهد بأنه دِين رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، دِينٌ ما ترك خيرًا إلا دل عليه، ولا شرًا إلا حذر منه، دينٌ بلغ القمة في الدقة، كل شيء من أمور الدين

والدنيا فإنه بينه وجلاه، وأرشد فيه إلى ما فيه سعادة المجتمعات، وسعادة الأفراد، لا يمكن أن يكون هذا إلا من عند رب العالمين، مستحيل أن يكون هناك شخص يستطيع أن ينظم كل شيء بدقة، يخبر عن حكم كل شيء بتفصيلٍ بالغ، من سياسات الدول، وإلى كيف يلبس الإنسان حذاءه، حتى إنه ما ترك أحكام التجارة، ولا أحكام الزراعة، ولا أحكام النكاح، ولا أحكام الطلاق، ولا أحكام تربية الأولاد، ولا كيف يعبد الإنسان ربه، ولا كيف يعامل جاره، ولا كيف يتعامل مع الحيوانات، ما ترك شيئًا إطلاقًا، يستحيل أن يكون هذا مخترعًا من هذا النبي ﷺ وحاشاه، إذًا لابد أن يكون هذا دينًا مبعوثٌ به رسولٌ من عند الله عَزَّوَجَلَّ.

خامسًا: دليل الإخبار بالمغيبات، فإن الكتاب والسنة قد أخبرا بأشياء كثيرة، أنها ستقع مستقبلًا، ووقعت كما أخبر النبي ﷺ، والدلالة هنا من وجهين لا من وجه واحد:

أولًا: أن مجرد إخبار النبي ﷺ بأن شيئًا سيكون، وربما يخبر أنه سيكون عن قريب، هذا دليل على أنه ما يتكلم من عنده، لابد أن يكون عن وحيٍ من الله العليم الذي يعلم كل شيء، والقدير الذي يقدر على كل شيء، والملك الذي يدبر كل شيء.

تأمّل معي: حينما يقول النبي ﷺ: «**إن الله يقولُ**»، يخبر عن كلام الله، ﴿**غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ**﴾ [الروم:٢-٣]، هذا الأمر سيقع، الآن لاحظ هذا الكلام يسمعه أناس أَلَدّ أعداءٍ له، ينتظرون عليه أي شيء يستدلون به على أنه كاذب، وعلى أن نبوته باطله، ومع ذلك النبي ﷺ يخبر أن هذا يسكون، ﴿**سَيَغْلِبُونَ**﴾، لا ليس هذا فقط، بل ويحدد المدة، في كم؟ ﴿**فِي بِضْعِ سِنِينَ**﴾ [الروم:٤]، أي عاقل عنده ذكاء، وكان مفتريًا على الله في هذه الرسالة، أكان يجازف هذه المجازفة؟ مستحيل، لا يمكن أن يجازف هذه المجازفة،

فلماذا؟ لأنه لو مضَت هذه السنوات البضع من ثلاثة إلى تسعة، لو مضت تسع سنوات، في اليوم الذي سيكون بعد ذلك سوف يفتضح، أليس كذلك؟ فمن هذا الذي سيجازف هذه المجازفة بعد هذا التعب الطويل والعناء في الدعوة، ثم يأتي يفضح نفسه، لو كان كذلك، وحاشاه ﷺ، إذًا لا يمكن أن يكون هذا إلا عن وحيٍ من الله، فهو رسول، والذي بعثه هو الله الرب العظيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

إذًا **أولًا**: ما كان ﷺ ليقول هذا إلا لأنه يعلم أنه رسول، وهو صادق في قوله.

وثانيًا: يقع الذي يخبر به كما أخبر ﷺ، وهذا في الحقيقة من الأمور التي لا يمكن لأي إنسانٍ عنده شيءٍ من الإنصاف إلا ويسلم أن هذا حقًا رسولٌ من عند الله جل وعلا.

في هذا العصر أحد علماء الغرب (بروفيسور) في أحد العلوم الكونية التجريبية، هذا الرجل أسلم، وجاء هنا إلى المملكة، سبب إسلامه آية وقف عندها، الرجل باحث عن الحق، أخذ المصحف المترجم وبدأ يقرأ، قرَأ من أول القرآن حتى وصلى إلى سورة، ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ**﴾ [المسد:٣]، أغلق المصحف وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله.

هذا الكلام بلَّغه النبي ﷺ في حياة أبي لهب، لو أن أبا لهب قال: أسلمتُ، ولو كذبًا، لسقطت الدعوى المحمدية، لو قال: أسلمت، وهو يقول ماذا؟ يعني ما معنى: ﴿**سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ**﴾؟ يعني: سيموت كافرًا ويصلى بعد ذلك نارًا ذات لهب، لو جاء أبو لهب وقال: لا يا جماعة، أنا أشهد أن لا إله إلا الله ولو كاذبًا، انتهت الدعوة، لكن هذا دليل على أن هذا الكلام من عند الله، والله يعلم بما سيؤول إليه الأمر، وأن قلب أبي لهب بيد الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا

له أمثلة كثيرة.

يعني: خذ مثلًا في اليهود، الله أخبر عنهم في قضية الموت، قال: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة:٩٥]، قِفْ عن قوله تعالى: ﴿أَبَدًا﴾، هؤلاء اليهود في عند النبي ﷺ لا ولن يتمنوا الموت، أليس ممكن عقلًا أن أحد هؤلاء اليهود يأتي إلى النبي ﷺ ويقول: أنا أتمنى الموت، أنا أسأل الله أن يميتني، عقلًا هذا ممكن؟ ومع ذلك النبي ﷺ يخبر أن الله يقول: هؤلاء لن يتمنوا الموت أبدًا، ويحصل ما أخبر به ﷺ، إذًا هذا كلام الله، ولا يمكن إلا أن يكون كلامًا من عند الله، من العليم القدير المدبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقِسْ على هذا أشياء كثيرة جدًا، ولم يزل العلم الحديث يكشف لنا كل يوم دليلًا على نبوته ﷺ، ورسالته، وأن ما أخبر به ﷺ قبل هذه القرون الطويلة، كل ما أخبر به ﷺ لا يزال العلم يشهد بصحته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

إذًا هذه دلائل وبراهن ترشدك -يا رعاك الله- إلى نبوته ورسالته ﷺ، وأنا أعيد وأؤكد وأركز على هذه المسألة المهمة، نحن بحاجة إلى أن نتكلم عن هذا الموضوع في هذا العصر على وجه الخصوص، لا سيّما أمام الناشئة، لأنهم -كما ذكرتُ- يتعرضون لموجة من التشكيك والشبهات، من الملاحدة ومن اللَّادِينيين، وهذا شيء قريب منهم جدًا، فمن أعظم أسباب نشر هذه المذاهب الفكرية الكفرية بينهم: وسائل التواصل الاجتماعي، ومع الأسف صغار أبنائنا وبناتنا الآن صغارهم يستعملون هذه الوسائل، ولهم فيها حسابات ويدخلون ويقرءُون، ومع الأسف يقرؤون وهم يثقون في أنفسهم، والواقع أن كثيرًا منهم ليسوا مُحصَّنِين بالتحصين الكافي، إذًا هذه وظيفتنا نحن معشر الآباء، معشر الإخوان، معشر

المعلمين، معشر الموجهين، أن نُنبّه ونبين ونغرس فيهم هذا الأمر.

أعود فأقول: الإمام يقول: (**مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)، لابد أن تعرف نبيكم محمدً ﷺ، هذا أصل لابد منه في دينك، وإلا فكيف ستشهد أن محمدًا ﷺ رسول الله وأنت لا تعرفه، إذا كنت تجهله جهلًا مطبقًا لا تعرفه البتة، فإن شهادتك حينئذٍ تكون شهادةً فيها نظر، لأن كلمة (شهادة)، قلنا ما معناها، ما معنى أشهد؟ أنطق أُخبر بما أعلم وأتيقن، فكيف تشهد بنبوة رجل لا تعرفه أصلًا؟

أولًا: لابد أن يكون عندك قدرٌ من المعرفة بهذا النبي الكريم محمدٍ ﷺ، هذا أولًا.

ثانيًا: لابد أن نعرف النبي ﷺ حتى نحبه محبة عظيمة، ألم تسمع إلى قول النبي ﷺ: «**لا يُؤمنُ أحدُكم حتى أكون أَحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين**».

أسألك: هل يمكن أن تصل إلى هذه المرحلة وأنت تجهله؟ المحبة -يا إخواني- تتبع العلم، كلما كنت للشيء أعلم أو بالشيء أعلم، كلما كنت له أشد حبًا، إذا عرفت الشيء بصفاته الجيدة والجميلة والكاملة، فإنك تُقبِل عليه وتحبه، أما لو كنت تجهله فإن حبك ينقص بحسب ذلك، إذًا حتى تصل إلى هذه المرتبة، وهي مرتبة لا يكون لك إيمانٌ واجب إلا بتحقيقها، إذًا لابد أن تعرفه ﷺ، تعرفه بعينه باسمه ﷺ، تعرف صفاته ﷺ، تعرف خلاله، تعرف شمائله، تعرف دلائل نبوته ﷺ، وبذا تصل إلى هذه المرتبة التي هي مطلوبة وواجبة من كل مسلم، أن تحبه ﷺ أكثر من محبة الوالد والولد ومن الناس أجمعين.

إذًا نحن بحاجة إلى معرفة النبي ﷺ لهذا الأمر.

ثالثًا: نحن بحاجةٍ إلى معرفة النبي ﷺ حتى نرضى به نبيًا، ولماذا نرضى به نبيًا؟

الجواب: لكي نذوق طعم الإيمان، قال ﷺ كما في «صحيح مسلم»: «**ذاقَ طَعْمَ الإيمانِ مَن رَضِي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ ﷺ نَبيًا**»، كيف ترضى به ﷺ نبيًا؟ يعني: يحصل عندك رضى وتسليم، بل وفرح بأن هذا النبي الكريم ﷺ هو نبيك؟ وأنك أنت من أتباعه، ومن أُمّته ﷺ، كيف يكون ذلك وأنت تجهله، إذًا لابد من معرفته ﷺ.

ومن طُرق معرفته ﷺ، بل أهم ما ينبغي عليك أن تحرص عليه، أن تحرص على أمرين:

الأول: أن تعرف شمائله وسيرته ﷺ.

الثاني: أن تعرف دلائل نبوته ﷺ.

وهذا من الأمور التي يقع فيها تقصير مع الأسف الشديد، من عامة الناس، إلا ما رحم الله، ولا سيّما الناشئة، ناشئة المسلمين إلا قليلًا في غفلة مع الأسف الشديد عن العلم بسِيرة النبي ﷺ وشمائله ودلائل نبوته، ربما تسأل الطفل أو الطفلة عن أشخاص ممن يشاهدونهم على الشاشات، أو ربما لا يستحقون أصلًا أن يُعرفوا، لكن تجد المعرفة دقيقة بكل شيء عنهم، عن أدق التفاصيل في حياتهم، هذا أمر وقع، لكن ربما سألته أسئلة يسيرة وواضحة وبدهية أحيانًا في السيرة عن النبي ﷺ، ربما يجيبك وربما لا يجيبك، هذا واقع مع الأسف الشديد.

ومن أسباب حصول هذا القصور: التقصير منا، معشر الآباء، معشر الموجهين، معشر الأخوة، ولأجل هذا نحن بحاجة يا أخواني أن نركز على هذه الأمور، الجيل الناشئ بحاجة إلى قُدُوات، إذا لم تَبرُز أمامه القُدُوات، فإن القُدُوات ستكون أناسًا لا خلاق لهم، وأعظم قدوة لكل مسلم على الإطلاق ولا شكمًا؛ نبينا محمد ﷺ، فنحن بحاجة إلى أن نتذاكر وأن

نتدارس وأن نتعلم وأن نحفظ سيرة النبي ﷺ وشمائله، وكذلك دلائل نبوته ﷺ.

كذلك هناك تقصير من بعض طلبة العلم، ربما يبحثون في دقائق دَقيقة جدًا في العلم، ولكن عندهم غفلة عن العلم بسيرة النبي ﷺ، يعني: ربما تجد من طلبة العلم من قرأ كتبًا كثيرة في علوم من علوم الآلة الفرعية، وربما ما قرأ كتابًا في سيرة النبي ﷺ، أو ما قرأ كتابًا في الشمائل المحمدية، فنحن بحاجة -يا إخواني- أن نعتني بهذا الجانب، إذًا هذا هو الأصل الثالث، (**مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ).

الشيخ رحمه الله اعتنى بهذا الموضوع عناية جيدة، وذكر نُبذة يسيرة في سيرة النبي ﷺ، لعلمه رحمه الله بحاجة المسلم الماسة إلى هذه القضية العظيمة، ويالله العجب من أُناس يتهمون الشيخ رحمه الله بأنه لم يكن يعطي النبي ﷺ قدره، أينهم عن كلامه رحمه الله في هذا الأمر وتأكيده عليه، بل جعله أصلًا ثالثًا من أصول الدين، أيقال بعد ذلك أنه ما كان يعطي النبي ﷺ قدره؟ ﴿**سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ**﴾ [النور:١٦].

والشيخ رحمه الله تكلم عن جزئيات في سيرته واسمه ﷺ ونسبه، وبماذا نُبِّئ، وبماذا أُرسل، ثم عطف على ذلك بعض المسائل التي ختم بها الرسالة.

قوله: (**وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ -عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ-**).

بدأ باسمه ﷺ: (**مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ**)، عبد المطّلب جده، وكان النبي ﷺ في بعض الأحوال يقول: «**أنا النبيُّ لا كذب، أنا ابن عبد المطلب**»، وعبد المطّلب اسمه:

شَيبة، وهو (مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ)، وهاشم اسمه: عمرو ابن عبد مناف من قريش القبيلة العربية المشهورة، التي كانت لها الحجابة والرفادة والسقاية في مكة، (وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ -عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ-).

إذًا: نبينا محمدٌ ﷺ هاشميٌ قرشي عدناني عربي، هذا من الأمر الذي لابد من معرفته عنه ﷺ.

قوله: (مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ)، قلنا: هاشم إليه يرجع الفخذ الهاشمي، الذي هو الفخذ الذي يُخبر أنه آل بيت النبي ﷺ، وهاشم كما ذكرت اسمه: عمرو، وسمي بهاشم؛ لأنه كان يهشم الخبز، يكسر الخبز ويصنع منه الثريد، فكان يطعم الحاج والزائر إلى بيت الله الحرام في كل وقت، ومائدته كانت لا تنكس أعلامها، لا في زمن رخاء، ولا في زمن ضر، كان من الكرماء المشهورين، الذي هو هاشم الجد الثاني للنبي ﷺ.

قوله: (وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ)، قريش قبيلته ﷺ، وتُنسب على المشهور إلى الجد العاشر للنبي ﷺ، الذي هو: فهر بن مالك، وكل من كان من نسل فهر فإنه قرشي، ومن كان قبل ذلك فإنه ليس بقرشي.

والثابت من نسب النبي ﷺ هو ما كان إلى عدنان، وأما ما بعد ذلك إلى إسماعيل فإنه ليس بثابت ولا يجزم به.

إذًا النبي ﷺ من قبيلة قريش، التي كانت أشهر قبائل العرب، وأكرم قبائل العرب، وأقوى قبائل العرب، واختلفوا في سبب تسمية هذه القبيلة بهذا الاسم (قريش)، فقيل: إن قريش من

التقرّش، يعني، التجمُّع، تجمعوا بعد تفرّق، وقيل: لا، (التقرّش) بمعنى: التكسب، وهم كانوا أهل تجارة، وهاشم هو أول من سن لهم الرحلتين، (رحلة الشتاء والصيف).

وقيل: قريش سميت بذلك نسبةً إلى الدابة التي تسكن في البحر، يعني: سمك القرش، لقوتها، ولأن هذه السمكة تأكل ولا تؤكل، وتعلو ولا تُعلى، وسأل معاوية رضي الله عنه ابن عباس رضي الله عنهما؟ لِمَ سميت قريشٌ بقريش؟ فقال: من الدابة التي تسكن البحر، أما سمعت قول الشاعر:

وقريشٌ هي التي تَسْكُن البحرَ ... بها سُمِّيتْ قريشٌ قريشًا
تأكلُ الغَثّ والسَّمين ولا تترك ... لِذِي الجناحين ريشا
هكذا في البلاد حيُّ قريش ... يَأكلون البلاد أكلًا كميشًا

(أَكْلًا كَميشًا) يعني: أكلًا شديدا، فمن هذا والله تعالى أعلم سميت قريش على أحد الأقوال السالفة، وبهذا نعلم أن إسماعيل وإبراهيم هما جدان للنبي محمدٍ ﷺ.

قوله: (**وَلَهُ مِنَ الِعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولًا**).

توفي النبي ﷺ وعمره ثلاثة وستون عامًا، أربعون منها قبل النبوة، وثلاثة وعشرون عامًا وهو نبي رسول ﷺ. هذا الجملة وما بعدها نكملها بإذن الله عَزَّوَجَلَّ في درس غدٍ.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

الأسئلة

السؤال: تحلّل المرأة بعد العمرة، كيف تقص شعرها؟

الجواب: أنها تجمع مجموع الشعر، إذا كانت ظفَّرت شعرها فإنها تأخذ من طرف الضفيرة قدر أُنْمُلَة، بهذا القدر الأُنْملة هذا الطرف الذي يكون للإصبع هذه القطعة من الإصبع هذه الأنملة، تأخُذ بهذا القدر، وبهذا تتحلل، سواء قصَّرت لنفسها، أو قصرت لها امرأة معها، أو قصر لها أحد محارمها، كل هذا لا حرج فيه إن شاء الله.

السؤال: يسأل عن سجود التلاوة، إذا مرت به آية فيها سجدة؟

الجواب: سجود التلاوة مستحب وليس بواجب، لكن لا ينبغي للإنسان أن يفرط فيه.

بالنسبة للتكبير إذا كان في غير الصلاة، فالصحيح -والله أعلم- أنه لا يكبر، يهوي للسجود مباشرة، أمَّا في الصلاة فإنه يكبر في الخفض والرفع، لعموم حديث النبي ﷺ أنه كان يكبر في كل خفْض ورفْع، هذا بالنسبة لسجود التلاوة.

السؤال: هل قراءة القرآن عن طريق المصحف أثناء صلاة الليل جائزة؟

الجواب: نعم جائزة، الأَولى أن تقرأ من حفظك، لكن إذا كنت لا تحفظ فإنه يجوز لك أن تحمل المصحف وتقرأ فيه.

السؤال: القدْر الواجب من معرفة اسم النبي ﷺ؟

الجواب: القدر الذي يجب عليك أن تعرف أنه محمدٌ ﷺ، فإنه الذي ستُسأل عنه في قبرك، وجاء في الحديث أن المسلم يقول: «**هو مُحمدٌ رسول الله**»، أما ما زاد على ذلك فإنه مستحب، أمَّا معرفة اسمه بالذات ﷺ فإنه قدْر واجب.

السؤال: هل جميع العبادات في ليلة القدر تدخل في الآية: ﴿**لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ**

شَهْرٍ﴾ [القدر:٣]؟

الجواب: نعم، أي عبادة تفعلها في هذه الليلة فإنها خير مما لو عملتها في ألف شهر، فاحرص على جميع الأعمال، ولا سيّما القيام، للتنصيص عليه في قوله ﷺ: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**».

السؤال: ما الفرق بين الإرادة، والمشيئة، والقدر؟

الجواب: الفرق بين هذه الأمور الثلاثة هو الفرق بين العام والخاص، فأَعَمّها (القدَر)، لأن القدر يشمل أربعة أشياء، يشمل: (عِلم الله، وكتابته، ومشيئته، وخلقه)، إذًا هذا هو الأعَمّ، أخص منه: (الإرادة٩، الإرادة من جهة أَعَمّ، ومن جهة أخص، **الإرادة تنقسم إلى إرادتين**: إرادة الله جل وعلا، كما هو ثابت في الكتاب والسنة تنقسم إلى قسمين، إلى إرادة كونية، وإلى إرادة شرعية.

الإرادة الكونية هي المشيئة، المشيئة لا تنقسم، المشيئة شيء واحد، المشيئة هي الإرادة الكونية، الإرادة الكونية هي المشيئة، الإرادة إذًا قسمان: إرادة كونية، وهي بمعنى المشيئة، **وإرادة شرعية**، وهي التي تقتضي محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذه الإرادة متعلقها محاب الله عَزَّ وَجَلَّ، وإذا أردت معرفة هل يريد الله هذا الشيء إرادة شرعية، فابحث هل يحبه الله عَزَّ وَجَلَّ أم لا، إذا كان يحبه إذًا هو يريده إرادة شرعية.

أمّا المشيئة: فإن المشيئة مُتعلَّقها كل ما يقع أو سيقع، فإنه متعلق مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالأشياء التي وقعت شاءها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والأشياء التي لم تقع وستقع سيَشاؤها الله عَزَّ وَجَلَّ.

إذًا: إذا شاء الله عَزَّ وَجَلَّ شيئًا فإنه سيقع عَقِيب مشيئته مباشرة لا يتخلف عنه، ما شاء الله

كان، وما لم يشأ لم يكن، إذًا تنبه إلى الفروق بين هذه المسائل الثلاثة.

السؤال: هل مشيئة الله تنقسم إلى كونية وشرعية؟

الجواب: لا، الإرادة هي التي تنقسم، وأما المشيئة فإنها شيء واحد لا ينقسم، المشيئة هي الموجبة للأشياء على الحقيقة، إذا شاء الله شيء فإنه يقع في هذا الكون، وقد يشاء الله ما يحب، وقد يشاء الله ما لا يحب، لأنه يفضي إلى ما يحب، كما تعلمنا هذا في درس سابق.

السؤال: قلتَ: إنَّ الله جل وعلا في السماء -في الدرس السابق-، فماذا عن قوله: ﴿**وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ**﴾ [الزخرف:٨٤]؟

الجواب: ليس أنا الذي قلت: إنَّ الله في السماء، بل الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي قال هذا عن نفسه، قال سبحانه: ﴿**أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**﴾ [الملك:١٦]، والنبي ﷺ قال هذا أيضًا، قال: «**ألا تأمَنُوني وأنا أَمينُ مَن في السماء**»، في أحاديث كثيرة بالمئات، إذًا لست أنا ولا غيري الذي قال هذا، إنما هو كلام ربنا وكلام نبيه ﷺ.

وقلنا إن معنى (في السماء) أحد أمرين كلاهما صحيح، إمَّا أن يكون في السماء، يعني: على السماء، «في» بمعنى: على، ولها نظائر في اللغة.

أو يكون المراد بالسماء: العُلُو المطلق، بأن يكون سبحانه فوق كل شيء، ولا شيء فوقه، بل كل شيء تحته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو فوق كل شيء، وهو المحيط بكل شيء.

أما هذه الآية فـ(إله) بمعنى: معبود، ﴿**وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ**﴾ يعني: معبود، وقلنا في درسٍ سابق: إن (أَلَهَ) في اللغة بمعنى: عَبَدَ، وتألَّه يعني: تَعَبَّد.

لِلَّهِ دَرُّ الغَانِيَاتِ المُدَّهِ ... سَبَّحْن واسْتَرْجَعْن مِن تَأَلُّهِ

يعني: من تَعبّد، فـ(أَلَهَ) يعني: عَبَد، و(آله) يعني: عابِد، و(إله) بمعنى: معبود، إذًا الآية واضحة، ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ﴾ يعني: معبود، ﴿وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ﴾ يعني: معبود، يعني: يَعبُدُه من في السماء، ويعبده من في الأرض، اللهُ معبود في السماء من الملائكة، ومعبود في الأرض من الإنس والجن والحيوانات، إذًا الآية واضحة ولا تشكل على ما سبق، والله تعالى أعلم.

والحمد لله رب العالمين

قال المصنّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ - عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ-.

وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً -مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولًا-.

نُبِّئَ بِإِقْرَأْ، وَأُرْسِلَ بِالْمُدَّثِّرِ، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ، بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر:١-٧]

وَمَعْنَى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ، ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾: الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ. وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا.



قَالَ الشَّارِح وفَّقَهُ الله:

فقد مضى الكلام في هذا الأصل الثالث، ألا وهو معرفة نبينا محمدٍ ﷺ، وذكرنا أنه: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي العدناني العربي، وقد ذكر الشيخ هنا أن (هَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ)، وهُم الفَخذ الذي يرجع إليهم النبي ﷺ من قريش، وهم أيضًا آل بيت النبي ﷺ.

قوله: (وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ) يعني: من العرب المستعربة، حينما ذكر أن العرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام، يعني: العرب المستعربة، لا العرب العاربة.

وكان عمره ﷺ يوم أن توفي ثلاثة وستين عامًا، منها أربعون سنة قبل النبوة، فالنبي ﷺ بُعث وعُمره أربعون سنة، ومنها ثلاثة وعشرون عامًا رسولًا نبيًا ﷺ.

قوله: (**نُبِّئَ بِإِقْرَأْ، وَأُرْسِلَ بِالْمُدَّثِرِ، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ، بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ**).

نبئ ﷺ بـ(إقرأ)، وسورة (اقرأ) مَطلعها الخمس آيات الأولى من هذه السورة أول ما أُوحي إلى النبي ﷺ على الصحيح من كلام أهل العلم، وبهذا الوحي كان ﷺ نبيًا، وقد سُبق هذا بالرؤيا الصالحة التي كان يراها ﷺ، إذْ كان لا يرى رؤيا إلا وحدث ما أُخبر به في المنام، كأن ذلك فلق الصبح، لكن هذا إرهاص ومقدمة لِما هو مُقدِم عليه ﷺ من مقام النبوة الشريف، **وبيانُ ذلك** أن النبي ﷺ كان يتعبد في غار حراء، حُبِّب إليه ذلك، يخلو بنفسه، ويتأمل في هذا الكون، ويجلس الليالي ذَوات العدد في غار حراء، ثم يعود فيَتزوَّد لِجَولة أخرى وخلوة أخرى، وإذْ كان هناك جاءه جبريل عليه السلام فغطَّه، يعني: ضَمَّه، حتى بلغ منه الجَهْد ثلاث مرات، وكل ذلك يقول عليه السلام للنبي ﷺ: «**اقْرَأْ**»، والنبي ﷺ يقول: «**مَا أَنا بِقَارِئٍ**»، لم يكن ممتنعًا من الإجابة، إنما كان مخبرًا أنه لا يُحسِن القراءة، وفي المرة الثالثة قال جبريل عليه السلام: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ [العلق:١-٥]، ثم فتَر الوحي بعد ذلك، ورجَع النبي ﷺ إلى خديجة رضي الله عنها وهو يقول: «**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، دَثِّرُونِي دَثِّرُونِي**»، فقد أصابه ﷺ الخوفُ بسبب هذا الذي رآه، وهو شيء عجيب، فطَمْأَنَتْه رضي الله عنها بأن الله لن يخزيه أبدًا، ثم ذهبتْ به إلى ورقة بن نوفل رضي الله عنه، فأخبره

أنه الناموس الذي نزل على موسى عليه السلام، وهكذا جميع الأنبياء يوحى إليهم، وهذا الملك هو الملك الموكل بالوحي.

(ثم أُرسل ﷺ بالمُدَّثِّر)، إذًا كان نبيًا بسورة اقرأ، ورسولًا بسورة المدثر، ولما كان ذلك فإن النبي ﷺ بدأ البعثة العامة، وبدأ الدعوة العامة لجميع أهل مكة، كما قال جل وعلا: ﴿**قُمْ فَأَنذِرْ**﴾ [المدثر:٢]، فخرج النبي ﷺ وبدأ يدعو إلى التوحيد.

(وبلده ﷺ مكة)، ولد ﷺ باتفاق العلماء في مكة، ثم هاجر ﷺ إلى المدينة وبها توفي.

إذًا مولده ﷺ بمكة، ووفاته بالمدينة.

وُلِد ﷺ يوم الاثنين بالاتفاق، بل بنَصّ الحديث عن النبي ﷺ، لما ذكر يوم الإثنين وصيامه، قال: «**ذاك يومٌ وُلِدتُّ فيه**»، وهو يوم الثاني عشر من ربيع الأول على قول، وعلى قولٍ آخر: هو اليوم التاسع من ربيع الأول، وكان هذا عام الفيل.

وقد ذكر بعض المحققين من المؤرخين: أن ذلك كان إحدى وسبعين وخمسمائة من الميلاد، فهذا هو ميلاد النبي ﷺ.

قوله: (**وَبَلَدُهُ مَكَّةُ، بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ**)، هذه هي خلاصة بعثة النبي ﷺ، بعثه الله بالنذارة عن الشرك، ويدعو ﷺ إلى التوحيد، هذه خلاصة مركزة لِدعوته ﷺ، وهي دعوة جميع الأنبياء والمرسلين.

أهَمّ قضية وأكبر قضية في دعوتهم جميعًا، **هي الدعوة إلى التوحيد**، توحيد الله سبحانه وتعالى، ولاشك أن الإجماع قد انعقد على أن أعظم ما في دعوات الأنبياء والمرسلين، وما في كتب رب العالمين؛ هو توحيده سبحانه وتعالى.

ولذا فليس بعَجَب أن تكون هذه القضية أهمّ قضية يدعوا إليها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، كلهم كان ينادي ويصيح في قومه: ﴿اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.

كانت تلك الأمم جميعًا تعيش مشكلات، تعيش مشكلات اقتصادية، تعيش مشكلات اجتماعية، تعيش مشكلات أخلاقية، تعيش مشكلات شتى، ولكن تبقى القضية الأهم والأبرَز والتي شمَّر لها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن ساعد الجِدّ، **هي قضية التوحيد**، أن يُعبد الله وحده لا شريك له، ولذا النبي ﷺ افتتح دعوته بالتوحيد، «**قولوا: لا إله إلا الله تُفلِحُوا**».

واختتَم دعوته أيضًا بالتوحيد، ففي آخر لحظات حياته ﷺ يقول: «**لَعْنَةُ الله على اليهود والنصارى؛ اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، يُحذِّر ما صنعوا. وفي ما بين ذلك كانت قضية التوحيد تشمل أكبر مساحة من دعوته الشريفة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

إذا كان ذلك كذلك فعَلَى الدعاة إلى الله جل وعلا أن يسيروا على نَهجه ﷺ، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١]، فيا معشر الدعاة، يا معشر طلاب العلم؛ لِيكُن لكم في رسول الله ﷺ أُسوة حسنة، بالعناية بالتوحيد، لتكن قضية التوحيد أول قضية وأهم قضية وأكبر قضية في دعوتكم.

ولاشك أن الدعوة إلى التوحيد ليست محصورة في المجتمعات التي تنتشر فيها المخالفات العقدية، بل ينبغي أن تكون الدعوة إلى التوحيد حتى في المجتمعات التي قد صَفَتْ وخفَّت فيها مظاهر الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، هذا النبي ﷺ كما في «الصحيحين» من حديث

عُبادة بن الصامت رضي الله عنه، أنه كان مع النبي ﷺ في جماعةٍ من الصحابة، فقال ﷺ: «**بايِعُونِي على ألا تُشرِكوا بالله شَيئًا**»، سبحان الله! هؤلاء أصحاب النبي ﷺ، هؤلاء أئمة التوحيد، أبْعَد الناس عن الشرك، ومع ذلك النبي ﷺ يأخذ عليهم العهد والبيعة على ألا يشركوا بالله شيئًا، وفي هذا أحاديث شَتَّى عن النبي ﷺ.

أقول: إذا كان ذلك مهمًا في مجتمع صافٍ موحد، فكيف والمجتمعات الإسلامية اليوم تُعانِي من مشكلات عَقديّة كبرى، أليس حريًا بالدعاة وطلاب العلم أن يجدوا ويجتهدوا في الدعوة إلى التوحيد؟

هل تعلم كم الذين يدعون غير الله عَزَّوَجَلَّ، يَهتِفُون باسم أموات، ويتركون رَبّ الأرض والسماوات؟ هل تعلم كم الذين يلجئُون إلى القبور، ويتمسحون بالأعتاب، ويتبركون بالقبور ويتمسحون بها، كم الذين يذبحون ويطوفون بهذه القبور ويذرون لها، وكم الذين يعتقدون أن الله تعالى في كل مكان، وكم الذين يعلقون التمائم والخيوط على السواعد وعلى الأعناق، وكم الذين يذهبون إلى السحرة والكهّان والمشعوذين، ويطلبون السُّعود أو النُّحوس، أو كشْف شيء دفْع النحوس، أو كشْف شيء من أمور الغيب، أو يتعلقون بالأبراج ويعتقدون فيها، ويقرؤون المجلات المخصصة لهذا الأمر، وكم الذين يقعون في أنواع من البدع العقدية والعملية، وكم الذين ضعف اعتصامهم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وربما أصبحوا ينظرون إلى الشريعة بأنها شريعة ناقصة، لا تستوعب مجريات وحوادث هذا العصر الحديث، أو الذي يَتقزَّزُون من بعض أحكام الشريعة، أو يصفونها بالوحشية، ويقع في قلوبهم ويُخالِجُها شيءٌ من الشك في دين الله سبحانه وتعالى حينما شرع الله الحدود، وجعل القوامة

للرجل لا للمرأة باستقلال، أو أمَر بكون المرأة لا تسافر إلا مع ذي محرم، أو أمرها بالحجاب، أو نحو ذلك من هذه الأحكام الشرعية العظيمة، ويُغذّي هذا كله وسائل تَدْأَب ليل نهار، في إضعاف التمسك بالتوحيد، والاعتصام بحبل الله عَزَّوَجَلَّ، فضائيات أُتْخِم بها الفضاء، وشبكات تصطاد الذين ضعف إيمانهم أو ضعف علمهم، وتبُثّ فيهم الشُّبه الإلحادية واللَّادينية، أو التي تطعن في سُنة النبي ﷺ، أو تطعن في أهل العلم وتُقلِّل من مكانتهم في النفوس، إلى غير ذلك من هذا المكر الكُبَّار، الذي يَدْأَب عليه شياطين الإنس والجن، أَبَعْد هذا كله يضعف الدعاة إلى الله في الدعوة إلى التوحيد، ويتركون الهمة العالية والنشاط في الدعوة إلى التوحيد، وبناء خطبهم ودروسهم وكلماتهم ومقالاتهم على هذا الأمر العظيم؟ إنَّ هذا في الحقيقة لأمرٌ مؤسف جدًا.

ربما تجد من بعض الدعاة وطلاب العلم مَن يتناول قضية التوحيد، لكن يتناولها على قلَّة، ويتناولها أيضًا على ضعف، ويتناولها أيضًا على إجمال، ولا يُفصّل، ولا يُبيّن، ولا يُحقِّق، والناس -والله يا إخوان- أحوج ما يكونون في هذا الزمان إلى هذه القضية العظيمة، إلى بيان تفاصيل المعتقد، وإلى دفع الشبهات، ودَرْء التشكيك الذي يُوجَّه إلى الناس شبابًا وكبارًا ورجالًا ونساء، القضية هذه ينبغي أن نَتنبَّه لها، الله جل وعلا بعث نبيه ﷺ لهذه القضية التي هي الأهم على الإطلاق، (ينذر عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد ﷺ)، فإن كنت من أتباعه فهذا هو الطريق، ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾ [يوسف:١٠٨]، فإن كنت من أتباعه، فدُونك طريق الدعوة إلى التوحيد، فهذه هي سبيلُه ﷺ.

قوله: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر:١-٧]).

قوله تعالى: (﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾)، أصل هذه الكلمة: (المُتَدَثِّر)، ثم أدغمت التاء في الدال، فقيل: (﴿الْمُدَّثِّرُ﴾).

والدِّثار هو: ما يُغطَّى به، ويُلتحف به، ويكون من فعل هذا متدثرًا، والله جل وعلا وجه هذا الخطاب إلى نبيه ﷺ بعد أن أصابه ﷺ ما أصابه، وقال: «**دَثِّروني دثروني، زَمِّلُوني زملوني**»، أمَره الله جل وعلا بهذا الخطاب بأوامر عظيمة، ابتدأها سبحانه وتعالى بتوجيه الخطاب إليه، (﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ﴾)، (قم) فعل أمر، (أنذر) فعل أمر أيضًا، (يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ).

قوله: (﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾) يعني: (عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ)، ربك فكبِّر.

ولاحظ أن تقديم الاسم الجليل الرب (﴿رَبَّكَ﴾) يدل على التخصيص، فالذي يجب أن يُكبَّر هو الله سبحانه وتعالى، ما قال (وكبِّر ربك)، إنما قال: (﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾)، دلالة على الحصر والتخصيص.

قوله: (﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾)، اختلف العلماء في تفسير الثياب ومعنى التطهير، فذهب طائفة من أهل العلم: إلى أن الثياب استعارة عن النفس، والعرب تطلق الثياب وتريد النفس، ومن ذلك قول عنترة:

فَشَكَكْتُ بالرُّمْحِ الأَصَمِّ ثِيابَه ... لَيسَ الكريمُ على القَنا بمُحَرَّمِ

يعني: ضربتُ نفسه، وطعنته بالرمح، فيكونه المعنى إذًا: ونفسك فطهر، وأعظم ما يُطهر

عنه هو الشرك الله سبحانه وتعالى، ثم بقية المعاصي والمحرمات.

وذهبت طائفة من أهل العلم إلى أن هذه الآية فيها الأمر بتطهير الثياب من النجاسة، وذلك أن المشركين ما كانوا يعتنون بطهارة أنفسهم وثيابهم، فأمر ربنا جل وعلا نبيه ﷺ -والأمر له ولأُمته- بالعناية بالطهارة، والنزاهة من النجاسة، وهذا الذي ذهب إليه الشافعي رحمه الله، واستدله هو وغيره من أهل العلم على شرطية طهارة الثياب في الصلاة، ولاشك أن هذا من الواجبات المهمة، ومن شروط الصلاة، ومن الأمور التي ينبغي أن يتنبه لها المسلم، وقد ذكرت سابقًا -في درسٍ ماضي- أن الناس في هذه القضية طرفان ووسط: طرفٌ متكاسل ومتساهل، ولا يبالي بالنجاسة التي تقع على جسده أو تقع على ثيابه، وهذا متوعد بأمر عظيم، فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «**أكثرُ عذابِ القبرِ مِن البَولِ**».

وفي «الصحيحين» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، لمَّا مر النبي ﷺ بقبرين، قال: «**إنَّهُما لَيُعَذَّبانِ، وما يُعذَّبان في كبيرٍ**»، يعني: ما يعذبان في كبير في ينظرهما، أو ما يعذبان في كبير ترْكُه.

وفي رواية قال: «**بلى إنَّه لكبيرٌ، أمَّا أحدهما فكان لا يَستَنزِه من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنَّميمة**»، الأول كان لا يستبري من البول ولا يتنظف ولا يتطهر من هذه النجاسة، فعُوقِب في قبره والعياذ بالله، بل ذكر ابن القيم رحمه الله: أن وضعه ﷺ نصف الجريدة على هذا القبر والنصف الآخر على ذلاك، دليل على أن العذاب مستمر إلى يوم القيامة، قال: «لأنه قيد التخفيف بمُدة رطوبة الجريدة»، قال: «لعلَّه يُخفِّف عنهما ما لم يَيبَسا»، يعني: يعود بعد ذلك العذاب، وهذا استنباط ابن القيم رحمه الله في كتابه «الروح»، إذًا هذا طرف.

الطرف الآخر: هم المُغالُون الذين وقعوا في الوسوسة، الذين شقُّوا على أنفسهم كثيرًا في مسألة الطهارة، حتى إن أحدهم لربما استغرق في دورة المياه الوقت الطويل، وقد حدثني بعض هؤلاء أنه يجلس إلى ثلاث ساعات يتطهر، بحيث أنه يدخل مع دخول الوقت، وقد يدرك الوقت للصلاة وقد لا يدركه، كل ما غسل شيئًا، يأتيه الشيطان فيقول: لا، لعلَّ البقعة هنا أو هناك، وربما غسل الثوب كله، ثم يأتيه الشيطان ويقول: لا، خرج منك شيء، ويستمر في هذا العناء والعذاب.

وعلاج هؤلاء باللجوء إلى الله سبحانه وتعالى، لأن هذا ما هو إلا تسلط من الشيطان، والشيطان لا ينجيك منه إلا رب العالمين سبحانه وتعالى، وكذلك الإنسان لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله، هكذا قال ﷺ، ثم عليه أن يعمل بقاعدة مهمة وسهلة وناجعة بإذن الله، قاعدة الفقهاء (لا احتياط لموسوس)، قاعدة نص عليها الفقهاء لا احتياط لموسوس، المشروع الذي يحبه الله منك؛ هو أن لا تحتاط، توضأ مرة، وتنظف مرة، وصلِّ مرة، ولا تعد مهما شكَكْت، ومهما وسوس لك الشيطان، لا تلتفت، لو قدرنا في حقيقة الحال أن هناك خطأً قد حصل، أنت معفوٌّ عنك، جرب أن تعصي الشيطان مرة واثنتين وثلاث وأربع سييأس منك ويتركك، وهذا علاج مجرب، لا احتياط لموسوس، لا تحتاط، إذا كنت ابتليت بهذا أو تعرف أحدًا ابتلي بهذا، فانصحه بهذا الأمر، لا يحتاط، ويجاهد نفسه على أن لا يحتاط، لأنه يهرب من شيء يوقعه في سخط الله إلى شيء يوقعه في سخط الله، ما صنع شيئًا، فالنبي ﷺ يقول: «**هلك المتنطعون**»، وهذا والله تنطع.

القول الثالث في الآية: هو أن قوله: (﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾)، يعني: ارفع ثيابك فإن هذا

يطهرها، وهذا ما ذهب إليه بعض أهل العلم، كطاوُس رحمه الله، أن هذه الآية دليل على رفع الثوب وعدم الاسبال، والإسبال هو أن ينزل الثوب إلى الكعب، والكعب هو العظم الناتئ البارز بين الساق والقدم.

ولاشك أن هذا الصواب: أنه محرم ولا يجوز، ولو لعدم الخليلاء، أما مع الخيلاء فإنه أعظم وأشنع وأشد تحريمًا، أما بمجرده، فالصواب أنه محرم، والنبي ﷺ أطلق، فقال: «**ما أسْفَل من الكعبين من الإزارِ فَفِي النَّارِ**»، فعليك أن تحذر يا رعاك الله من ذلك الأمر.

والمقصود: أن قوله: (﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾) على هذا التفسير يكون بتطهيرها برفعها، لأن الإسبال مظنة لورود النجاسة، ولذلك في «صحيح البخاري»، لما دخَل شاب على عمر رضي الله عنه لما طُعِن، وذكره بما من الله سبحانه وتعالى عليه من الفضائل، وذكره بصحبة النبي ﷺ، وجهاده وعدله... إلخ، قال عمر رضي الله عنه: لَوَدَدتُّ أن ذلك لي كفاف، لا لِي ولا عَلَّي، ثم لما انصرف الشاب لاحَظ عمر رضي الله عنه أن ثوبه يكاد أن يمس الأرض، فقال: عليَّ بالغلام، نادُوه، لاحظ: خليفة المسلمين وهو طُعن، وهو على فراش الموت، ومع ذلك ما ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا ترك التنبيه على هذه القضية التي هي في نظر كثير من الناس مسألة تافهة، فلما دعاه قال: يا غلام، أو قال: يا ابن أخي ارفع ثوبك، فإنه أتقى لربك وأبقى لثوبك، هكذا رواية الجمهور في البخاري، وعند بعضهم: أنقى لثوبك، وكلاهما صحيح، وكلاهما جاءا في روايات أخرى في خارج الصحيح، الأكثر أنه قال: أبقى لثوبك، يعني: أنه لا يهترئ بهذا النزول والمسح على الأرض، أو أنه أنقى لثوبك، يعني: لا يصاب بشيء من الأوساخ والنجاسات التي قد تكون على الأرض.

قوله: (﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾)، الرُّجز والرِّجز، قراءتان سبعيتان، وكلاهما بمعنى واحد، واختلف العلماء رحمهم الله في تفسير الرُجز أو الرِجز، وذهب كثير من أهل العلم إلى أن الرِجز هو الشرك والأوثان، وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعن مجاهد وعن قتادة، وعن غيرهم من السلف الصالح، وبذلك تكون هذه الآية نهيًا عن الوقوع في الشرك، ينهى الله جل وعلا نبيه ﷺ عن الوقوع في الشرك، وهو نهي لأمته أيضًا.

وذهبت طائفة من أهل العلم: إلى أن الرِّجز أو الرُّجز: هو المعاصي، وهذا ليس ببعيد عن الأول، فالشرك معصية وإن كان أعظم المعاصي على الإطلاق.

قوله: (﴿وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾)، وهذه الآية أيضًا اختلف المفسرون فيها، فقيل: إن الله جل وعلا أمر نبيه ﷺ أن لا يُمنِن فيستكثر، يعني: لا يهدي فينتظر مقابل هذه الهدية هدية أعظم، وهذا مما نُهي عنه النبي ﷺ خاصة، وأما غيره فيجوز له ذلك، لكن هذا في حق النبي ﷺ لا يليق، وقال بعضهم: إن معنى هذه الآية: أنه لا يمن على الناس ببعثته ﷺ، فيطلب مقابلًا لهذه الدعوة، إنما عليه أن يدعو إلى الله مخلصًا في دعوته. إلى غير ذلك مما ذكر المفسرون في هذه الآية.

قوله: (﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾)، إمَّا لربك فاصبر، يعني: لأجل ربك فاصبر، لأجل إرادة وجهه والدار الآخرة فاصبر، يعني: أخلِص صبرك لله، أو ولربك، يعني: لأمر ربك فاصبر، وكلا المعنيين متلازمان.

والصبر -كما قد عَلمنا في دورس مضَت- ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: صبر على طاعة الله، وهذا أعلى أنواع الصبر.

والثاني: صبر عن معصية الله.

والثالث: صبر على أقدار الله المؤلمة.

ولاشك أن من أُعطي الصبر فقد أُعطي أفضل الأشياء، كما في «الصحيح» عنه ﷺ: «**وما أُعطِي عَبدٌ عطاءً خيرًا ولا أحسن من الصبر**».

قوله: (**أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ**)، يعني: في مكة، بعد أن أرسل ﷺ أخذ يدعو إلى التوحيد عشر سنين.

قوله: (**وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ**).

هذا هو الصحيح -والله تعالى أعلم- في تاريخ المعراج، أنه في السنة العاشرة من البعثة، والنبي ﷺ عرج به إلى السماء بجسده ورُوحه، وهذا هو الصحيح الذي لاشك فيه، وهو الذي عليه جماهير أهل العلم، أن النبي ﷺ عُرج به بذاته بجسده وبروحه ﷺ، صعد إلى السماء ونزل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وأمَّا من قال إن هذا كان رؤيا مَنامية، يعني: المعراج، فهذا قولٌ باطل من أقوال أهل البدع.

وأمَّا من قال إنه عرج به برُوحه ﷺ؛ فهذا قول خاطئ، **والصواب**: أنه عرج به ﷺ بجسده وروحه.

قوله: (**وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ**)، إذًا يكون مجموع العَهد المكي ثلاث عشرة سنة، وعامّة تلك السنين، كان النبي ﷺ يدعو فيها إلى التوحيد فحسْب، إلا ما كان من السنوات الأخيرة فإنه كان يدعو أيضًا إلى إقام الصلاة ﷺ، لكن عامة

دعوته في مكة كانت متركزة على قضية التوحيد.

قوله: (**وَبَعْدَهَا أُمِرَ بالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ**)، أُمِر ﷺ بعد ذلك بالهجرة إلى المدينة، فمكث في المدينة عشر سِنين، وهناك كانت عامة الشرائع والأحكام المتعلقة بالعبادات، والمتعلقة بالمعاملات، والمتعلقة بأحكام الأسرة وبالحدود إلى غير ذلك، مع أن قضية التوحيد تبقى أيضًا هي القضية الأهم في المدينة، ومن تأمل سيرة وسنة النبي ﷺ أدرك ذلك.

بعد ذكر أنه هاجر إلى المدينة عرَّف لنا الشيخ رحمه الله الهجرة.

قال المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالْهِجْرَةُ: الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلَامِ، وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلَامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء:٩٧-٩٩]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت:٥٦]، قَالَ الْبُغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ: فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ». وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ؛ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».



قَالَ الشَّارِح وفَّقَهُ الله:

عندنا هنا ثلاث مسائل:

أولًا: تعريف الهجرة.

الهجرة في تعريفها العام هي: (الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلَامِ)، عامة النصوص التي جاءت فيها الهجرة يراد بها هذا التعريف، ولاشك أن هذا من الأمور الواجبة.

والدليل على ذلك: ما أخبر الله سبحانه وتعالى من أن هؤلاء الذين لم يهاجروا هم من الظالمي أنفسهم، وعاتبهم الله سبحانه وتعالى، ووَبَّخَهم على هذا الملائكة عليهم السلام،

﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [النساء:٩٧]، وهذه الآية ذكر أن مأوى هؤلاء جهنم فيه بيان وعيد للعصاة، وقاعدة أهل السنة في وَعيد العصاة: **أنه يُفهم من خلال أمرين:**

أولًا: أن العاصي إذا تُوعِّد بشيء من عذاب الله، أو من غضبه، أو حرمانه من الجنة، أو دخوله إلى النار أو غير ذلك، يُفهم أن هذا نصٌ مطلق جاء تقييدُه في نص آخر، وهو قول الله جل وعلا: **﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾** [النساء:١١٦]، إذًا أيّ نص يمُرّ بك فيه وعيد بالنار، ضُمَّ إليه **﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾**، إذًا هذه الآية: **﴿فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾** إلا أن يشاء الله العفوَ عنهم، لأن النصوص يجب التأليف والجمع بينها، فإذا كان هناك نصٌّ مطلق ونصٌّ مُقيِّد، فإننا نحمل المطلق على المُقيِّد، فالله جل وعلا أخبرنا وهو أصدق القائلين سبحانه: أنه قد يغفر لمن يشاء سبحانه وتعالى من هؤلاء العصاة.

ثانيًا: أنه لو نَفَذ الوعيد في حق هذا العاصي، فإن هذا الوعيد بدخول النار هو وعيدٌ مؤقت لا مُؤبَّد، يعني: سيدخل النار، ولكنه لن يخلد فيها، يدخل فيها ولن يخلد فيها، كم سيمكث فيها؟ الله أعلم، يَمكُث مدةً يشاء الله سبحانه وتعالى، ويخرجه يعني: هذا العاصي من النار، إما بشفاعة أحد الشفعاء، أو بمحض رحمة أرحم الراحمين سبحانه وتعالى، كما قال جل وعلا في الحديث القدسي وهو في «الصحيحين»: «**شَفَعَتِ الملائكة، وشفَع النبيون، وشفَع المؤمنون، وبَقيَتْ رحمةُ أرحم الراحمين**»، إذًا أي نص كما ذكرت تفهمه من خلال هذين الأمرين، **أولًا**: أنه تحت المشيئة، قد ينفذ هذا الوعيد وقد لا ينفذ، بحسب مشيئة الله سبحانه وتعالى.

ولكن تَنبَّه أيضًا إلى أن طائفة من العصاة لابد أن يُعذبوا، يعني: ليس لك أن تقول يمكن أن يعفو الله عن جميع العصاة، هذا جائز تحت قدرة الله سبحانه وتعالى، لكن لن يكون، بل لابد من تعذيب طائفة من العصاة، لابد، حتى تتحقق أحاديث الوعيد التي جاءت في النصوص، ومنها أحاديث الشفاعة، أليس في أحاديث الشفاعة أن النبي ﷺ يَحُدُّ له ربه حدًا من أهل النار فيُخرجهم؟ إذًا هذا يدل على أن هناك عصاةً سيعذبون قطعًا، لكن بالنظر إلى كل فرْد فرْد فإنه نقول: هو تحت المشيئة، ولكن هذا لا يعطي الإنسان الأمان، فما يدريك أن ممَّن شاء الله عَزَّوَجَلَّ العفو عنه، ربما تكون ممن لم يَشإِ الله العفو عنه.

ثانيًا: أنه إن دخل النار فإنه لا يخلد فيها، دخوله دخول مؤقت، لا دخول مؤبد، مَن الذي دخوله مؤبد؟ الكفار.

إذًا الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام الأصل فيها أنها واجبة، وسيأتينا بعد قليل الاستثناء، هناك هجرات أو هِجَرٌ تفصيلية أخرى، ومن ذلك: الهجرة من بلد الخوف إلى بلد الأمان، إذا كان الإنسان يخاف على نفسه أو يخاف على دينه، فإنه يجوز له أن يهاجر إلى بلد يأمن فيه على نفسه وعلى دينه، ولو كان البلد كافرًا، بدليل هجرة أصحاب النبي ﷺ إلى الحبشة، والحبشة إذ ذاك أرض إسلام أو أرض كفر؟ أرض كفر، لكن هذه الهجرة هجرة أمان، يُطلب فيها الأمان، لأنهم كانوا في مكةَ لا يأمنون على أنفسهم رضي الله عنهم، فمن كان في بلد يُضطَهَد فيها، في نفسه في دينه في ماله في أولاده، فإنه يشرع له أن يهاجر إلى بلد يأمن فيه على ما ذُكر.

ذكَر العلماء أيضًا الهجرة من بلد المعاصي والبدع إلى بلد الطاعة والسنة، ولاشك أن

هذه درجتها أقل مما سبق، ولكنها أيضًا مشروعة، ولذلك أفتى مالك رحمه الله بالهجرة من بلَد يظهر فيه سَبّ أصحاب النبي ﷺ، يعني: يفشوا وينتشر ويُعلن بسَبّ أصحاب النبي ﷺ، أفتى بأن يهاجر أهل هذه البلد من المؤمنين إلى بلد لا يكون فيه هذا المنكر.

المسألة الأخرى: وهي ما حكم البقاء في بلاد الكفار؟

الأصل: هو أنه لا يجوز لمسلم أن يبقى بين ظَهراني الكفار، بل يجب عليه أن يهاجر إلى بلد الإسلام، إلى البلد الذي يكون فيه الإسلام ظاهرًا، إلى الذي يكون فيه أهله مسلمين، إلا في حَقّ مَن كان يستطيع إظهار دينه، فإن الهجرة في حقه تكون مستحبة على ما ذكر الفقهاء رحمهم الله، أما من كان لا يستطيع إظهار دينه ولا الدعوة إلى دينه، ولا بيان شرائع الدين وشعائره، فإنه يجب عليه وجوبًا أن يهاجر من هذه البلاد الكافرة إلى بلاد المسلمين مع القدرة، أمَّا الذي لا قدرة عنده، أو الظروف الأمنية أو السياسية أو الحدود أو ما شاكل ذلك تمنع، فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

وهذا يَجُرُّنا إلى التنبيه إلى خطورة المكْث في بلاد الكفار يا أيها الإخوان، فإن ضريبة ذلك ضريبة عظيمة، وقد جرب كثير من المسلمين ذلك فندموا ندمًا عظيمًا، ربما يذهبون لزهرة من زهرات الدنيا، وتحصيل مال ورغد عيش، ولكن الثمن باهِظ، الثمن سيكون على أنفسهم، وعلى دينهم، وعلى أولادهم أيضًا، فإنهم سيُنشَّئُون في بيئة غير صالحة، وبيئة غير مناسبة إطلاقًا، لا يسمعون ذكر الله، ولا يرون المساجد، ولا يسمعون الأذان، ولا يرون إخوانهم المسلمين، ولا يسمعون الكلام الحق، أين المقارنة بين بلاد الكفار التي ترى فيها الصلبان وتسمع فيها النواقيس، ويُرى فيها المنكر عيانًا مِن بلاد الإسلام مهما كان فيها من

نقص، ومهما كان فيها من تقصير.

المقصود: أن على المسلم أن يتقي الله عَزَّوَجَلَّ في نفسه، وأن يتقي الله عَزَّوَجَلَّ في من تحت يده، ويهاجر إلى بلاد المسلمين ما استطاع.

المسألة الثالثة: قد يقول قائل: ماذا نصنع كي نجمع بين قوله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لا هِجْرةَ بَعْدَ الْفَتْحِ**»، وبين قوله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لا تَنقطِع الهجرةُ حتى تنقطعَ التوبةُ**»؟

الحديث الذي سمعناه وهو حديث صحيح مخرّج عند أبي داوُد وأحمد وغيرهما، في حديث قال: «**لا هجرة بعد الفتح**»، يعني: بعد فتح مكة، ومرة قال: «**لا تَنقطِع الهجرةُ حتى تنقطعَ التوبةُ**»، ومتى تنقطع التوبة؟ إذا طلعت الشمس من مغربها، يعني كان هذا في آخر الزمان، يعني سيستمر حكم الهجرة مشروعًا إلى آخر الدنيا إلى آخر الزمان، فكيف الجمع بين الحديثين؟

الجَمْع: أن الهجرة الواردة في قوله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لا هجرة بعد الفتح**»، هجرة خاصة، يعني: الهجرة إلى مكة على وجه الخصوص، وذلك أن الهجرة قد تمَّت وانتهت، وفتحت مكة، فأصبحت الهجرة من مكةَ إلى المدينة انتهَت، لأن مكة أصبحت تحت حكم المسلمين، فتَحَها النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فما معنى أن يهاجر أهلها منها إلى المدينة؟ لكن قوله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لا تنقطع الهجرة**» هذه مسألة عامة، هِجرة من كل بلد كفري إلى بلد إسلامي، وبهذا يُجمع بين الحديثين.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

الأسئلة

السؤال: نسمع دائمًا أنه في غار حراء جاءت الحمامة وباضت والعنكبوت بَنَى بيته، فهل هذه رواية صحيحة؟

الجواب: هذه رواية غير صحيحة، ولم تثبت في رواية ثابتة.

السؤال: كيف نستغفر من ذنب الغِيبة؟

الجواب: الغِيبة يتعلق بها حقّان: حقٌّ لله عَزَّ وَجَلَّ، باعتبار هذا المغتاب قد انتهك حرمة من حرمات الله، وفيها أيضًا حقٌّ للمخلوق المغتاب، وعلى الإنسان أن يوفي الحقَّين.

أمَّا حق الله عَزَّ وَجَلَّ فإنه يكون بالاستغفار والتوبة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ التوبة النصوح، التوبة الصادقة، وأمَّا بالنسبة للمخلوق؛ فالمسألة محل بحث طويل عند أهل العلم، هل عليك أن تتحلَّل ممن اغتبتَه، أو لا يلزمك ذلك؟

والذي يظهر -والله تعالى أعلم-: أن الحق لهذا المغتاب المخلوق ثابت، فاليقين هو أن تَتحلَّله، اليقين بالخروج من العهدة أن تتحلله، فإذا حلَّ لَك فإن الأمر قد تَمَّ ولله الحمد، وأما إذا لم يُحلِّلْك فإن الحق له، وهو باقٍ على حقه.

ويستثنى من هذا ما إذا غلب على الظن أن هذا المغتاب سيحصل منه أمران: إن كان سيقع في نفسه أَلَم شديد، وستفسد العلاقة بينك وبين أخيك المسلم، فهذه مفسدة ينبغي دَرْؤُها، فلا تُخبره، أو يغلب على ظنك أنه لن يقبل، تعرف من أخلاقه ومن تعامله أنه لن يقبل، وبالتالي لن تستفيد شيئًا من إخباره، وعليه فماذا يصنع الإنسان في هاتين الحالتين؟

الجواب: عليه أن يكثر من الدعاء له ومن الثناء عليه، لا سيّما في المواضع التي كان

يغتاب فيها، يعني: الأماكن أو المجالس التي وقع منه الغيبة لأخيه فيها، ومع ذلك عليه كما يقول شيخ الإسلام رحمه الله: أن يكثر من الأعمال الصالحة، حتى إذا كان الأمر فيه قصاص يوم القيامة، فإنه يكون عنده حسنات حتى لا تُستنفَذ هذه الحسنات التي يأخذها هذا المغتاب من حسناتك.

ولاشك أن الإنسان إذا علم هذا الأمر، فإن ذلك يدعوه إلى أن يحفظ لسانه، فإنه سيدخل في أمرٍ عظيم، ويبقى الأمر فيه احتمال، فلماذا يُورِد الإنسان نفسه هذه الموارد، والله المستعان.

السؤال: يعمل في أحد مجالات التجارة، بعض المحلات يعطونا فلوسًا على كل فاتورة، والبعض الآخر يعطونا بالجملة، مثلًا خمسين ألف ريال، ويعطوك هدية؟

الجواب: الأمر يختلف هل أنت تعمل لنفسك، أو تعمل وكيلًا عن غيرك، يعني: تكون عاملًا، أو تكون مندوب مبيعات، تذهب للتوزع، توزيع هذه البضائع على المحلات، إن كنت مندوبًا -وهذا الذي يبدو من السؤال- فإنك لا تعمل لنفسك، وبالتالي الهدايا التي تصل إليك فإنها حق لصاحب المحل إلا إذا سمح، أو كان بينكم شرط من البداية، وإلا فالأصل أنها هدايا العمال غُلُول، وأنت تأخذ مكافأة على عملك هذا، فأي قدْر زائد على ذلك فإنه يرجع إلى صاحب المال، أو تستعفي من قبوله، إلا إذا كان صاحب المال قال: لا حرج، إذا ذهبت وأعطوك شيئًا فإني أسمح لك بذلك، أما إذا كان الأمر ليس كذلك فليس لك أن تأخذ هذا الأمر، لأنك تأخذ مكافأة على عملك، وأنت تعمل باسم صاحب المحل، أنت وكيل عنه، لا تعمل لنفسك، يعني: لست أصيلًا بل أنت وكيل، هذا الذي يظهر لي والله

تعالى أعلم.

السؤال: هل إبليس أبو الجن؟

الجواب: إبليس من الجن، كما أخبر الله سبحانه وتعالى، والشياطين ذريته، هو لَهُ ذرية، ﴿**أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ**﴾ [الكهف:٥٠]، فإبليس الأكبر الذي تَمرَّد على الله سبحانه وتعالى ولعَنه الله، هذا له ذرية، ويعملون بأمره، ويأتمرون بما يقول لهم.

السؤال: يسأل عن اصطحاب عاملة منزلية نصرانية للمدينة، ويسكنها بجوار المسجد النبوي للبقاء على أبنائه الصغار، مع عدم السماح لها بالذهاب للمسجد أو الساحات الخارجية؟

الجواب: والله يا أخي الذي يظهر أنك أخطأت، أولًا استقدام العاملة النصرانية إلى جزيرة العرب لا يجوز، هذا أولًا.

وثانيًا: وليّ الأمر منع من دخول الكفار إلى المدينة، فأنت قد خالفت أمرًا فيه مصلحة شرعية أمر به وليّ الأمر، والله جل وعلا أمر بطاعة ولاة الأمور، ما لم يكُن ذلك في معصية، فأنا أرى أنك أخطأت من هاتين الجهتين، ليس لك أن تستقدم، وإذا ابتُليت فاستقدمت، ليس لك أن تدخلها المدينة.

السؤال: يطلب إعادة الأقوال في المعراج؟

الجواب: معراج النبي ﷺ الأقوال فيه ثلاثة: قولٌ صواب، وقولٌ خاطئ، وقولٌ ضال مُبتدَع.

القول الصواب، وهو الذي عليه جماهير أهل العلم: أن معراج النبي ﷺ كان بجسده

ورُوحه.

والقول الخاطئ: هو القول بأن معراج النبي ﷺ كان بروحه.

والقول الثالث: أن معراج النبي ﷺ كان رُؤيا منامية، هذا قولٌ مُبتَدَع، ضال.

السؤال: رجل يسأل عن معصية وقع فيها، يعني: وقع في شيء من الفاحشة، وهو الآن تائب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ماذا عليه؟

الجواب: عليك أن تَصدُق في التوبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وتكثر من العمل الصالح، وأبشِر فربُّك كريم، وربك رحيم، وربك جواد سبحانه وتعالى، وعليك ثانيًا أن تستر نفسك، ولا تخبر بهذا أحدًا، فإن المعصية إذا كانت مستورة كانت مغفرتها أرجى، والله عَزَّوَجَلَّ أعلم.

السؤال: ما حكم التسمية بمُدثِّر ومُزمِّل؟

الجواب: الذي يظهر -والله أعلم- أن الاسم جائز، يعني: ليس ممنوعًا وليس سنة، إنما هو اسم جائز، إن شاء الإنسان أن يسمي به لا حرج.

السؤال: يسأل عن قراءة الحائض للقرآن، وكيف يكون؟

الجواب: الحائض -على الصحيح- ليست ممنوعةً من تلاوة القرآن، لكن لا تلمس المصحف أو لا تمسك المصحف مباشرة، يمكن أنها تقلب الصفحات بقلم أو نحوه، أو تلبس قفاز، أو تستعمل هذا الجهاز الذكي، يعني: الجوال أو الأيباد، لأن هذا لا يأخذ حكم المصحف، فلا حرج في استعماله، والله تعالى أعلم.

والحمد لله رب العالمين

قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بالْمَدِينَةِ؛ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ؛ مِثْلُ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنكَر -وغيرها من شرائع الإسلام- أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَتُوُفِّيَ صلوات الله وسلامه عليه وَدِينُهُ بَاقٍ، وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ.

وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ: الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ.

بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ -الْجِنِّ وَالإِنْسِ-؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨].

وَأَكْمَلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].



قَالَ الشَّارِح وفَّقَهُ اللّه:

ذكَر الشيخ رحمه الله أنَّ النبي ﷺ لمَّا هاجر إلى المدينة أَمَر، ويصح أن تقول: (أُمِرَ ببقية الشرائع)، ولا شك أنَّ أكثر الأحكام الشرعية المتعلقة بالعبادات والمعاملات والحدود وما إلى ذلك، إنَّما شُرِع في المدينة لمَّا استقر النبي ﷺ فيها، ومع ذلك فإنَّ هذا لا يعني أن النبي ﷺ نحَّى بيان التوحيد والدعوة إليه، حاشا وكلا، بل كان النبي ﷺ مع هذا مُجتهدًا في بيان التوحيد وتعليمه، وبيان ضدِّه، والتحذير منه.

وبعد مُضِي المدة التي شاء الله لحياة النبي ﷺ -وهي في المدينة عشر سنين- توفَّاه الله

جل وعلا، تُوفي ﷺ فكانت هذه من أعظم المصائب على هذه الأمة، فكل مصيبةٍ دونه ﷺ فهي جَلَل، هيِّنة، فإنَّ هذا النبي الكريم ﷺ حقُّه عظيم، وشأنُه في نفوس المسلمين عظيم، فإنَّ الله جل وعلا قد هدى به من الضلالة، وجمَع به من الفُرْقة، وأغنى به من العَيلة، وأعزَّ الله به من الذِلة، فالمِنَّة به عظيمة، ونعمة الله عَزَّوَجَلَّ به كبيرة، فلمَّا تُوفِّي النبي ﷺ كانت أعظم المصائب، حتى إنَّه يوم وفاته أظلم من المدينة كل شيءٍ، كما قال أنس رضي الله عنه، ولمَّا قدِمَها ﷺ أشرق منها كل شيء.

والنبي ﷺ قد مات قطعًا، بنص القرآن، وبإجماع الصحابة والمسلمين، والدليل على هذا قوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**﴾ [الزمر:٣٠]، وقوله سبحانه: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِينْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ**﴾ [آل عمران:١٤٤].

وفي «صحيح البخاري» في ذكْر القصة الأليمة، قصة وفاته ﷺ، وفيها: أن أبا بكرٍ رضي الله عنه لمَّا جاء من خارج المدينة، ودخل على النبي ﷺ، وكشف الغطاء عنه، وقبَّلَه، وقال: «طِبْتَ حيًا وميتًا يا رسول الله»، ثم خرج فخطب في المسلمين، وقال تلك الجملة الخالدة العظيمة، قال: «مَن كان يعبد محمدًا فإنَّ محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإنَّ الله حيٌ لا يموت»، ثم تلا قوله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِينْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ [آل عمران:١٤٤]، فأصبح كل من في المدينة من الصحابة يُردِّد هذه الآية.

فهذا هو الحق الذي لا مِرية فيه.

وأمَّا من قال من بعض المخالفين للحق، ومن أهل الغلو: إنَّ النبي ﷺ حيٌ في قبره حياةً

دنيوية كحياته لمَّا كان فوق الأرض، فهذا قولٌ تُكذِّبه الشريعة، وتُكذِّبه العقول والفِطَر السليمة، فإنَّ هؤلاء إن كذَّبوا أن يكون النبي ﷺ قد مات أو يموت، فقد كذَّبوا كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وإن قالوا: إن أصحاب النبي ﷺ قد وضعوه في التراب وهو حيٌّ حياةً دنيوية، فإنَّ هذا يقتضي أنَّ أصحاب النبي ﷺ قاطبة ثُم الأمة إلى اليوم قد كفَرَت بالله العظيم سبحان وتعالى، كل الأمة مُرتدة، إذ الصحابة وضعوه في التراب، وهذه إهانةٌ عظيمة له ﷺ، كيف يُوضع ﷺ في التراب وهي حي! ثم بقيت الأمة رضيت بهذا، فتكون قد رضيت بالكفر، وبالتالي فتكون هذه الأمة كلها مُرتدة.

أرأيتم لو أنَّا إنسانًا في حياة النبي ﷺ وضع على رأسه حفنةً من تراب، ألا يُعد هذا إهانة؟ بلى والله إهانة عظيمة، ويكفر مَن فعل هذا.

فالنبي ﷺ حقُّه التعظيم، وحقُّه التوقير، فكيف يُقال أنَّه وُضِع ﷺ في هذا المكان الضيق تحت الأرض، وأُهِيل عليه التراب وتُرِك! سبحان الله العظيم! أين تذهب عقول هؤلاء؟ وأين أصحاب النبي ﷺ الذين هم أعظم الناس حبًا له، ما أخرجوه إذا كانوا أخطئُوا، وأينهم حينما كانوا يختلفون، لماذا ما كانوا يأتون إلى القبر، فيسألون النبي ﷺ؟ قد وقَع بين الصحابة ما وقع من خلافٍ علمي، بل هو ما أكبر من ذلك، بلْ وقع بقدر الله سبحانه بينهم اقتتال، ومع ذلك ما جاءُوا إلى قبر النبي ﷺ وسألوه، وقالوا: يا رسول الله، دُلَّنا على الحق، ماذا نصنع في هذه الخُطوب المُدلهمَّة؟

إذًا: هذا يدلك -يا رعاك الله- على أن من توهم أن النبي ﷺ حيٌّ في قبره حياةً دنيوية،

حياةً طبيعية كالتي كان عليها وهو على ظهر الأرض، وبالتالي كل الأحكام التي تتعلق بهذه الحياة تنسحب أيضًا حال كونه ﷺ في قبره، فلا شك أنَّك قد أخطأ خطأ عظيمًا.

قد يقول قائل: ألسْتُم تقولون: إن الشهداء أحياء؟

الجواب: نعم، بنص القرآن، ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ**﴾ [آل عمران:١٦٩]، فيقول: النبي ﷺ أرفع درجةً من الشهداء، وبالتالي فهو حيّ، حيٌّ في قبره؟

والجواب عن هذا: أننا لا ننكر حياة النبي ﷺ في قبره، بل من أنكر حياة النبي ﷺ في قبره، بل من أنكر حياة كل الأموات في قبورهم فقد كذَّب الكتاب والسنة، فإنَّ الأدلة والإجماع قد انعقدت على أنَّ جميع الأموات يَحْيَون في قبورهم، لكن انتبه! ما هي هذه الحياة؟

الجواب: هي حياةٌ برزخيةٌ، الله أعلم بها، ليست قطعًا هي الحياة الدنيوية التي نعرفها، هذه حياةٌ أخرى، ولها تعلقات أخرى، ولها أحكام أخرى هي بالنسبة لنا غيب، لا نعرف عنها شيئًا.

وقد ذكرنا: تعلقات الروح بالبدن، في درسٍ ماضٍ، وقلنا: إن للروح بالبدن خمسة تعلقات، انتبه لهذه التعلقات؛ فإنَّها تكشف لك بعض الإشكالات التي قد تطرأ عليك.

أولًا: تعلُّق الروح بالبدن حال كون الإنسان جنينًا في بطن أمه، فإنَّه بعد أن يمضي عليه أربعون ثم أربعون ثم أربعون، يعني بعد أن يمضي عليه مائةٌ وعشرين يومًا، يُرسِل الله عَزَّ وَجَلَّ إلى هذه الجنين المَلَك، وينفخ فيه الروح.

ثانيًا: تعلق الروح بالبدن بعد خروج الإنسان من بطن أمه، يعني هذه الحياة التي نعيشها الآن، وهي التي يتعلق بها التكليف.

ثالثًا: تعلق الروح بالبدن حال النوم، فإنَّها متصلةٌ بالبدن من وجه، ومنفصلةٌ من وجهٍ آخر.

رابعًا: تعلق الروح بالبدن في قبره، في قبر الإنسان، يعني في الحياة البرزخية، وذلك أنَّه ثبت في حديث البراء رضي الله عنه في «مسند أحمد» وغيره بإسنادٍ صحيح، عن النبي ﷺ: لمَّا ذكَر حال الميت إذا قُبِر، وتوَلَّى عنه أصحابه، قال ﷺ: «**فتُعادُ رُوحُه في بَدَنِهِ**»، ولكن هذا العود عَودٌ آخر، ليس هو التعلق السابق بدليل أنَّه في الحياة الدنيوية، لا يمكن للإنسان أن يعيش دون هواء، أليس كذلك؟ يعني لو قُدِّر أنَّه عادت له روحه فأصبح كما لو كان على ظهر الأرض، سيمكث مدة يسيرة ثم يموت، أليس كذلك؟ لانتهاء الأكسجين الذي به الحياة، لكن هو سيستمر على هذه الحياة البرزخية إلى قيام الساعة، إذًا هي حياةٌ أخرى، لها تعلقات وكيفيات مختلفة، ليست هي الحياة التي نعيشها.

خامسًا: تعلق الروح بالبدن عند البعث، وهذا تعلقٌ آخر، يقول النبي ﷺ كما في حديث كَعْب بن مالك رضي الله عنه: «**إنَّما نَسَمَة المؤمن طائرٌ يَعْلُق في شجر الجنة**»، «يَعْلُق» يعني: يأكل ويرعى، «نَسْمة المؤمن»، يعني: روحه، «**طائرٌ يَعْلُق في شجر الجنة حتى يُرجِعه الله تبارك وتعالى إلى جسده يوم القيامة**».

يعني: هذه المرحلة البرزخية تكون الروح فيها متصلةً بالبدن، وفي نفس الوقت إذا كان مؤمنًا فإنها تُنعَّم في الجنة، والكيفية الله أعلم بها.

ثم هناك عَودٌ آخر متصل بالبدن، ليس هو الحياة البرزخية، وهذه كما يقول العلماء أكمل التعلقات؛ لأنَّ يرتبط بها الحياة الأبدية، إمَّا في نعيمٍ وإمَّا في عذاب.

المقصود: أن دعوة من يقول إن النبي ﷺ حيٌ حياةً دنيوية في قبره، و بالتالي فإنَّه يدعوه ويستغيث به، ويقول: أنا أدعو حيًا، لا أدعو ميتًا، فلا شك أن هذا القول غايةٌ في الضلال، فتنبه يا رعاك الله!

قوله: (**الْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ: الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ**).

لا شك المسلمون جميعًا –ونحن منهم بحمد الله– نشهد أن النبي ﷺ، ما لَحِق بالرفيق الأعلى إلا وقد بلَّغ البلاغ المُبين، فما من خير إلا وقد حثَّ عليه، وما من شر إلا وقد حذَّر منه، قال ﷺ، كما في «صحيح مسلم»: «**ما مِن نبيٍ بعثَه الله إلا كان حقًا عليه أن يَدُلَّ أُمَّته على خير ما يَعْلَمُه لهم، وأن يُحذِّرَهُم من شر ما يَعلَمُه لهم**»، وإذا كان هذا في حق كل نبي، فكيف بسَيّد الأنبياء وإمام المرسلين ﷺ.

إذًا: ما .. ثمَّة خير إلا وقد بيَّنه النبي ﷺ.

إذًا: الدين قد اكتمل قُبيل وفاة النبي ﷺ، يجب أن نعتقد ويجب أن نُوقِن، ويجب أن نؤمن أن النبي ﷺ ما مات إلَّا وقد اكتمل دينه ﷺ، ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾ [المائدة:٣].

هذه القضية يجب أن تكون عقيدةً مستمرةً في نفس كل مسلم، (أن الدين كامل)، وماذا نستفيد إذا علمنا أن الدين كامل؟

الجواب: نستفيد فائدةً كبرى؛ الكامل لا يقبل الزيادة، أليس كذلك؟ أيّ شيءٍ كامل فإنَّه لا يقبل الزيادة، أَرَأَيت لو كان عندك إناء ماءٍ، ثم وضعت فيه الماء حتى اكتمل، هل يمكن أن

تزيد عليه ماءً؟ لا يمكن؛ لأنَّك لو زِدتَّه أصبح هناك فساد، انسكب الماء.

إذًا: متى ما كنت تعتقد أن النبي ﷺ قد أكمل الله عَزَّ وَجَلَّ به الدين، وبلَّغ البلاغ المبين، وتُوفي ﷺ، ولا خير إلا وقد بيَّنه، إذًا لا مجال للزيادة، والزيادة هي المحدثات والمُبتدعات، فمتى ما زِدتَّ على دين الله عَزَّ وَجَلَّ فإنَّك بلسان حالك كأنَّك تَتَّهِم النبي ﷺ بأنَّه ما بلَّغ البلاغ المُبين، أو علِمَ الخير وكتَم بعضه، وهذه خطورة عظيمة تَدلُّك على أن لازم البدعة لازمٌ خطير.

بمعنى: لو أن إنسانًا قال: هذه عبادة أو هذا خير يقرِّب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، قيل له: هذه ما عليها دليل، ما أخبرنا بها النبي ﷺ، قال: ولكنَّها خير، وربما يقول لك: هي بدعة حسنة، فلا بأس، دَعْنا نتقرَّب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بهذا الذكر، بهذه الصلاة، بهذا الاحتفال، بهذا بهذا..، وهي خير عمل صالح، ... على لسان حالك كأنك تقول أحد أمرين: إمَّا أن النبي ﷺ ما علِمَ الحق، وعَلِمتَه أنت، يعني: فاته ﷺ شيءٌ من الخير، وعلمته أنت، وبالتالي ... النبي ﷺ بالجهل بالله وبحقوقه، مع أنَّه يقول ﷺ، كما في البخاري وغيره: «**أنا أَعلَمُكم بالله، وأشدُّكُم له خَشْيةً**».

أو أن النبي ﷺ علِمَ أن الخير في هذا الأمر، ولكنَّه كتم، وما بلَّغ، وهذا اتهامٌ له ﷺ بالخيانة، وأيّ شيءٍ أعظم من هذا؟!

إذًا: كل خير تظنُّه وليس عليه طابع النبوة، وليس عليه ختم النبوة، وليس عليه أثارة من آثار النبوة، فاعلم أنَّه لا خير فيه، ولو كان فيه خير لبيَّنه النبي ﷺ قطعًا، ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾ [المائدة:٣].

لعلكم تذكرون أثرًا جميلًا عن الإمام مالك بن أنس رحمه الله، ولا بأس بإعادته؛ لأنَّه أثرٌ مُهم ومفيد.

الإمام مالك إمام هذه البلدة الطيبة، جاءه رجل، وقال: أُريد أن أُحرِم؟ فمِن أين أُحرِم؟ يريد أن يذهب إلى مكة للنسك، حج أو عمرة، يسأل: من أين يُحرم؟ فقال له الإمام مالك رحمه الله: «أَحرِم من ذي الحليفة، ميقات النبي ﷺ»، فقال: ولكني أريد أن أُحرم من المسجد، يعني النبوي، هذا المسجد. الرجل فكر وقدَّر بعقله، ورأى أن المسجد النبوي أفضل من ذي الحليفة، إذًا لماذا لا أحرم من المسجد النبوي أفضل من أن أُحرِم من ذي الحليفة، قال: فإنِّي أريد أن أُحرِم من المسجد، قال: لا تفعل، قال: فإنِّي أريد أن أُحرِم من المسجد، أَصَرَّ الرجل على رأيه، قال الإمام مالك: «لا تفعل؛ فإنِّي أخشى عليك الفتنة»، فقال الرجل: وأيّ فتنةٍ هذه؟ إنَّما هي خطوات ... من ذي الحليفة أحرم قبل ذلك من المسجد النبوي، وبالتالي فتكون هناك خطوات أزيدها وأنا مُحرم فيكون لي أجر، لماذا تُضخِّم الأمر؟ الأمر يسير، فتنة؟ سبحان الله! الفتنة انقلاب القلب، والرجوع من الهداية إلى الضلالة -نسأل الله العافية- فأنت ضَخَّمت الأمر يا أيها الإمام ...، الناس يأخذون الموضوع بهذه السهولة، ويقول: الأمر يسير، لماذا هذا التشدد؟ بدعة حسنة لا بأس بها.

فقال الإمام مالك رحمه الله: «وأيّ فتنةٍ أعظم من أن تظن أنك سبقت إلى خيرٍ لم يَسبقْ إليه رسولُ الله ﷺ، وإنَّ الله تعالى يقول: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾ [المائدة:٣]، فما لم يكن بالأمس دينًا، لا يكون اليوم دينًا».

ما أحسن هذه الكلمة! يا ليتها تُعلَّق أمام ناظر كل مسلم، دائمًا يتأمَّلها، «ما لم يكن

بالأمس» متى الأمس؟ في عهد النبي ﷺ، ما لم يكن هذا الأمر يُتعبَّد به لله في عهد النبي ﷺ، فإنَّه لا يمكن أن يكون اليوم دينًا.

إذًا: اعتقاد كمال الدين اعتقادٌ في غاية الأهمية، ولو أن المسلمين اعتقدوا هذا الاعتقاد باعتقاد يظهر على أعمالهم وأقوالهم، لانتفَتْ كثير من المُحدثات والمبتدعات بين المسلمين ...

قوله: (**بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ -الْجِنِّ وَالإِنْسِ-؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾** [الأعراف:١٥٨]).

هذه مسألة سبق الحديث عنها، وهي من المعلوم من الدين بالضرورة، وهي عموم بعثة النبي ﷺ، فالنبي ﷺ بُعِث لجميع الثقلين، يعني: لجميع الإنس والجن، مُنذ بعثته ﷺ وإلى قيام الساعة، وهذا -كما ذكرنا- قضية معلومة من الدين بالضرورة، مَن أنكرها فهو كافرٌ بالله عَزَّوَجَلَّ، والدليل على ذلك قوله تعالى: (**﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾**) جميع الناس (**﴿إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾**) فهذا تأكيد بعد تعميم يدل على عموم بِعثة النبي ﷺ، وأن جميع البشر مُنذ بعثته ﷺ ... أن يتبعوه وأن يُطيعوه، وأن يتعبدوا لله عَزَّوَجَلَّ وِفْق شرعه ﷺ، قال ﷺ كما في «صحيح مسلم»: «**بُعثتُ إلى الأحمر والأسود**»، يعني: جميع الناس، وكذلك الجن، الجنُّ فَرَض الله عَزَّوَجَلَّ عليهم عبادته سبحانه، **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾** [الذاريات:٥٦]، ولذلك ذهبوا يتعلمون ويستمعون إلى النبي ﷺ: **﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾** [الجن:١]، وقالوا لقومهم: **﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ﴾** [الأحقاف:٣١] وهو النبي ﷺ، فهو مبعوثٌ

إليكم، إذًا النبي ﷺ مبعوثٌ إلى الجن والإنس كافة.

قوله: (**وَأَكْمَلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾** [المائدة:٣]).

نعم كما سبق.

قال المصنّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر:٣١].

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه:٥٥]، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح:١٨].

وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم:٣١].

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن:٧].

وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥].

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب:٤٠].

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء:١٦٣].

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا -مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ- يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ

عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ: الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ، وَالإِيمَانَ بِاللهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رحمه الله تعالى: «مَعْنَى الطَّاغُوتِ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ -مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ-».

وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرَةٌ، وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ -لَعَنَهُ اللهُ- وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنِ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»

وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ: الإِسْلامُ، وَعَمُودُهُ: الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ».

وَاللهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمْ.



قَالَ الشَّارِحِ وفَّقَهُ الله:

انتقل المؤلف رحمه الله بعد الكلام عن موت النبي ﷺ، إلى الكلام عن شيءٍ يتعلق باليوم الآخر، وأنَّه كما أن النبي ﷺ قد مات، فالناس أيضًا جميعًا يموتون، وبعد هذا الموت هناك حياةٌ أخرى، الناسُ إذا ماتوا فإنَّهم يُبعثون، وقد ذكرنا ما يتعلق بمباحث اليوم الآخر

على وجه الإيجاز في درسٍ ماضٍ.

والبعث: هو إحياء الله عَزَّوَجَلَّ الموتى، وإخراجهم للحساب والجزاء.

وأول من تَنشقّ عنه الأرض نَبيّنا محمد ﷺ كما ثبت في الحديث الصحيح، أول من يقوم من قبره هو هذا النبي الكريم ﷺ، فإن الناس إذا قاموا من قبورهم ... أنهم حفاةٌ عراةٌ غُرْلٌ، (حُفاة) بلا نِعال، و(عُراة) بلا ملابس، و(غُرْلٌ) يعني: غير مختونين، ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ**﴾ [الأنبياء:١٠٤].

ثم يُكسَون بعد ذلك، وأول من يُكسى إبراهيم عليه السلام، ثم نبينا محمد ﷺ.

فإذا بُعِثوا من قبورهم كان بعد ذلك الحشر، حُشِروا إلى أرض المحشر، حيث يقفون هناك المدة الطويلة، ويكون عليهم من الكروب الشيء العظيم، حتى يأذن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ببدع الحساب، وأرض المحشر كما قال النبي ﷺ: «**أَرْضٌ بَيضَاء عَفْراء كَقُرْصَة النَّقِي، ليسَ فيها مَعْلَمٌ لأحدٍ**».

وبعد حشرهم وطول المقام بهم، وقُرب الشمس منهم، وعِظَم الكرب عليهم، وشدة الهول العظيم الذي يحل بهم ... بعد ذلك يشفع النبيُّ ﷺ عند ربه، ويسجد سجودًا طويلًا يحمد الله عَزَّوَجَلَّ فيه بمَحامد لم يكن يُحسنها في حياته، ثم بعد ذلك يكون الحساب.

والحساب -كما قد علمنا أيضًا فيما مضى- أنَّه: إطلاع الله عَزَّوَجَلَّ العبادَ على أعمالهم وتوقيفهم عليها، وتذكيرهم ما نسوه منها.

والحساب ينقسم إلى قسمين:

- عرْض.

- ومناقشة.

أمَّا العرض: فهو الحساب اليسير، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يُحاسبنا حسابًا يسيرًا، وهذا من دعاء النبي ﷺ، الذي ينبغي عليك أن تحرص عليه: «**اللهمَّ حاسِبْنِي حسابًا يسيرًا**».

في «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال النبي ﷺ: «**مَن نُوقِش الحسابَ عُذِّبَ**»، فقالت رضي الله عنها: أليس قد قال الله تعالى: ﴿**فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا**﴾ [الانشقاق:٨]، يعني استشكلَت، كيف أن كل مَن يُناقَش الحساب سوف يُعذّب، وهنا كلية تدل على العموم، مع أن من الناس من سيُحاسب حسابًا يسيرًا، كما في القرآن، فاستشكلت رضي الله عنها، فقال النبي ﷺ: «**ليسَ ذلكِ، إنما ذلكِ العَرْض، ومَن نُوقِشَ الحسابَ عُذِّبَ**»، وفي رواية: «**هَلَكَ**»، ثم أخبرت رضي الله عنها أنَّها كانت تسمع النبي ﷺ بعد ذلك يدعو في صلاته: «**اللهمَّ حاسِبْنِي حِسابًا يسيرًا**».

إذًا: ثَمَّة عَرْض وثَمَّة مناقشة، العَرض هو لمن أراد الله عَزَّوَجَلَّ رحمته -نسأل الله أن نكون منهم- هو أن تُعرَض الذنوب على العبد ثم يُسامَح عليها، تُعرَض عليه أعماله، ويُقال له: «عملت كذا، عملت كذا، عملت كذا»، والعبد لا يجد إلا أن يُسلِّم ويُقرّ: أعرف ربي، أعرف ربي، ثم يُسامحه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليها، هذا هو الحساب اليسير، يتجاوز الله عَزَّوَجَلَّ عنه.

أمَّا المُناقشة فإنَّها الإحصاء والاستقصاء، وعدم المُسامحة، إحصاء الأعمال، واستقصاؤها، وعدم المسامحة على شيءٍ منها، ومن الذي ينجو إذا حُوسب هذا الحساب يا إخواني؟ واللهِ إنَّه سيهلك قطعًا، الذي يُحاسب على كل واجبٍ أوجبه الله، هل أدَّاه كما أمر الله أم لا؟ وسوف يُحاسب على كل ذنبٍ عمله، وسوف يُحاسب على كل نِعمة ... تقصيره

في حسناته، ما الذي سيغلب؟ والله سيغلب التقصير قطعًا، إذا استقصى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في الحساب، ولم يتجاوز، ولم يَعْفُ ولم يسامح سبحانه، فإنَّه الهلاك القطعي، والله المستعان.

وهذه المناقشة هي لمن لم يشإ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ العفو عنه، وعدم المسامحة عليه، وبعد المحاسبة تكون -والله تعالى أعلم- الموازنة، يعني: يكون الوزن في الميزان، فيُحاسَب الإنسان حتى تُعرف الأعمال، ثم بعد ذلك تُوزن، ليكون مصير الإنسان بحسب ما تُنتجه هذه الموازنة، فحسناته في كِفَّة، وسيئاته في كفة، ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة:٦-٩].

وبقية المباحث المتعلقة بهذا الموضوع، قد سبق بيانها.

قوله: (**وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾** [نوح:١٨]) يعني: الناس سيخرجون ويُبعثون من قبورهم.

قوله: (**وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾** [النجم:٣١]).

.. لعلها تُذكرنا بشيءٍ درسناه في الدرس الأول تقريبًا، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم:٣١]، لمَّا تكلما عن حِكمة الخلق، قلنا: إن الله عَزَّوَجَلَّ خلق الخلق لِلْحَق، والحق يتضمن الحكمة من خلق العباد، والحكمة من خلق العبادة أمران: غايةٌ مرادةٌ منهم، وغايةٌ مرادةٌ بهم.

فالغاية المرادة منهم: عبادة الله، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

لاحِظ اللام هنا (لام الحكمة، لام التعليل)، ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، **والغاية المرادة بهم**: الجزاء، بالإحسان والفضل، أو بالعدل، كما قال جل وعلا: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ثم قال: ﴿لِيَجْزِيَ﴾ [النجم:٣١]، لاحظ اللام هنا أيضًا للتعليل، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ [النجم:٣١]، فالله عَزَّوَجَلَّ خلق السموات والأرض وما فيهما لتحصل الغاية المرادة بالعبادة، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا﴾، وهذا جزاؤه بالعدل سبحانه، ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم:٣١]، وهذا جزاؤه سبحانه بالفضل.

قوله: (**وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن:٧]**).

البعث لا شك أن من أنكره، وأنكر أن تكون هناك حياةٌ أخرى بعد هذه الحياة، هي حياةٌ كاملة أبدية، لا نهاية لها، فلا شك في كفره، ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾ [التغابن:٧]، إذًا لا يزعم هذا الزعم إلا الكفار.

فقضية إنكار البعث أعظم ما أنكره المشركون على الإطلاق بعد التوحيد، أهم قضية وأشدّ قضية بالغوا في إنكارها بعد توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، هي قضية البعث، ولذلك يقول الله عَزَّوَجَلَّ عنهم: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ [النحل:٣٨] يعني: أشد الأيمان، وأشد الأقسام عندهم أقسموها، على أيّ شيء؟ ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ [النحل:٣٨]، فقضية عجيب أنَّهم تحمَّسوا لها هذا التحمس، حتى كأن هناك من مات ثم عاد إليهم وأخبرهم أنَّه لا بعث، وهذا دليل على ضعف عقولهم، فأي شيء ينكرون أو يستبعدون لأجله أن يكون هناك بعث، فلذلك الله عَزَّوَجَلَّ خاطب العقول بشأن هذه القضية بأدلة واضحة

بين أعينهم، لماذا تستبعدون؟ ولماذا تستكثِرون أن الله عَزَّوَجَلَّ يبعث الناس بعد الموت؟

أولًا: الذي خلَقكم من العدم قادرٌ على أن يُعيد نشأتكم نشأةً أخرى، وأن يُحييكم، أليس كذلك؟ لا شك أن الابتداء أصعب من الإعادة بعد الوجود، وإن كان الكل على الله عز وجل هيِّنًا.

ثانيًا: الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يعيد بعث الإنسان، ما هو هذا الإنسان أمام هذا الملكوت العظيم؟ أليس الذي خلق السموات والأرض قادرٌ على أن يُعيد الإنسان بعد موته؟ بلى والله.

ثالثًا: الذي أخرج من التراب النبات، قادرٌ على أن يُعيد الإنسان بعد موته، ولذلك الله جل وعلا نبَّه على هذه الأمور الثلاثة في سياقٍ واحد، قال جل وعلا: ﴿**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ**﴾ [يس:٧٨]، انظر إلى هذا الاستفهام الذي يتضمن الإنكار؟ بل السخرية والاستهزاء، (من يُحيي العظام وهي رميم)؟ فكان الرد من ربنا جل وعلا: ﴿**قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ**﴾ [يس:٧٩-٨٠]، هذا دليل النبات، ثم قال: ﴿**أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ**﴾ [يس:٨١]، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

إذًا: قضية البعث قضية معقولة ومقبولة في العقل، بل الناس شاهدوا بأعينهم، وتواتر النقل بذلك جيلًا عن جيل أن الله بعَث من كان ميتًا، وفي سورة البقرة فقط لو تأملت عدة قصص في ذلك، وما أنكر المشركون الذين كانوا يُنكرون أشد الإنكار قضية البعث ويُكذِّبون

النبي ﷺ، ومع ذلك ما قالوا هذه القصص مكذوبة، هُم يعلمون؛ لأن الأمم تتناقل مثل هذه الأخبار جيلًا بعد جيل.

فالله عَزَّوَجَلَّ قد أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن قوم من الناس، ماتوا ثم أحياهم الله عَزَّوَجَلَّ، بل أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عن حمارٍ مات ثم أحياه الله، أخبر عن شخصٍ مات وأحياه الله بعد مائة سنة

... في قصة إبراهيم عليه السلام قُطِّعت وَوُزِّعَت بين الجبال، ثم أحياها الله عَزَّوَجَلَّ، أخبر سبحانه عن موت ذاك الرجل وحماره أيضًا، فإذًا فهناك إنسان، وهناك جماعة من الناس، وهناك حيوانات، وهناك طيور، وهذه فقط في سورة واحدة، فكيف بغيرها من السور.

إذًا: هذه قضايا واقعية، الذي قدِر على الإعادة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في هذه الحياة الدنيا، قادرٌ على أن يُعيد في الدار الآخرة، فلماذا هذا ... والمبالغة في الكفر؟ نسأل الله السلامة والعافية.

قوله: (**وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾** [النساء:١٦٥]).

... المرسلين، والنبيين ... بالبشارة والنذارة.

البشارة في الأعمال الصالحة، أنَّ لهم الثواب عليها، وأمَّا النَّذارة - أو النِّذارة- ... لمن عمل السيئات أن الله تعالى يُعاقبه عليها، وهذان أمران يَجمعان للمسلم (الخوف والرجاء)، فهو يرجو من البشارة، ويخاف ممَّا أُنذر من كلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ... الذي نستقي منه هذه المُبشِّرات وهذه المُنذرات.

قوله: (**وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾**

[الأحزاب:٤٠]، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء:١٦٣]).

... نوحٌ عليه السلام وهذا أيضًا من الأمور الذي لا شك فيها.

واستدل الشيخ رحمه الله بقوله تعالى: (﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ﴾ [النساء:١٦٣])، فجمع الله عَزَّوَجَلَّ في هذه الآية بين ذكر آخر الرسل وأول الرسل عليهم الصلاة والسلام جميعًا.

وأصرح من ذلك ما ثبت في «الصحيحين» من حديث أنس رضي الله عنه، في ذكر قصة (الشفاعة العظمى)، ومن ذلك أن الناس حينما يطول بهم المقام، يقول بعضهم إلى بعض: هَلُمُّوا نستشفع إلى ربنا، فيذهبون إلى آدم عليه الصلاة، ويقولون: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، اشفَعْ لنا عند الله، ألا ترى ما نحن فيه؟ فيَعتذر عليه السلام، ويذكر ذنبه، ثم يُرشد الناس فيقول لهم: «اذهبوا إلى نوحٍ أول رسولٍ بعَثَه الله إلى أهل الأرض»، فهذا نصٌ على أن أول الرسل نوحٌ عليه السلام.

وآدم عليه السلام كان نبيًا، أمَّا أول الرسل فنوحٌ عليه السلام.

قوله: (وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهِا رَسُولًا -مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ- يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]).

الله جل وعلا عَدلٌ لا يظلم، ويُحب الإعذار سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، ولذلك فإنَّه أرسل في كل أُمة، وفي كل جيلٍ من الناس، وفي كل إقليمٍ من الأرض، بعث الله عَزَّوَجَلَّ رسولًا يبلغ دينه، وتقوم به

الحجة على الناس، (﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾) لاحظ العموم في قوله: (﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾)، ويقول جل وعلا: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٤]، فالله جل وعلا بعث إلى أهل الأرض كافة، في جميع الأجيال رُسلًا يبلغون دِين الله تبارك وتعالى.

قوله: (**وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ: الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ، وَالإِيمَانَ بِاللهِ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رحمه الله تعالى -: «مَعْنَى الطَّاغُوتِ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ -مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ**).

... رحمه الله إلى بيان ما هو الذي بعث الله به الرسل، واستدل بقوله تعالى:(﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦])، وقلنا هذه الآية فسَّرت لنا الكلمة العظيمة، وهي (لا إله إلا الله)، فقوله: (﴿أَنِ اعْبُدُوا اللهَ﴾) ماذا يُقابلها في كلمة التوحيد؟ (إلا الله)، (﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾) يقابلها في كلمة التوحيد: (لا إله)، إذًا هي دالةٌ على النفي والإثبات، فالنفي وحده ليس بتوحيد، والإثبات وحده ليس بتوحيد، إنَّما التوحيد مجموع النفي والإثبات، من قال: (لا إله) إلى يوم الدين، أسلَم؟ وحَّد؟ لا، من قال: (إلا الله)، أو قال: (الله إله) ... أسلَم؟ وحَّد؟ لا، حتى يجمع بين الأمرين، فالنفي وحده ليس بشيء، وبالتالي ليس بتوحيد؛ لأنَّه عدم، والإثبات وحده لا يمنع المشاركة، فالله إله، ويجوز أن يكون هناك إلهٌ غيره، إذا قلت فقط: (الله إله)، لكن متى يكون التوحيد؟ إذا قلت: لا إله إلا الله، تنفي جميع الآلهة، وتُثبت الألوهية لله، تُبغضها، فمن أحبها يقول: أنا ما أعبد إلا الله، لكن يُعجبني سجود الإنسان للصليب، ما رأيكم؟ هذا منظر جميل أحبه، هل هو مسلم؟ ليس بمسلم، لماذا؟ لأنَّه ما كفر بالطاغوت، يجب أن تُبغِض كل عبادةٍ تراها من دون الله.

سبحان الله! بعض الناس لا يتحرك فيه شيء، إذا رأى مَن يدعو غير الله، أو يسجد على القبور، أو يطوف أو يذبح لها، اتَّقِ الله يا عبد الله، لا بد أن تكفر بالطاغوت، يجب أن تُبغض عبادة غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، **الأمر الثالث**: أن تعتقد أنَّه كافر، كل من عبد غير الله فهو كافر، وأيضًا تُعاديهم في الله، (الحب في الله والبغض في الله أوثق عُرَى الإيمان)، كما قال النبي ﷺ، والله جل وعلا يقول: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ**﴾ [الممتحنة:٤].

وأُعيد ما ذكرتُه سابقًا: هذه القضية قضية عقدية، لا تُسامَح في اعتقادها في قلبك، أمَّا المعاملة فشأنٌ آخر، المعاملة فيها تفصيل، فالمحارِب للإسلام والمسلمين له حكم، والمُسالِم للإسلام والمسلمين له حكم، لا حرج في التعامل معه والأخذ والإعطاء، بل والبر به، ﴿**لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ**﴾ [الممتحنة:٨].

إذًا: هذا هو الكفر بالطاغوت.

انتقل الشيخ بعد ذلك إلى بيان ما هو الطاغوت؟

(طاغوت): على وزن (فعْلُوت)، وهذا الوزن في اللغة يدل على المبالغة، **طاغوت: من الطغيان**، والطُّغيان: هو مجاوزة الحد، ﴿**إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ**﴾ [الحاقة:١١] يعني: تجاوز حده، خرج عن مكانه، فالطاغوت فيه معنى المُبالغة، والخروج عن الحد.

وعرَّفه ابن القيم رحمه الله تعريفًا جامعًا مانعًا كما أورد الشيخ رحمه الله؛ لأن صور

الطواغيت لا تَتناهى، لكن اضبِط ذلك بحدٍ جامعٍ مانعٍ، قال: (مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ -مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ).

(تجاوز به العبد حدَّه) اللهُ جل وعلا جعل لكل شيءٍ حدًا، فمتى ما أتى هذا الإنسان وتجاوز بشيءٍ ما هذا الحد، الذي وضعه الله عَزَّوَجَلَّ، وخرج به إلى واحدٍ من هذه الثلاثة، فإنَّه قد اتخذ هذا طاغوتًا، أصبح هذا المُتَّخَذ طاغوتًا.

قال: (مِنْ مَعْبُودٍ) «مِن» هنا: بيانية، «معبود» وهذا يشمل كل عبادةٍ لغير الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ويشمل كل معبودٍ سواه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأصبح هذا المعبود بالنسبة لعابده طاغوتًا، هو طاغوته، يعني: هو معبوده؛ لأنَّه تجاوز به حدَّه، حدُّه أن يكون عبدًا وهو اتخذه معبودًا، إذًا تجاوز به حدَّه.

قال: (أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ)، المتبوع: في حق العلماء، والمُطاع: في حق الحكام والأمراء، فالذي يتجاوز بالمتبوع من العلماء حدَّه، **وحدُّه** هو أن يُطيعه في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وأن يستجيب لأوامر الله التي يُرشده إليها، فمتى ما قدَّم قوله على قول الله ورسوله ﷺ فقد أصبح في حقِّه طاغوتًا، لو قال له هذا العالِم: الخبز حرام، والخمر حلال، فأطاعه، ماذا أصبح الآن؟ أصبح بالنسبة لهذا الإنسان طاغوتًا، تجاوز به حدَّه، فليس له أن يأخذ منه إلا ما يدور في فلك الشريعة، أمَّا أن يُحِلّ الحرام أو يحرم الحلال، فهذا أصبح مجاوزةً للحد، فهو في حقِّه طاغوت.

أو في حق الأمراء أن يشرع له شريعة، ويأمره بالتزامها تضاهي شريعة الله عَزَّوَجَلَّ، ويجعل فيها المحرم جائزًا، ويجعل فيها المنكر معروفًا، أو العكس، ويلتزم بهذا التزامًا كالتزام دين

الله عَزَّوَجَلَّ، فإنَّ هذا يُعتبر في حق من أطاع واستجاب، قد اتخذ طاغوتًا، وهو المُطاع، فإنَّ الواجب أن تكون الطاعة لجميع الناس، ولمن لهم طاعة، كولاة الأمر، في طاعة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فقط، ولا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق.

إذًا: كلُّ من تجاوز حدَّه في حق هذه الأمور الثلاثة، فإنَّه يعتبر طاغوتًا في حق هذا الإنسان.

قوله: (**وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرَةٌ، وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ، لَعَنَهُ اللهُ**)، وهذا أول الطواغيت، وأكبر الطواغيت، وكل كفر ومعصية ما كانت إلا من هذا الشيطان، واتخاذه طاغوتًا يكون بعبادته، فإنَّ من الناس من يعبد الشيطان عبادةً صريحة، ﴿**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ**﴾ [يس:٦٠]، وفي هذا الزمان هناك فِرقة موجودة -أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يعافينا وإيَّاكم من هذا البلاء الذي وقعوا فيه، وأن يَقِي المسلمين شرهم- هم عَبَدَة الشيطان، يُقدِّسون الشيطان ويعبدونه، ربما وصل بلاؤُهم إلى بعض بلاد المسلمين ...، أو يكون ذلك بطاعته في الشرك، فكلُّ شركٍ وقع على وجه الأرض، فقد زيَّنه إبليس، لعنه الله.

وإبليس لاحِظ أنَّه عنده تعظيم لله عَزَّوَجَلَّ، وهذا من العجائب سبحان الله! لكن يُزيّن لأتباعه أن يتمردوا على الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، بما لم يستطع هو أن يتمرَّده، هو تمرَّد على الله عَزَّوَجَلَّ، لكن له حدّ، ولذلك تأمَّل ماذا يخاطب الله، يقول: ﴿**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [ص:٨٢]، سبحان الله، يؤمن بعزة الله، ويخاطب الله عَزَّوَجَلَّ هذا الخطاب المتأدِّب: ﴿**فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [ص:٨٢]، ولكنَّه زيَّن لكثيرٍ من الناس أن ينكروا وجود الله، أن يكفروا بعزة الله، بل أن يُسيئُوا الأدب مع الله، وربما أوقعهم في سب الله، عافاني الله وإياكم من ذلك.

فانظُر إلى مكر هذا اللعين، أمَّا هو فعنده حد ما استطاع أن يتجاوزه، قال: بعزتك، قال:

(ربٍّ)، انظر كيف أنَّه يعترف بربوبية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

المقصود: أن إبليس -عليه لعنة الله- هذا أول وأهم الطواغيت على الإطلاق، وكل الطواغيت تلاميذ له، وأتباع له.

قوله: (وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ) يعني: تقدم الناس له بالعبادة، فوافق هذا محل إعجابٍ عنده، سجدوا له، ركعوا له، أطاعوه في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله، ووافق، رَضِي، فهذا لا شك في أنَّه طاغوت.

ولاحظ أن الطاغوت ليس كافرًا، بل هو كافرٌ كفرًا مُبالَغًا فيه، يعني ليس مجرد كفر، هذا كفره زائد، يعني هناك مثلًا من يسجد لغير الله عَزَّوَجَلَّ، هل هو طاغوت؟ هذا كافر، لكن أن يُعبد وهو راضٍ، هذا كافر وطاغوت، إذًا كونه طاغوتًا يدل على أن هناك زيادة؛ لأن الطاغوت من الطغيان، وهو زيادة عن الحد، فهو كافر وزيادة أيضًا.

قوله: (وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ) ولو لم يُعبَد، من ترشَّح للعبادة، وقدَّم نفسه للناس على أنَّه معبود، يستحق أن يُعبد، ولو لم يتوجه إليه أحد، فإنَّه طاغوت.

إذًا: من عُبِد وهو راضٍ، ولو لم يدعُ إلى عبادة نفسه طاغوت، ومن دعا إلى عبادة نفسه ولو لم يُعبد فهو طاغوت.

قوله: (وَمَنِ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ) وما أكثر البلاء بهذا الأمر مع الأسف الشديد، كثيرٌ يدَّعون علم الغيب.

الغيبُ: ما غاب عنك، وهؤلاء يدَّعون عِلم المغيبات، إمَّا بأمرٍ ماضٍ أو بأمرٍ مستقبل، أو بأمرٍ ضائع مثلًا، وهؤلاء لهم وسائل كثيرة، منهم من يتخذ ذلك عن طريق الرَّمْل، ويُسمَّى:

الرَّمَّال؛ يأخذ خطوطًا كثيرة عشوائية على الأرض، ثم يبدأ يمسح اثنين اثنين اثنين، ثم بعد ذلك ينظر ما الذي يبقى واحد أو اثنين، ثم بعد ذلك يُخبر، يقول لك: أنت سيحصل لك خير، أو سيحصل لك شر.

ومنهم من يجعل ذلك عن طريق الكَفّ (قراءة الكَفّ)، يضرب على يدك، ثم يُخبرك يقول: أنت ستتزوج بعد كذا وكذا، وستدخل في التجارة وتخسر.

ومنهم من يكون عن طريق قراءة فنجان، يقول: اشرب القهوة، ثم بعد ذلك يحركها، ثم ينظر، ويقول: سيكون كذا وسيكون كذا، وسيكون كذا بالنسبة لك.

ومنهم من يكون عن طريق ما يُسمَّى بالأبراج، تجد في بعض المجلات التي يقرأها مَن لا خلاق له، تجد حظّك هذا الأسبوع، أنت مولود متى؟ في بُرج الجَدِي، إذًا هذا الأسبوع سيحصل لك كذا، تتعرف على صديق، سيكون لك كذا وكذا، أو يكون بالذهاب إلى كاهن صريح، تذهب إليه وعنده دُخُون وعنده شيء من النار، وربما أشعل النار ثم ينظر في اللهب، على أيّ شكل يتشكل هذا اللهب في نهايته، وربما أخبرك بشيءٍ مما يكون.

أو عرَّاف، تقول له: والله ضاع مني كذا وكذا، فيبدأ يُتَمْتِم ويستخدم بعض الأمور، ثم بعد ذلك يُخبرك، يقول لك: المكان الذي حصل فيه الضياع هو كذا وكذا، وتجد ضالتك كذا وكذا.

أو عن طريق الحروف الأبجدية، يجمع اسمك مع اسم أبيك، مع اسم أمك، بحسب حروف الأبجدية، الألف يقابلها واحد، والباء يقابلها اثنين إلى آخره، ثم بعد ذلك يقسم ويطرح بعملية حسابية، ثم الناتج يقول لك: انظر الجدول، كم خرج الرقم؟ خرجت النتيجة

بعد العملية الحسابية تسعة، انظر في الجدول ماذا يكون تسعة؟ إذًا هذا الذي يكون عليه مستقبلك.

إلى غير ذلك من هذه الصور التي -مع الأسف الشديد- أمْرُها منتشر بين بعض المنتسبين إلى الإسلام، وهذا أمر في غاية الخطورة.

أمَّا هذا المُدعي للغيب فلا شك أنَّه كافر، وهو طاغوت أيضًا، كفره كفرٌ زائد، فيه مبالغة في العُتُوّ، ويبقى السؤال عن هذا الإنسان الذي يأتي ويسأل ويقول: أريد أن أعرف ما الذي سيكون، وهذا انتبهوا له، فيه تفصيل:

مَن أتى إلى أحد هؤلاء المدعين للغيب، فسأله فصدَّقه، قال له: سيكون كذا، فاعتقد ذلك وصدَّقه؛ لأنَّه يعتقد أنَّه يعلم الغيب، فهذا قد أفتى فيه النبي ﷺ بأنَّه قد كفر بما أُنزل على محمدٍ ﷺ: «**مَن أَتَى عَرَّافًا أو كاهنًا، فسأله فصدَّقه فيما يقول، فقد كَفَرَ بما أنزل على محمدٍ** ﷺ»، إذًا انتبهْ يا من يذهب إلى هؤلاء، أنت تلعب بالنار، القضية إيمان وكفر، وأنت وشأنك.

الحالة الثانية: أن يأتي فيسأله، يقول: دَعْنا نجرِّب، ننظر، أنا أعرف أنَّه دجَّال، لكن أريد أن أَتسلَّى، أريد أعرف ماذا عنده، أريد أتفرج، نقول: هذا أيضًا على خطر، فأولًا: لا تأمن قلبك، ربما إذا سمعت الكلام انجذب قلبك إليك وعظُمَ في عينك فصدَّقته، فإن لم يكن هنا تصديق، فإنَّك خرجت من عنده وقد بؤت بذنبٍ عظيم، «**فمَن أتى عَرَّافًا فسأله لم تُقبل له صلاةٌ أربعينَ يَومًا**»، كما قال النبي ﷺ، نسأل الله العافية والسلامة.

انظُر هذا الذنب ما أثره؟ أربعين يومًا تصلي وواجبٌ عليك أن تصلي، ومع ذلك لا يقبلها الله منك، ولا يُثيبك عليها؛ عقوبةً على ما ذهبت إليه من جلوسك بين يدي من يدعي

علم الغيب، فحذارش حذاري من النظر في هذه الأمور! هذا الذي يأخذ المجلة ويتفرج ويضحك، هذا يُخشى عليه أنه دخل في هذا الحديث، «لا تُقبل له صلاةٌ أربعين يومًا».

قوله: ﴿وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾، الله جل وعلا أنزل شريعةً كاملة، شاملة لجميع مَناحِي الحياة، الشريعة الإسلامية دين ودنيا، ليست دينًا مختصًا في المسجد فقط، بل هي دين ودنيا، وأحكام وشرائع، منظمة لكل شيء، قلنا سابقًا: مِن سياسات الدول وإلى كيف يلبس الإنسان حذاءه، وما بين ذلك كله مدوَّنٌ في الشريعة، التعامل بين الأصدقاء أو الأعداء، التجارة، الزراعة، الطلاق، النكاح، تربية الأولاد، الأخلاق، كل شيء فهو ولله الحمد موجودٌ في هذه الشريعة، منظمًا تنظيمًا يعود بالسعادة على من اتبع ذلك، من أفراد أو جماعات.

إذًا: الذي يحكم بشرع الله عَزَّوَجَلَّ، وهو يقول: الشريعة لا تصلح لهذا الزمن، الزمن تغير، الشريعة تصلح للزمن الذي قبل ألف وأربعمائة سنة، أما اليوم لا يمكن أن نُطبِّق هذه الشريعة؛ لأنَّها غير صالحة، الشريعة يعني مناسبة لأناس فيهم بداوة وفيهم دروشة، وفيهم بساطة في الحياة، أما هذا الزمن المعقَّد كيف نطبق الشريعة؟ الشريعة لا تصلح لهذا الزمان، هذا -والعياذ بالله- طاغوت.

أو يكون حاكمًا يحكم، أو قاضيًا يقضي، ويقول: الحكم بالشريعة جيد، ولا بأس به وحسن، ولكن الحكم بغير ما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ أفضل وأحسن، فهذا أيضًا طاغوت.

أو يقول: الشريعة الحكم بها حسن، وجيد والحدود وقطع اليد، ورجم الزاني إلى آخره، هذه أمور جيدة لا بأس بها، ولكن يجوز أيضًا أن نعمل بالقوانين الوضعية، الذي سرق يجوز أننا نقطع يده، ويجوز أيضًا أن نحكم عليه بالسجن لمدة سنة، هذا جائز وهذا جائز، ولنا أن

نختار ما نشاء، ننظر الأصلح لنا ونفعل، وإلا هذا جائز وهذا جائز، هما متساويان، هذا أيضًا طاغوت.

أمَّا لو أنَّ هذا القاضي عرف حكم الله عَزَّوَجَلَّ، ولكنَّه حكم بغيره لهوىً، أو رشوة، أو مراعاة لقريب، فنقول: هذا ليس بطاغوت، ولكنَّه قد أذنب ذنبًا عظيمًا، ووقع في كفرٍ أصغر، وهذا قد جاء فيه قول الله جل وعلا: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]، ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥]، ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٧].

إذًا: ينبغي أن ننظر في هذه المسألة بهذا التفصيل.

قوله: (**وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** [البقرة:٢٥٦]).

(**العروة الوثقى**) هي: لا إله إلا الله، كما فسَّرها السلف، متى ما تكون مستمسكًا بلا إله إلا الله، مُحققًا لها؟ إذا جمعت بين الأمرين، تكفر بالطاغوت وتؤمن بالله، فتأتي بلا إله إلا الله حقًا وصدقًا.

قوله: (**وَهَذَا هُوَ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ: الإِسْلامُ، وَعَمُودُهُ: الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»**).

هذا الحديث حديث معاذ رضي الله عنه عند الترمذي وغيره، بإسنادٍ صحيح، لماذا أورده الشيخ؟ هو يتكلم عن لا إله إلا الله، وعن الكفر بالطاغوت، وعن الإيمان بالله، ثم يذكر حديث النبي ﷺ: («**رَأْسُ الأَمْرِ: الإِسْلامُ، وَعَمُودُهُ: الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ**

اللهِ»)؟

الجواب عن هذا: أن الشيخ أراد الجملة الأولى، وهي: (**«رَأْسُ الأَمْرِ: الإِسْلامُ»**) لماذا؟ لأنَّه قبل ذلك عرَّفك ما هو الإسلام، فقال: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، النفي والإثبات.

إذًا: أراد الشيخ رحمه الله التنبيه على هذه القضية التي مضت، وهذا هو الإسلام الذي أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى به.

قوله: (**وَاللهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ**)، ختَم الشيخ رحمه الله هذه الرسالة العظيمة النافعة بِرَدِّ العلم إلى عالِمِه، فقال: (**وَاللهُ أَعْلَمُ**)، والله لا شك أنَّه أعلم، وأكبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وثنَّى على ذلك بالصلاة والسلام على نبينا الكريم محمدٍ ﷺ.

وبهذا تكون هذه الرسالة قد خُتمت، ونحمد الله على ما يسر من المدارسة فيها.

ونسأل الله جل وعلا أن يرزقنا العلم النافع، والعمل الصالح، والإخلاص في القول والعمل.

وإن كان من شيءٍ يُختم به فهو التَّنبيه والتذكير والحثّ على العناية بموضوع التوحيد بشكلٍ عام، وعلى العناية بهذه الرسالة على وجه الخصوص، فهذه الرسالة لا غنى لكل مسلم عالمٍ أو عامي أو طالب علم عنها، ويومًا من الأيام في سنين خلت، كانت هذه الرسالة تُدرَّس ويُتدارس فيها، وتُسمَّع كل يوم، بعد الفجر وبين العشاءَين، ولذلك كان عناية الناس بالتوحيد وتعظيمهم للتوحيد كبير، تجد ليس طلبة العلم بل العامة يحفظون هذه الأصول الثلاثة، ويعرفون معناها؛ لأنها جمعت لك اللُّب والخلاصة في دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا سيما

قضية التوحيد.

فأُوصِي أخواني -وفقني الله وإياهم لكل خير- بالعناية بهذه الرسالة، ومدارستها، وأيضًا الكلام فيها، والتدريس لها، وتعليمها للأبناء، للزوجات، للأقارب، إذا جلس الإنسان في المجالس يا حبَّذا لو طرح شيئًا مما جاء في هذه الأصول الثلاثة، ونبَّه عليه، وهو جرى حديث ونقاش حوله فيه، لا شك أن هذا خير ما تُقضى به الأوقات.

الأسئلة

السُّؤَال: زيادة النوافل الصلاة، هل هي بدعة؟

الجوَاب: الصلاة خير موضوع، وخير ما تفعل، ومن أحسن الأعمال، لكن التنفل المطلق هو محل الاجتهاد، صلِّ ما يسر الله عَزَّوَجَلَّ لك، لكن في المواضع المخصوصة صلِّ

كما جاء عن النبي ﷺ.

بمعنى: لو أن إنسانًا قال: جاء في السنة أن الإنسان يصلي راتبة المغرب ركعتين، قال: ركعتين قليلة، أنا أريد أن أجعلها أربع ركعات، زيادة في الخير، نقول: بنية راتبة المغرب لا يجوز لك أن تجعلها أربعًا، ليس لك أن تزيد على الحد الذي جعله النبي ﷺ، صلِّ هاتين الركعتين بنية راتبة المغرب، ثم بعد ذلك تريد أن تتطوع تطوعًا مُطلقًا، نوافل مطلقة، استعن بالله أبواب الخير مفتوحة.

إذًا: في هذه المواضع المخصوصة، ليس لك أن تزيد، لكن ما عدا ذلك من النوافل المطلقة افعلْ، واستعن بالله ولا حرج عليك.

السُّؤَال: ذكرتَ في الدرس الماضي أنواع الصبر، وأنَّها ثلاثة، هلّا أعدت علينا؟

الجوَاب: نعم، قلنا: الصبر على طاعة الله، وهذا أعظم أنواع الصبر، وصبرٌ عن معصية الله، تحجز وتحبس نفسك عن الوقوع في معصية الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا يحتاج إلى صبرٍ عظيم.

والأمر الثالث: الصبر على أقدار الله المؤلمة، ينزل بالإنسان مصيبة، بفقد حبيب أو ذهاب مال، أو احتراق منزل، فإنَّ هذه مصيبة يحبس الإنسان قلبه وجوارحه عن قول أو فعل ما لا يحل، فهذه الأمور الثلاثة هي أنواع الصبر الثلاثة.

وَاللهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولُهُ مُحَمَّد.